جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب

تاريخ مصر والعرب الحديث

للصف الثالث الثانوى

(الأدبى)

تأليف

أ. د/ عبدالعزيز نوار
أستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس

أ. د/ عاصم الدسوقى
أستاذ التاريخ الحديث بجامعة حلوان

أ / برنس أحمد رضوان
وكيل وزارة للتعليم الأساسي (سابقاً)

إشراف علمى
مدير عام تنمية مادة الدراسات الاجتماعية
إشراف تربوي
مركز تطوير المناهج و المواد التعليمية

العام الدراسى ٢٠١٦/٢٠١٧

لجنة المراجعة والتعديل

أ.د إمام مختار حميدة
أستاذ المناهج وطرق تدريس التاريخ
كلية التربية - جامعة حلوان

أ.د جمال معوض شقرة
أستاذ التاريخ الحديث
كلية التربية - جامعة عين شمس

أ.د إبراهيم العدل المرسي
أستاذ التاريخ الحديث
كلية الآداب - جامعة المنصورة

د. شيرين على جاد
مركز تطوير المناهج
والمواد التعليمية

أ. وليد سيد سالم
رئيس قسم بمكتب مدير عام تنمية مادة
الدراسات الاجتماعية

المراكز الاستكشافية التعليمية

لجنة التعديل الفني

تم التنفيذ الفنى بالإدارة العامة للمراكز الاستكشافية بالتعاون مع وحدة التعليم المستقبلى بالإدارة المركزية لنظم وتكنولوجيا المعلومات ومركز تطوير المناهج والمواد التعليمية

فريق العمل من المراكز الاستكشافية

مسئول إدارة الرسوم والمطبوعات
إلهام أحمد حسين

تنفيذ
ريهام مصطفى محمد

تقديم

انطلاقًا من النهضة التعليمية التى تمر بها مصر فى الوقت الحالى ، والمحاولات الجادة المخلصة لتطوير التعليم بجميع مراحله، وبخاصة تطوير مناهج المرحلة الثانوية العامة، بهدف التخفيف عن كاهل ابنائنا وبناتنا، وبهدف التركيز علي الكيف فى التعلم وليس على الكم، والاهتمام بتنمية قدرات الفهم، والتحليل ، والابتكار بدلاً من الحفظ والاستظهار .

على ضوء توجيهات الأستاذ الدكتور وزير التربية والتعليم تم تعديل محتوى الكتاب وذلك لحين الانتهاء من تأليف المقررات الجديدة للمرحلة الثانوية طبقا لوثيقة المستويات المعيارية التى يراعى من خلالها المستحدثات التربوية العالمية للمناهج المقررة.

وقد ظهر كتاب تاريخ مصر والعرب الحديث للصف الثالث الثانوى فى شكله الحالى، و الذى نتمنى أن يساعد الطلاب والطالبات على استيعاب محتواه - ويحقق لهم النجاح والتفوق.

يتضمن الكتاب مظاهر بناء مصر الحديثة - خلال القرن التاسع عشر فى المجال الاقتصادى والاجتماعى والعسكرى والتعليمى والفكرى والظروف الموضوعية المصاحبة لهذه المظاهر، وكيف أدى هذا كله إلى بناء القوة الذاتية لمصر فى المراحل المختلفة من تطورها،

ولما كانت مصر جزء من العالم العربى أثرت فيه وتأثرت به كان من الضرورى استكمال الصورة الكلية (العالم العربى) من خلال الصورة الجزئية (مصر) - كما أبرزنا أنه إذا كانت السياسة من صنع الحكام فالبناء الحضارى من صنع الشعوب.

ولقد عرضنا نماذج لرجال مصر الأوفياء الذين اسهموا بدورًا مهمًا فى تطورها من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ودور مصر الريادى فى المنطقة العربية.

وتم إضافة الفصل الثامن بمعرفة مؤلف الكتاب ليواكب الطالب الأحداث الجارية (بايجاز) من بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م حتى الآن بعنوان ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م وثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣م.

والله من وراء القصد

المؤلفون
ولجنة التعديل

المحتويات

تاريخ مصر والعرب الحديث

		الصفحة
الفصل الأول	الحملة الفرنسية على مصر والشام	١
الفصل الثانى	بناء الدولة الحديثة فى مصر	١٤
الفصل الثالث	مصر منذ الثورة العرابية حتى الحرب العالمية الأولى	٤٥
الفصل الرابع	مصر بعد الحرب العالمية الأولى	٦٩
الفصل الخامس	التوسع الاستعمارى فى البلاد العربية قبل الحرب العالمية الأولى حتى الإستقلال	٩٢
الفصل السادس	التوسع الاستعمارى فى البلاد العربية الواقعة تحت الحكم العثمانى بعد الحرب العالمية الأولى وحتى الاستقلال	١٠٥
الفصل السابع	مصر وقضايا العالم العربى المعاصر	١١٥
الفصل الثامن	ثورتا ٢٥ يناير ٢٠١١م و٣٠ يونيو ٢٠١٣م	١٥١

الفصل الأول

يتوقع بنهاية هذا الفصل يكون الطالب قادرًا على أن:

- يتعرف أسباب الحملة الفرنسية على مصر والشام.
- يحدد خصائص المجتمع المصرى قبيل الحملة الفرنسية.

يستنتج أسباب تصدى المصريين للحملة الفرنسية.

- يصف أوضاع مصر أثناء الحملة الفرنسية.
- يلخص النتائج المترتبة على مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر والشام.
- يوضح خط سير الحملة الفرنسية إلى مصر على خريطة العالم الصماء.
- يعد تقريرا مبسطا عن أهم النتائج العلمية للحملة الفرنسية.
- يناقش دور رجال الأزهر فى قيادة الحركة الوطنية فى مصر أثناء الحملة الفرنسية.
- يقارن بين ثورتى القاهرة الأولى، القاهرة الثانية من حيث الأسباب والنتائج.

القضايا المتضمنة

- العولمة.
- القانون الدولى الإنسانى.

الحملة الفرنسية على مصر والشام (١٧٩٨ - ١٨٠١ م)

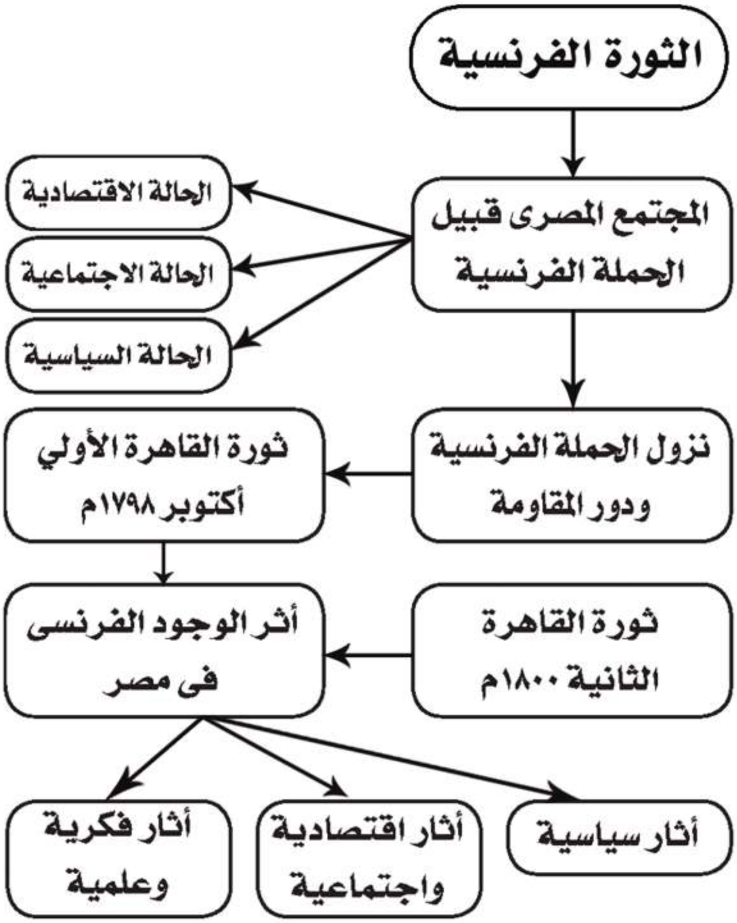

مقدمة :

عزيزى الطالب عزيزتى الطالبة درست فى المراحل السابقة أن مصر خضعت للحكم العثمانى قبل مجئ الحملة الفرنسية إليها ١٧٩٨م وقد ساد المجتمع المصرى حالة من الضعف السياسى والاقتصادى فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى الأمر الذى مكن فرنسا من إرسال حملتها على مصر بعد نجاح ثورتها فى أوربا.

الثورة الفرنسية :

تعد الثورة الفرنسية التى قامت فى ١٤ يولية ١٧٨٩م باقتحام سجن الباستيل أول ثورة اجتماعية فى أوربا بناء على التغيرات التى زامنت الثورة الصناعية فيها، وقد قامت هذه الثورة بقيادة الطبقة الجديدة (البرجوازية - الوسطي) من أصحاب المصالح التجارية والصناعية الجديدة، وذلك بالتحالف مع طبقة العامة، وانتهت بالقضاء على النظام الملكى الإقطاعى وإعلان الجمهورية. ودخلت الثورة فى تجارب مختلفة من أشكال السلطة التنفيذية والتشريعية. فقامت الجمعية التشريعية، ثم المؤتمر الوطني، ثم حكومة الإدارة التى جاءت فى عهدها الحملة الفرنسية على مصر.

وكانت الحملة الفرنسية على مصر والشام سنة ١٧٩٨م جزءًا من التنافس الاستعمارى بين انجلترا وفرنسا على المستعمرات، وقد بدأ هذا التنافس فى القرن السابع عشر واستمر طوال القرن الثامن عشر، ثم اتخذ بعدًا جديدًا بعد قيام الثورة فى فرنسا.

١ - فقد أدرك ملوك أوربا خطر الثورة الفرنسية على عروشهم، ومن ثم بدأوا سياسة التحالف فيما بينهم للقضاء على الثورة وإعادة الملكية لفرنسا، أو منع تسرب مبادئها خارج حدود فرنسا على الأقل. كانت انجلترا عنصرًا مهما فى تلك التحالفات التى شنت أكثر من حرب ضد فرنسا.

وأصبحت لفرنسا مكانة عالية فى أوربا. ومع كل انتصارات الثورة الفرنسية على أعدائها إلا أن انجلترا ظلت بمأمن من ضربات بونابرت بحكم موقعها الجغرافى المنعزل عن القارة الأوربية ، فقد كان من المتعذر على الأسطول الفرنسى نقل الجيش عبر المانش أو بحر الشمال إلى إنجلترا نظرًا لتفوق الأسطول الإنجليزي، ومن هنا بدأ التفكير فى ميدان آخر لضرب انجلترا فكانت مصر.

٢ - لم تكن فكرة الحملة الفرنسية على مصر وليدة العصر الحديث فقط بل ترجع إلى

معلومة إثرائية

كان البحث عن المستعمرات خارج أوربا إحدى خصائص العصر الحديث فى تاريخ أوربا بعد انتهاء الإقطاع وقيام الدول القومية ووجود الرأسمالية التجارية وخاصة بعد اتساع سوق التجارة واتساع نطاق استغلال مصادر المواد الخام فى الشرق والعالم الجديد (الأمريكتين)، وبعد قيام الثورة الصناعية أصبحت الحاجة إلى الأسواق والمستعمرات أمرا أكثر حيوية للدول الرأسمالية الأوربية فى فرض النفوذ والسيادة على مناطق مختلفة فى العالم الجديد والشرق.أما تحويل مجال التنافس الإنجليزى - الفرنسى إلى مصر فهو أمر لا ينفصل عن تطور الحوادث فى فرنسا بعد قيام الثورة، وإعدام الملك لويس السادس عشر، وإعلان الجمهورية (١٧٩٣م)

القرن السابع عشر أيام حكم لويس الرابع عشر (١٦٧٢م-١٧١٤م).. وكان الغرض ضرب التجارة الهولندية فى الهند التى تمر عن طريق مصر، وتجددت الفكرة مرة أخرى أيام لويس الخامس عشر فى القرن الثامن عشر (١٧٦٩م)، ولكن ليس عن طريق إرسال حملة عسكرية، وإنما كان ملك فرنسا يطمع فى أن تتنازل الدولة العثمانية لفرنسا عن مصر، وتكررت الفكرة مرة ثالثة أيام لويس السادس عشر لتسهيل اتصال تجارة فرنسا فى شرق آسيا عن طريق مصر بدلاً من الدوران حول إفريقيا.

٣ - تجددت الفكرة فى الأيام الأولى للثورة من خلال تقارير القنصل الفرنسى فى مصر، حيث كان يحث حكومة الثورة على إرسال حملة عسكرية لإنقاذ التجارة الفرنسية وتأمين تجار فرنسا فى المنطقة من خطر المماليك. وكانت حكومة الإدارة نفسها تفضل ضرب انجلترا فى عقر دارها بدلاً من ضرب مصالحها فى الهند عن طريق مصر، إلا أن نابليون بونابرت كان يرى صعوبة الدخول فى معركة بحرية مع انجلترا، ومن ثم فقد انتصر مشروع غزو مصر بهدف تسهيل مرور التجارة الفرنسية إلى الشرق بدلاً من طريق رأس الرجاء الصالح [1] الذى يسيطر عليه الأسطول الإنجليزى، وبهدف تقويض الامبراطورية البريطانية فى الشرق وإقامة إمبراطورية فرنسية هناك.

المجتمع المصرى قبيل الحملة الفرنسية :

من الأهمية أن نتعرف أحوال المجتمع المصرى الذى واجه الحملة الفرنسية لكى نفهم تطور الأحداث وأسبابها، ومقاومة الاحتلال الفرنسى والثورة عليه، والفرق بين أوضاع المجتمع الفرنسى الأوربى، وأوضاع المجتمع المصرى الشرقى.

■ أولاً: الحالة الاقتصادية :

١ -الزراعة :

- كانت الأرض ملكًا للدولة ممثلة فى السلطان العثماني، وكانت الأرض تزرع عن طريق تكليف الفلاحين بزراعتها فيما عرف بحق الانتفاع، بعد تسديد ما تقرره الدولة من ضرائب.
- كان جمع هذه الضرائب يتم بواسطة ملتزمين يحصل الواحد منهم على التزام (امتياز) جمع الضرائب الخاصة بناحية أو مجموعة نواح.
- كان الملتزم يحصل على قطعة من الأرض معفاة من الضرائب (تعرف بالوسية) مقابل قيامه بجمع الضرائب من المنتفعين، ولقد عانى الفلاحون كثيرًا من سطوة الملتزم فى جمع الضرائب

(١) كانت مستعمرة رأس الرجاء الصالح فى جنوب أفريقيا مستعمرة هولندية يقيم فيها البوير (ومعناها المزارعون الهولنديون) ولما احتلت قوات الثورة الفرنسية هولندا اثناء معارك وحروب الثورة،بادرت انجلترا باحتلال المستعمرة بموافقة هولندا بصفة مؤقتة وحتى تتغير الظروف.

واستغلال نفوذه فى فرض إتاوات خارج الضرائب المقررة لكى يعوض ما دفعه للخزينة ويحقق فائضًا ماليًا. وقد نتج عن ذلك عدم اهتمام الفلاح المنتفع بأمور الزراعة، فضلاً عن أن الدولة لم تهتم كثيرًا بأمور الرى وتقوية الجسور اتقاء للفيضان وحفظ الأمن.

٢ - الصناعة:

كانت لا تزال يدوية بسيطة لم تصل إلى الآلية كما حدث فى أوربا، وكان الصناع ينتظمون فى طوائف تمثل همزة الوصل مع الحكومة من حيث جمع الضرائب والإشراف على الإنتاج، وكانت طوائف الحرف الصناعية جزءًا من نظام الطوائف فى مصر يضم أصحاب المهن المختلفة، وبمقتضاه كان لكل فرد فى المجتمع مكانته تحت قيادة شيخ الطائفة.

٣ - التجارة :

خسرت مصر كثيرًا بسبب تحول الطريق التجارى بين الشرق والغرب إلى طريق رأس الرجاء الصالح، واقتصرت صلاتها التجارية بحوض البحر المتوسط والسودان والحبشة وبلاد العرب واليمن وأسهم إرسال الضريبة المفروضة على مصر للسلطان العثماني، فضلاً عن الهدايا إلى التدهور الاقتصادي، كما تأثرت التجارة الداخلية لعدم استقرار الأمن واشتداد النزاع بين الفرق العسكرية والإغارات المتلاحقة لبدو الصحراء، فضلاً عن عدم ثبات قيمة العملة المتبادلة واختلاف المكاييل والموازين من مكان لآخر. ولقد ساعدت هذه الأحوال التجار الأجانب على السيطرة على أمور التجارة بفضل تنظيمهم من ناحية وبفضل الامتيازات[1] التجارية التى تمتعوا بها من ناحية أخرى.

■ ثانيًا : الحالة الاجتماعية :

كان المجتمع المصرى قبل الحملة الفرنسية ينقسم إلى فئتين :

أ - الحكام : تتمثل فى الأتراك والبكوات المماليك، ولهم السلطة والنفوذ، وعاشوا فى عزلة اجتماعية عن سائر فئات المجتمع .

ب - المحكومون : هم المصريون من المشايخ والعلماء والتجار، ويمثلون شريحة وسطى، والفلاحون وصغار الحرفيين وعامة الناس. وانتشر الجهل وسادت الخرافات والشعوذة، ولم يبق من نور العلم إلا بصيص فى الأزهر، مع إغلاق باب الاجتهاد فى الدين.

---

(١) الامتيازات: هى تسهيلات تعطى للدول.

■ ثالثًا : الحالة السياسية :

استحدث الحكم العثمانى أساليب وأدوات التبعية للسلطان العثماني، وقامت فى مصر ثلاث إدارات تحكمها وتراقب كل منها الأخرى وهي:

- الوالى : هو نائب السلطان .
- الديوان : سلطته مراقبة الوالى بل وعزله .
- البكوات المماليك : إدارة شئون الأقاليم.

وقد حمل هذا النظام فى طياته عوامل ضعفه (هل تعرف لماذا؟) بسبب قصر مدة حكم الوالى وزيادة سلطة الديوان والحامية العسكرية مع ضعف الدولة العثمانية أواخر القرن ١٧، ولذلك تطلع البكوات المماليك للإنفراد بالحكم فى البلاد، وقد وضح هذا أيام على بك الكبير زعيم المماليك فى ١٧٦٣م، حيث انتهز فرصة حروب الدولة العثمانية مع روسيا (١٧٦٨م) فعزل الوالى العثمانى ومنع قدوم غيره، وامتنع عن دفع الخراج، بل وضرب النقود باسمه. وأخضع الحجاز لنفوذه، وأرسل نائبه محمد بك أبو الدهب لغزو الشام، فنجح فى دخول دمشق، إلا أنه انحاز للسلطان العثمانى واتفق معه ضد على بك الكبير، وعادت مصر ولاية عثمانية تحت حكم شيخ البلد محمد بك أبو الدهب، وشهدت الفترة التى تلت حكم (أبو الدهب) صراعات متواصلة بين المماليك أنفسهم أسهمت فى تدهور اقتصاديات البلاد، وتقلص التجارة الخارجية، وعندما وصلت الحملة الفرنسية أرض مصر كانت مصر تحت حكم ثنائى مملوكي: إبراهيم بك ومراد بك.

نزول الحملة الفرنسية ودور المقاومة :

وجد نابليون بونابرت أن خير وسيلة لتوطيد سلطة فرنسا فى مصر أن يعمل على مجاملة الدولة العثمانية بقدر المستطاع، واجتذاب المصريين إلى صفه، وذلك بإقناعهم أنه جاء لمحاربة المماليك الغرباء عن البلاد الذين يستنزفون ثروة مصر ويظلمون أهلها، وأنه يرمى إلى إنشاء حكومة أهلية يكون الحكم فيها للمصريين، وقد عبر عن ذلك فى منشور يونيه ١٧٩٨م، ووزعه فى مصر قبل وصول الحملة إلى الشواطيء المصرية .

وفى الوقت نفسه هدد بحرق القرى والمناطق التى تتعرض للقوات الفرنسية. فوجئ الحكام المماليك بنزول الحملة فى أوائل يوليو ١٧٩٨م، وكانت قوتهم قد استهلكت فى النزاعات الداخلية فيما بينهم، فلم يوجهوا اهتماماتهم إلى تحصين حدود البلاد لمواجهة أية أخطار محتملة. وقبل أن تصل قوات المماليك من القاهرة بقيادة مراد بك لملاقاة الفرنسيين، كان أهالى الإسكندرية بزعامة السيد محمد كريم حاكم المدينة قد واجهوا قوات الغزو، ولهذا اعتقلته القوات الفرنسية، ثم أعدم رميًا بالرصاص فى (سبتمبر ١٧٩٨م).

معلومة إثرائية

نص المنشور

نابليون بونابرت

إننى ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإننى أكثر من المماليك إيماناً أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم، وأن جميع الناس متساوون عند الله، وأن الشيء الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط، وأنه إذا كانت الأرض المصرية التزاماً للمماليك فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم.

واصلت القوات الفرنسية زحفها فى طريقها إلى العاصمة، فالتقت بقوات مراد بك بالقرب من شبراخيت فى البحيرة فى (يولية ١٧٩٨م)، حيث هزم وتقهقر جنوبًا للدفاع عن القاهرة ورابط عند إمبابة، وهناك واجه المماليك الفرنسيين مرة أخرى حيث هزموا وفر مراد بك إلى الصعيد وهرب إبراهيم بك ومعه الوالى العثمانى إلى الشام، وبذلك خلت القاهرة من أية قوة للدفاع، ولكن فى شهر أغسطس أغرق الأسطول الإنجليزى بقيادة نلسون أسطول الحملة فى معركة أبى قير البحرية، فقضى على آمال فرنسا فى بسط سيادتها على حوض البحر المتوسط، وحرم الحملة فى مصر من إمدادات فرنسا لها.

اعتزم بونابرت إنهاء المقاومة فى الصعيد لخطورة ذلك على الملاحة فى نهر النيل، وكان مراد بك قد منع وصول المراكب فعلاً، وفى البداية فكر نابليون فى أن يترك لمراد بك حكم الصعيد من مديرية جرجا وحتى الشلالات تحت الإشراف الفرنسى مع أداء الضرائب اللازمة. لكن مراد رفض التسليم بذلك. فزحفت القوات الفرنسية ضده وانتصرت عليه، ولكنها أخفقت فى إخضاع الأهالى الذين اتبعوا حرب المناوشات والمعارك المتفرقة هنا وهناك والتى أنهكت قوة الفرنسيين نظرًا لطول الوادي، ولقد استمرت روح المقاومة فى الصعيد مدة طويلة قرابة عشرة شهور أكبر من مدة مقاومة الوجه البحري. هل تعرف لماذا؟.

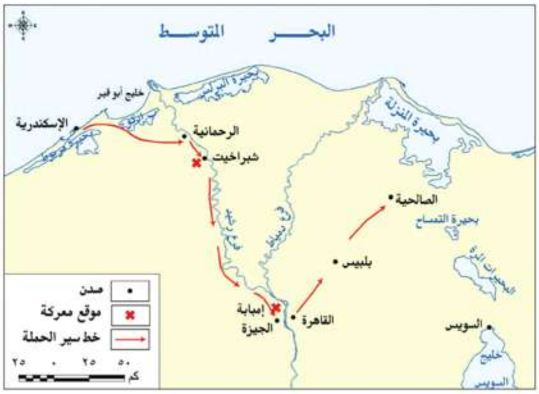

خريطة (١) معارك المماليك والفرنسيين عند دخولهم مصر

لقد ساعد على استمرار المقاومة عدة عوامل منها :

- **وجود اتصالات بين أهالى الصعيد وبين البقية الباقية من جيش المماليك. كما أن قوة محدودة جاءت من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر وانضمت إلى المقاومة.**

- **طول الوادى جنوبًا وبعد الصعيد عن مركز الحكم فى القاهرة بعكس الوجه البحرى الذى استسلم فى أقل من شهر ونصف الشهر ربما لقربه من الحكومة المركزية فى القاهرة وشعور الأهالى بمرارة وقسوة الحكم المباشر للمماليك.**

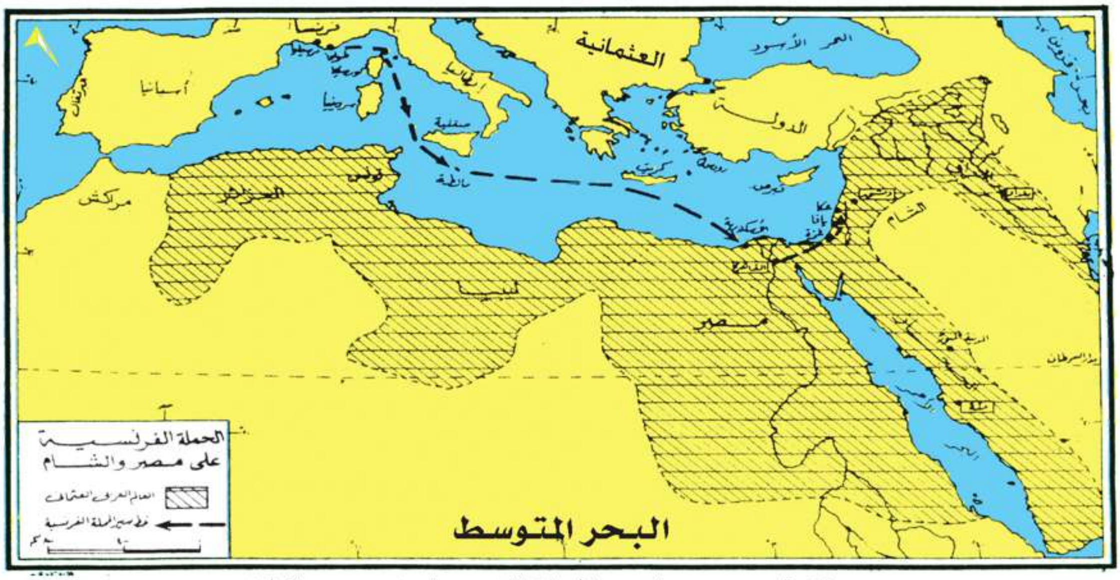

خريطة (٢) توضح خط سير الحملة الفرنسية على مصر والشام

ثورة القاهرة الأولى (أكتوبر ١٧٩٨م) :

خلال معارك القوات الفرنسية لإخضاع الصعيد اندلعت ثورة فى القاهرة ضد الحكم الفرنسي، وتتلخص أسبابها فيما يلى :

- **فرض ضرائب فادحة وخاصة على التجار خلافًا لما وعد به نابليون.**
- **تفتيش البيوت واقتحام الدكاكين بحثًا عن الأموال.**
- **هدم أبواب الحارات والدروب حتى يسهل اقتحام الحارات لمطاردة عناصر المقاومة.**
- **هدم كثيرمن المبانى والآثار والمساجد بحجة تحصين القاهرة.**

على أن فرض الضرائب الكثيرة كان من أكبر عوامل الثورة، فقد وقع عبؤها الأكبر على التجار

والملاك وأصحاب الصناعات لذا أمدوا الثورة بالمساعدات المادية.

ولقد قاد الأزهر الثورة، ونظم قبول المتطوعين بأسلحتهم، وكانت المقاومة شديدة.

نتائج ثورة القاهرة الأولى :

- قتل حاكم مدينة القاهرة الفرنسى (ديبوي) ومعه نحو مائتين، وقتل من المصريين نحو ألفين.

- أخمدت الثورة بالقمع والإرهاب الشديد حيث دخلت القوات الفرنسية الجامع الأزهر بخيولهم فأثار هذا التصرف الشعور الدينى لدى المصريين.

- امتدت ثورة القاهرة إلى الأقاليم المجاورة .

- نجحت القوات الفرنسية فى إخماد الثورة وفرضت الغرامات كما اعتقلت بعض الأعيان ومشايخ البلاد وعطلت الديوان العام.

الأيام الأخيرة للحملة الفرنسية والجلاء :

كانت الدولة العثمانية تسعى لإعادة الأوضاع إلى ماكانت عليه قبل مجىء الفرنسيين، وتحقيقًا لذلك عقدت معاهدة مع انجلترا وروسيا للاشتراك معًا فى إخراج الفرنسيين بالقوة العسكرية بواسطة حملتين، واحدة من جهة الشام والثانية من جهة الإسكندرية .

فلما علم بونابرت بذلك خرج بحملة إلى الشام من جهة العريش (مارس ١٧٩٩م)، ولكنه لم يستطع اقتحام مدينة عكا لحسن دفاع أهلها بقيادة حاكمها أحمد باشا الجزار، وبمعاونة الأسطول الإنجليزي، فقرر نابليون العودةَ إلى مصر، ولم يكد يصل إلى القاهرة ، حتى جاءه نبأ وصول الأسطول العثمانى إلى أبى قيرفى يوليو ١٧٩٩م، فتوجه إلى هناك وهزم العثمانيين شر هزيمة. فى تلك الأثناء بلغت بونابرت المتاعب التى تواجهها حكومة الإدارة فى فرنسا مع النمسا وحلفائها، فقرر العودة سراً تاركاً أمر الحملة فى مصر لنائبه كليبر (أغسطس/١٧٩٩م).

رأى كليبر استحالة بقاء الحملة فى مصر حيث وجد أن الجيش فى تناقص عددى بسبب المعارك والحروب الداخلية والخارجية، والدولة العثمانية أرسلت حملة أخرى إلى العريش ودمياط، والمماليك عادوا للمقاومة مرة أخري، وتجددت ثورة المصريين فى الشرقية وامتدت إلى وسط الدلتا وغربها. كما رأى أن من المصلحة مغادرة الحملة لمصر، ومن ثم قرر عرض أمر الصلح على الصدر الأعظم للدولة العثمانية وقائد الأسطول الإنجليزى فى البحر المتوسط، على أن يخرج بجنوده إلى فرنسا على نفقة الدولة العثمانية، وقد اتفق على ذلك فعلاً فى معاهدة عرفت بمعاهدة العريش (يناير ١٨٠٠م).

ولما علمت حكومة انجلترا بمضمون الاتفاق اعترضت وطلبت استسلام الجيش الفرنسي، فرفض كليبر، وكان كليبر بعد الاتفاق قد سمح للقوات العثمانية بدخول مصر حيث أخذوا يجمعون الضرائب والمعونات قسرًا، ولما تحقق كليبر من نقض اتفاق العريش بإيعاز من انجلترا، هاجم القوات العثمانية

وأعادها متقهقرة إلى الشام مرة أخري.

(ثورة القاهرة الثانية مارس -إبريل ١٨٠٠م) :

انتهز المصريون فى القاهرة فرصة متاعب الفرنسيين فقاموا بثورة وهاجموا معسكرات الجيش الفرنسي، وسرعان ما أخمدت القوات الفرنسية الثورة فى القاهرة وبعض بلدان الوجه البحري، أما الوجه القبلى فقد توصل الفرنسيون إلى إخضاعه بالاتفاق مع مراد بك لكى يحكم الصعيد تحت الحكم الفرنسي، فقبل مراد بك حتى لا يعود الأتراك مرة أخرى لحكم مصر أثناء ذلك قتل كليبر فى (يونية ١٨٠٠م) على يد الشاب السورى سليمان الحلبى أحد طلاب الأزهر، وتولى مينو أمور الحملة وكان -بعكس كليبر- ينوى الإقامة فى مصر وتحويلها إلى مستعمرة فرنسية كبرى، وتحقيقًا لذلك قام بوضع خطة إصلاحية فى مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والصحة والنظام القضائي. لم يتوقف الإنجليز عن فكرة إخراج الفرنسيين من مصر، ولهذا أرسلت انجلترا أسطولاً جديدًا إلى أبى قير (فبراير ١٨٠١م)، وانضم إليه الجيش العثماني، ولم تستطع القوات الفرنسية المقاومة حيث استسلمت أمام القوات الإنجليزية العثمانية التى دخلت مصر ومعها زعماء المماليك: إبراهيم بك، والبرديسي، والألفي، وأيضًا السيد عمر مكرم، وغادرت الحملة الفرنسية مصر فى ١٨ سبتمبر ١٨٠١م.

أثر الوجود الفرنسى فى مصر (١٧٩٨م - ١٨٠١م) :

لم تكن الحملة الفرنسية على مصر مجرد حملة عسكرية تقليدية للغزو والاحتلال، وتهدف فيما تهدف إليه من ضرب للمصالح البريطانية فى الهند، ويتضح هذا من مجموعة العلماء الذين صحبوا الحملة، وعلى هذا عمل بونابرت على تنظيم أمور الإدارة والحكم فى مصر على نمط ما حدث فى فرنسا بعد الثورة من حيث نقل السلطة إلى الطبقة الوسطى وهم الأعيان فى مصر، ولكنه كان نقلاً شكليًا بحت دون أن تكون هناك فرصة حقيقية للممارسة الفعلية إذ كان غرض بونابرت فى النهاية التعرف على ما يدور فى أذهان صفوة المصريين.

■ أولاً - الآثار السياسية :

لقد رأى نابليون أن خير وسيلة لتخطيط سياسات الحكم هو الاتصال مباشرة بطبقة العلماء والأعيان لما لهم من نفوذ ومكانة مرموقة بين الأهالي، ومن خلالهم وبواسطتهم يستطيع تقرير ما يراه، ومن هنا كانت فكرة دواوين العاصمة والأقاليم ثم الديوان العام وكانت سلطات كل الدواوين مقيدة بالمصالح الفرنسية.

ديوان القاهرة : يتألف من تسعة أعضاء من المشايخ والوجهاء للتداول فى أحوال العاصمة.

دواوين الأقاليم : يتألف فى كل مديرية من المديريات (المحافظات حاليًا) ديوانًا يتكون من سبعة أعضاء للنظر فى المصالح والشكاوي، والعمل على منع المشاحنات بين القرى، ويتولى جباية الأموال والضرائب المقررة على الأهالي.

الديوان العام : يمثل سلطة مركزية عليا، ويتشكل من دواوين القاهرة والمديريات، وقد كونه نابليون بونابرت من الأعيان والشخصيات التى لها نفوذ بين المصريين من أصحاب العلم والكفاية بواقع تسعة مندوبين عن كل مديرية (ثلاثة من العلماء، ثلاثة من التجار، وثلاثة من مشايخ القرى ورؤساء العربان)، ويهدف إلى تدريب الأعيان المصريين على نظام مجالس الشورى من حيث الاستشارة وتلقى الآراء فيما يعود على الأهالى بالنفع فى مجالات القضاء والمواريث والملكية العقارية والضرائب. ولقد رأس هذا الديوان الشيخ عبدالله الشرقاوى من علماء الأزهر، وتم اختياره بالاقتراع السرى من بين جملة الأعضاء.

■ ثانيًا - الآثار الاقتصادية والاجتماعية

ما أن تولى مينو الحملة بعد مقتل كليبر، حتى قرر البقاء فى مصر فأشهر إسلامه وتزوج بمصرية من رشيد وخطط لتحويل مصر إلى مستعمرة فرنسية متميزة، وبدأ فى القيام بمشروعات فى مجالات مختلفة تحقيقًا لهذا الغرض من خلال ما يسمى بالمشروع العظيم (١٨٠١م)، والذى قامت فلسفته على الأسس التالية :

■ المساواة بين المصريين فيما يؤدونه من ضرائب.

■ حرمان الملتزمين من ممارسة شئون القضاء والإدارة التى درجوا على القيام بها منذ طبق نظام الالتزام فى مصر.

■ إلغاء كافة الضرائب التى ابتكرها الملتزمون والبكوات المماليك، وتقرر ضريبة واحدة تقوم على حساب عدد أفدنة الحيازة، وحسب درجة الجودة، وتحقيقًا لذلك ألف لجنة لمسح الأراض لمعرفة الحيازة وتحديد الجودة.

■ تحرير الفلاح من جميع القيود المالية والقضائية ليصبح فى مقدوره أن يتصرف فى الأرض التى فى حوزته، لكن جلاء الحملة حال دون تنفيذ بنود هذا المشروع.

١- فى مجال الزراعة : قام علماء الحملة بدراسة مجرى نهر النيل وفحص القنوات والجسور، وتم تخصيص جزء من الأراضى الزراعية العامة لإنتاج الغلات التى تحتاجها فرنسا، وعلى هذا أجريت تجربة لزراعة البن وقصب السكر، وتم إنشاء حديقة لزراعة النباتات المجلوبة من فرنسا مثل الخوخ والمشمش والكمثرى والتفاح، واهتمت الحملة بزراعة الأرز والقمح والذرة وغيرها من الغلات التقليدية الموجودة فعلاً. وقد أثمرت هذه الجهود فانتعشت الزراعة فى مصر.

٢- فى مجال الصناعة: اقترح مينو إنشاء مصانع لا تضم عمالاً مصريين حتى لا تتسرب أسرار الصناعة إليهم. وقد حدث ذلك بالنسبة للنسيج والحدادة وصناعة الساعات والدباغة وصناعة حروف الطباعة، كما تم إنشاء طواحين هواء وإصلاح دار صناعة السفن (الترسانة) والتى كان مراد بك قد أنشأها فى الجيزة.

٣ - فى مجال التجارة: اهتم مينو بإحياء التجارة التى ركدت بسبب حصار الإنجليز للشواطئ المصرية ووجود الجيش العثمانى فى سوريا، وعلى هذا الأساس استطاع مينو أن يفتح أسواقًا لمصر فى بلاد البحر الأحمر حيث سارت المراكب بين جدة وينبع والسويس محملة بالأنسجة القطنية والشيلان الصوفية والحرير والبن، وكان نابليون أول من بدأ سياسات التفاهم مع شريف مكة. وكان ضمن برنامج مينو إجراء علاقات مع سنار ودارفور فى السودان والحبشة وبلدان شمال أفريقيا.

٤- فى مجال الصحة العامة: تم إنشاء محاجر صحية فى القاهرة والإسكندرية ودمياط ورشيد، وكذلك مستشفى عسكري.

٥- فى مجال القضاء : أجرى نابليون بعد عودته من حملة عكا تغييرًا فى نظام القضاء الشرعى المعمول به آنذاك :

- جعل العلماء المصريين يتولونه بطريق الانتخاب فيما بينهم بدلاً من القضاة الأتراك.
- حدد النظام رسوم التقاضى بواقع ٢٪ من قيمة المتنازع عليه وكانت قبل ذلك متروكة للأهواء.
- وقد أضاف مينو تغييرًا فى التقاضى بين الناس ، حيث قرر رفض مبدأ «الدية» وترك هذا الأمر إلى القضاء والخضوع لأحكامه فيما يتعلق بالمنازعات .
- أنشأ محكمة لكل طائفة من الطوائف الموجودة : القبط، والشوام، والروم، واليهود.
- تقرر عرض الأمر على القضاء الإسلامى (المحكمة الشرعية) إذا رغب أحد طرفى الخصومة من غير المسلمين أو كليهما فى ذلك. هذا فضلا عن تنظيمه للضرائب حيث :
- تحددت ضريبة التركات والأموال المنقولة بمقدار ٥٪، مع تعميمها على من يقيم فى مصر أيا كانت جنسيتهم أو ديانتهم .
- ألزم الجميع بما فى ذلك الفرنسيين بدفع الضرائب العامة للخزينة.
- عمل على توحيد الضرائب كلها فى ضريبة واحدة وهى ضريبة الأرض الزراعية.

■ ثالثًا : الآثار الفكرية والعلمية

تعد أبرز مؤثرات الحملة الفرنسية : حيث كان مع الحملة طائفة من علماء فرنسا النابغين فى مختلف فروع علوم العصر، وطائفة من رجال الفنون من المصورين والرسامين والموسيقيين والنحاتين بلغوا جميعًا نحو ١٤٦ عالمًا.

المجمع العلمى المصرى :

أقام نابليون بجانب الديوان العام المجمع العلمى. وذلك على غرار المجمع العلمى الفرنسى فى باريس والذى كان نابليون نفسه عضوًا به ؛ وكانت مهمته العمل على تقدم العلوم والمعارف فى مصر، ودراسة المسائل الطبيعية والصناعية والتاريخية ونشرها، وإبداء الرأى العلمى للحكومة فى المسائل التى تستشيره فيها، وبعبارة أخرى العمل على ربط السياسة بالعلم.

معلومة إثرائية

المجمع العلمى

مجلسٌ له صفة علمية وله علاقة بإدارة الحكومة فى الوقت نفسه، وقد اختار نابليون لعضويته خلاصة علماء الحملة فى التخصصات المختلفة مع مجموعة من كبار القادة والضباط العسكريين الذين لهم باع فى العلوم. وقد تألف المجمع من أربعة أقسام رئيسة ، وكل قسم يتألف من إثنى عشر عضوًا، والأقسام هى : (الرياضيات / الطبيعيات / الاقتصاد السياسى / الآداب والفنون) .

وقد تمكن المجمع خلال فترة الحملة من إقامة مطبعة عربية وأخرى فرنسية، وإنشاء جريدتين فرنسيتين إحداهما سياسية والأخرى علمية اقتصادية وتصدر كل عشرة أيام. كما أصدر مينو جريدة باللغة العربية لنشر الأوامر والقرارات الإدارية لتوضيح أغراض الحكومة وتحذير الناس من الاستماع لأصحاب الميول المعادية للفرنسيين.

لقد كان وجود المجمع العلمى بكل إنجازاته نافذة أطل منها المصريون على ما يدور فى أوربا من تقدم فى العلوم وفى الأفكار السياسية والاقتصادية بحيث اعتبرت الحملة بصرف النظر عن وجهها العسكرى صدمة حضارية وثقافية، ولا شك أن فكرة الدواوين نبهت المصريين إلى فكرة المشاركة فى الحكم بدلاً من فكرة الحكم المطلق المستبد، كما نبهت الحياة الاجتماعية للفرنسيين الأذهان إلى وجود أنماط من الحياة والعلاقات فى أوربا تختلف عن تقاليد المجتمع الشرقي، ومن ثم اتجه البعض إلى محاكاة هذا النوع من الحياة.

وهناك ثلاثة أعمال كبرى قام بها علماء الحملة:

■ **الأول** : محاولة شق قناة تربط بين البحرين الأحمر والمتوسط، ولكن لم تنجح المحاولة بسبب خطأ فى حسابات مستوى مياه البحرين.

■ **الثانى** : تأليف كتاب وصف مصر وهو أول موسوعة عنها.

■ **الثالث** : العثور على حجر رشيد مما مكن شامبليون من قراءة الكتابة المصرية القديمة، وما ترتب عن ذلك من فتح أبواب التاريخ المصري القديم.

---

(١) انظر كتاب المجمع العلمى

أسئلة الفصل الأول

١ : «لم تكن الحملة الفرنسية على مصر مجرد حملة عسكرية تقليدية للغزو والاحتلال». على ضوء هذه العبارة وضح ما يلى ..

(أ) إصلاحات نابليون بونابرت فى مجال القضاء

(ب) أحوال المجتمع المصرى الذى واجه الحملة الفرنسية وفى صالح من كان التفوق المادى والحضارى

(جـ) دور الأزهر الشريف وقيادته لحركة الكفاح ضد الفرنسيين.

٢ : قارن من خلال جدول بين أسباب ونتائج كل من ثورتى القاهرة الأولى والثانية.

وجه المقارنة	ثورة القاهرة الأولى	ثورة القاهرة الثانية
الأسباب		
النتائج		

٣: ما الأسس التى قام عليها مشروع مينو العظيم؟

٤: ما النتائج التى ترتبت على ... ؟

(أ) الحملة الفرنسية من الناحية السياسية.

(ب) مشاركة المصريين فى الدواوين فى عهد الحملة الفرنسية.

(جـ) إنشاء المجمع العلمي.

(د) وجود نظام الطوائف الحرفية فى مصر قبيل مجيء الحملة الفرنسية.

٥ : ماذا تقول لكل من .... ؟

(أ) القائد مينو.

(ب) سليمان الحلبى الذى قتل كليبر.

٦ : بم تفسر.....؟

(أ) تعد الثورة الفرنسية أول ثورة اجتماعية فى أوربا.

(ب) فشل حركة على بك الكبير.

(جـ) طول مدة المقاومة للحملة الفرنسية فى الصعيد.

الفصل الثاني

بناء الدولة الحديثة فى مصر
مطلع القرن (١٩) وحتى الثورة العرابية

يتوقع بنهاية هذا الفصل يكون الطالب قادرًا على أن:

- يحدد القوى التى أثرت على الحياة السياسية فى مصر بعد خروج الحملة الفرنسية، ودور كل منها.
- يوضح طريقة وصول (محمد علي) لحكم مصر.
- يعدد الإجراءات التى اتخذها (محمد علي)لتوطيد حكمه فى مصر.
- يلخص الجهود التى بذلها (محمد علي) للنهوض بقطاعات النشاط الاقتصادى فى مصر.
- يفسر النتائج المترتبة على معاهدة لندن ١٨٤٠م.
- يوضح أثر المؤامرات الأوربية فى فشل مشروع الاستقلال للخديو إسماعيل.
- يحدد على خريطة الوطن العربي توسعات (محمد علي).
- يعد تقريرا مبسطا عن سياسات (محمد علي) الاقتصادية.
- يكتب بحثا قصيرا عن سياسة (محمد علي) التعليمية وأثرها فى النهضة العلمية والثقافية.
- يقدر دور (محمد علي)فى بناء الدولة الحديثة فى مصر.

القضايا المتضمنة

- حسن استخدام الموارد وتنميتها.
- حقوق الإنسان.

بناء الدولة الحديثة فى مصر

- **خروج الحملة الفرنسية والفراغ السياسى فى مصر ١٨٠١ - ١٨٠٥م**
  - قوة الشعب المصرى
  - الصراع بين القوى الثلاث
  - ثورة الشعب المصرى وتعيين (محمد على) واليا على مصر
- **توطيد حكم (محمد على)**
  - التفوق على التحالف المملوكى الإنجليزي
  - القضاء على الزعامة الشعبية
  - مذبحة القلعة
- **مظاهر بناء الدولة الحديثة فى عهد (محمد على) وخلفاؤه**
  - الأحوال الاقتصادية وتطورها
  - الأحوال الاجتماعية وتطورها
  - التعليم ودوره فى بناء الدولة الحديثة
- **البناء السياسى للدولة الحديثة فى مصر**
  - السلطتان التنفيذية والتشريعية
  - التقسيم الإدارى
  - السلطة القضائية
- **محاولات الاستقلال عن الدولة العثمانية**
  - بناء القوة العسكرية
  - سياسة مصر الخارجية وتدخل الدول الاوربية
  - القوة العسكرية فى عهد خلفاء محمد علي
  - إسماعيل ومشروع استقلال مصر
- **انهيار سياسة الاحتكار وآثاره**
  - على الأوضاع الإقتصادية
  - على الأوضاع الاجتماعية
  - على التعليم

خروج الحملة الفرنسية والفراغ السياسى فى مصر (١٨٠١-١٨٠٥)م :

بعد خروج الفرنسيين من مصر حدث تنازع على السلطة فى البلاد بين ثلاث قوى وهي: .

١- العثمانيين (الأتراك): تطلع السلطان العثمانى إلى إعادة بسط حكمه ونفوذه على مصر، ولهذا عزم على محاربة المماليك والقضاء عليهم.

٢- الإنجليز: كانت انجلترا تطمع فى أن تبسط نفوذها على وادى النيل وتحتل بعض المواقع المهمة على شواطئ البحر المتوسط والبحر الأحمر لتأمين طريق مواصلاتها إلى الهند، ومن هنا لم تكن تفكر فى إجلاء قواتها عن مصر، والتى قد جاءت للمشاركة فى إجلاء الفرنسيين.

٣- المماليك: وكانوا يطمعون بدورهم فى استعادة حكمهم للبلاد بعد خروج الفرنسيين، وتحقيقًا لهذا فكروا فى الاستعانة بالإنجليز ضد الأتراك، ولم يبد الإنجليز من ناحيتهم أية اعتراضات بل تركوا المماليك يعيشون فى وهم عودتهم لحكم البلاد بمساعدة إنجليزية، وفى الوقت نفسه كان الإنجليز يفكرون فى استخدام المماليك للغرض نفسه. غير أن موقف المماليك كان ضعيفاً للأسباب التالية:

- قلة عددهم نسبيًا بسبب المعارك مع الفرنسيين.
- انقسام صفوفهم بين مراد بك وإبراهيم بك.
- اختلافهم حول معالجة الأمور فى مصر بعد خروج الفرنسيين.

- ففريق يرى التعاون مع الإنجليز والدخول تحت حمايتهم ويتزعمه محمد بك الألفي.

- فريق ثانى يرى الاستنجاد بفرنسا ويتزعمه عثمان بك البرديسي، وكلا الفريقين من مجموعة مراد بك .

- فريق ثالث رأى التوقف عن القتال والتزام الحياد وموالاة الأتراك ويتزعمه عثمان بك حسن.

قوة الشعب المصرى :

هذه القوة لم تكن تتصارع على الحكم مثلما كان الحال بالنسبة للقوى الثلاث، وإنما نبتت من قلب حوادث الصدام بين تلك القوى، وكانت الزعامة المصرية قد تبلورت قبل ذلك منذ أيام الغزو الفرنسى ومقاومة الفرنسيين، واتسعت خبراتها بالدخول فى تجارب الحكم والسياسة مع الفرنسيين والاطلاع على المعارف الجديدة . ولقد أسهمت كل هذه الأحداث فى بروز شخصيات معينة من العلماء والأشراف والتجار[١] التى ساعدت فى التخلص من الفرنسيين والمماليك والإنجليز، وتعيين محمد علي حاكمًا على مصر.

---

(١) أمثال السيد عمر مكرم (نقيب الأشراف)، والسيد محمد السادات (من قيادات الطرق الصوفية)، والشيخ عبدالله الشرقاوى (من العلماء)، والشيخ محمد المهدى (من العلماء)، والسيد أحمد المحروقى (من كبار التجار)

الصراع بين القوى الثلاث:

بعد أن غادر الفرنسيون مصر ، عين خسرو باشا واليًا على مصر من قبل السلطان العثماني، وبدأت الدولة العثمانية تعمل على استعادة حكم البلاد بالتخلص من المماليك تدريجيًا، وحرص السلطان على وقوع الفرقة والانقسام بين المماليك فعين محمد الألفي، أحد زعمائهم المتنافسين حاكمًا على الصعيد، ومن ناحية أخرى تم التخلص من مجموعة من أتباع مراد بك والبرديسى فى أبى قير، ومن مجموعة أخرى فى القاهرة. غير أن الإنجليز تدخلوا للحيلولة دون تنفيذ القتل فى زعماء المماليك ، فاكتسب الإنجليز بذلك تأييد المماليك، واتفقا على الانتقام من الأتراك، ومن ثم تجمع المماليك فى الصعيد لتنظيم قواتهم (أواخر يناير ١٨٠٢م).

معلومة إثرائية

صلح إميان

كان بين انجلترا وفرنسا وهولندا وأسبانيا وذلك فى إطار تسوية حروب فرنسا فى أوربا

فى تلك الأثناء كانت فرنسا قد استعادت علاقاتها بالدولة العثمانية فخشى الإنجليز أن تؤثر مساندتهم للمماليك على علاقاتهم بالسلطان، فقرروا التخلى عن تأييد المماليك، بل نصحوهم بقبول شروط السلطان والاستسلام للحكم العثماني، ورحلت القوات الإنجليزية عن مصر (مارس ١٨٠٣م) تطبيقًا لشروط صلح إميان (مارس ١٨٠٢م).

وعلى هذا توطد مركز خسرو باشا الوالى العثماني، فلما بلغ المماليك نبأ رحيل الإنجليز خافوا على مستقبلهم، ومن ثم قرر محمد بك الألفى السفر برفقة الإنجليز إلى انجلترا بدعوى عرض قضية استقلال مصر والحصول على مساعدة الإنجليز ضد العثمانيين، وتجددت الحرب بين المماليك والعثمانيين، واستطاع المماليك احتلال المنيا وجعل الملاحة فى نهر النيل تحت سيطرتهم.

بروز شخصية محمد علي :

(محمد علي باشا)

بدأت البلاد تواجه فترة من الفوضى والصراعات بين الفرق السياسية المتناحرة، وتعدد الولاة فى فترة وجيزة، ومنهم خسرو باشا الذى عجز عن دفع رواتب الجنود المتأخرة، فتمرد الجنود وهاجموا القلعة (مقر الوالي) ، حتى اضطر خسرو باشا للهروب إلى دمياط؛ ثم قبض الجنود على خسرو وسجنوه في القلعة.

وتم تعيين طاهر باشا الذى عجز هو الآخر عن دفع الرواتب فقتلوه وقاموا

بتعيين أحمد باشا فتحالف محمد علي مع المماليك (بزعامة البرديسى وإبراهيم بك) لإقصائه ولم يمض فى الحكم إلا يومًا واحدًا. ثم طرد المماليك القوات العثمانية من القاهرة وأصبح منصب الوالى خاليًا.

فعين السلطان العثمانى على باشا الجزايرلى واليًا على مصر، إلا أن أمراء المماليك قتلوه قبل أن يتولى أمور الحكم فى (يناير ١٨٠٤م) وبمقتله لم تعد هناك قوى متنافسة على الحكم إلا محمد علي (قائد الألبان)، والمماليك الذين زادت قوتهم نسبيًا بعودة محمد بك الألفى من انجلترا بعد أن ضمن تأييد انجلترا له.

ونتيجة عداء البرديسى للألفى والمنافسة الحادة بين فرق المماليك، فقد قرر البرديسى اعتقال الألفى لكنه هرب إلى الصعيد وأخذ يسعى فى تكوين مجموعة تناصره، وانفرد البرديسى بأمور الحكم فى القاهرة.

فى تلك الأثناء عانت البلاد من أزمة اقتصادية بسبب نقص مياه فيضان النيل (أغسطس ١٨٠٣م) اضطر البرديسى إلى فرض الضرائب الكثيرة على كل الطوائف، مما أدى إلى الثورة ضده فى (مارس ١٨٠٤م). وأمام تطور الموقف العام خشى (محمد علي) أن تصيب الثورة جنوده فجاهر بالانضمام إلى العلماء والمشايخ، واختلط بالأهالى الساخطين، وتعهد للعلماء بأن يبذل قصارى جهده لرفع الضريبة عن الناس، كما أوصى جنوده باحترام الشعب.

بهذه السياسة كسب محمد علي عطف الشعب وثقة زعمائه، وبدأ الناس ينظرون إليه كرجل عادل يكره الظلم، وانتهز محمد علي موجة الغضب العام ضد المماليك فهاجم مراكزهم فى القاهرة، وحاصر بيوت زعمائهم، فهرب الجميع إلى الصعيد. وبذلك حدث فراغ سياسى بالنسبة لسلطة الحكم فى القاهرة، وهنا اقترح محمد علي إطلاق سراح خسرو باشا من سجنه بالقلعة وتعيينه واليًا، فارتفع مركزه، فلما اعترض أنصار طاهر باشا على إعادة تعيين خسرو باشا، اقترح (محمد علي) تعيين خورشيد باشا محافظ الإسكندرية باعتباره عثمانيًا. وتم تعيينه غير أن خورشيد لم يكن ليطمئن لموقف (محمد علي) فعمل على التخلص منه وفى سبيل ذلك أقدم على ما يلى:

١ - طلب من محمد علي التوجه إلى الصعيد لمحاربة المماليك.

٢ - طلب من السلطان العثمانى إرسال فرق عسكرية لتدعم سلطة الدولة، فأرسل له السلطان فرقًا عرفت بالدلاة (المتهورين المجانين) حيث أخذوا يعيثون فى الأرض فسادًا ونهبًا.

٣- طلب من السلطان استدعاء فرق الأرناؤود والألبان التى يتزعمها (محمد علي) إلى استانبول،

فرفض محمد علي تنفيذ ذلك بتأييد العلماء، فما كان من خورشيد إلا أن استصدر من السلطان قرارًا بتعيين محمد علي واليًا على جدة فى (مايو ١٨٠٥م) لكنه لم يمتثل أيضًا استنادًا إلى تأييد العلماء.

ثورة الشعب المصرى وتعيين «محمد علي» واليًا على مصر .

زاد غضب المصريين ضد فرق الدلاة وضد فرض الضرائب، فاجتمع زعماء الشعب من العلماء ونقباء الطوائف بدار المحكمة فى (مايو ١٨٠٥م)، وقرروا عزل خورشيد باشا وتعيين محمد علي واليًا بدلاً منه، وأخذوا عليه العهود والمواثيق أن يسير بالعدل، وألا يبرم أمرًا إلا بمشورتهم، وكانت هذه أول مرة فى تاريخ مصر الحديث التى يعزل فيها الوالى بإرادة الشعب، ويعين آخر بإرادة الشعب، وأن يكون اختياره بمعرفة زعماء الشعب، ومن ثم ترجع قيمة هذا الحدث فى أنه يعد أول صك اجتماعى فى مصر والوطن العربى.

وكان طبيعيًا ألا يستسلم خورشيد باشا لعزله وتعيين محمد علي، وآثر المقاومة فدارت المعارك وتزعم عمر مكرم المقاومة لصالح محمد علي، حتى جاء رسول السلطان بالموافقة على تولية محمد علي حيث رضى بذلك العلماء والرعية.

توطيد سيادة محمد علي :

لقد أدرك محمد علي أنه لكى تستقر له أمور الحكم عليه أن يتخلص من منافسيه ومن ثم عمل على مايلى :

١- التفوق على التحالف المملوكى الإنجليزى :

بعد تولية محمد علي حكم مصر لم يرضخ كل من الانجليز والمماليك بسهولة حيث انتهز المماليك فرصة انشغال محمد علي فى الاحتفال بوفاء النيل (أغسطس ١٨٠٥م) ، وهاجموا القاهرة، وكانت الجيزة تحت سيطرتهم، إلا أن قوات محمد علي استطاعت صد الهجوم ومطاردة المماليك فى الصعيد.

وحاولت انجلترا إقناع السلطان بعزل محمد علي وإسناد ولاية مصر إلى محمد بك الألفي، أو إلى أى والٍ عثمانى آخر، كما كان الحال قبل ذلك، بحيث تترك الأمور الداخلية للمماليك بدعوى الاستقرار، واستجاب السلطان العثمانى لانجلترا وأرسل أسطولاً لمصر يحمل أمرًا بتعيين محمد علي واليا على سالونيك (فى مقدونيا) مع تسليم السلطة دون معارضة أو مقاومة إلى الوالى العثمانى موسى باشا الذى جاء مع الأسطول فى (يوليو ١٨٠٦م) .

وأثناء ذلك اتصل محمد علي بالسيد عمر مكرم ممثل الزعامة الشعبية المصرية، واتفقا على ترتيب أمر عدم الامتثال للسلطان العثمانى ومقاومة الأتراك والمماليك معًا، وهنا اضطر السلطان

العثمانى إلى التخلى عن فكرة عزل محمد علي من ولاية مصر والعمل على تثبيته مقابل دفع أربعة آلاف كيس نقود.

لكن انجلترا لم تيأس من محاولات عزل محمد علي، وانتهزت انجلترا فرصة تدهور علاقاتها مع السلطان العثمانى بسبب انحيازه لفرنسا، فاتفقت مع روسيا على ضرب تركيا فى مصر، ومن هنا وجهت حملة عسكرية لاحتلال مصر وعزل محمد علي وتنصيب محمد بك الألفي، وهى الحملة المعروفة بحملة فريزر فى مارس ١٨٠٧م.

حملة فريزر (مارس ١٨٠٧م):

نزلت الحملة إلى الإسكندرية ومنها إلى رشيد، وكان الألفى قد مات قبل وصولها بشهرين تقريبًا، ولم تكن انجلترا تعلم بذلك، كما كان محمد علي لا يزال فى الصعيد يطارد المماليك، ووقع عبء النضال والمقاومة على المصريين الذين قاوموا الإنجليز بضراوة فى شوارع رشيد وفى الحماد، وأسروا بعض الإنجليز، وقتلوا البعض الآخر، فتقهقر الإنجليز إلى الإسكندرية للاحتماء بها.

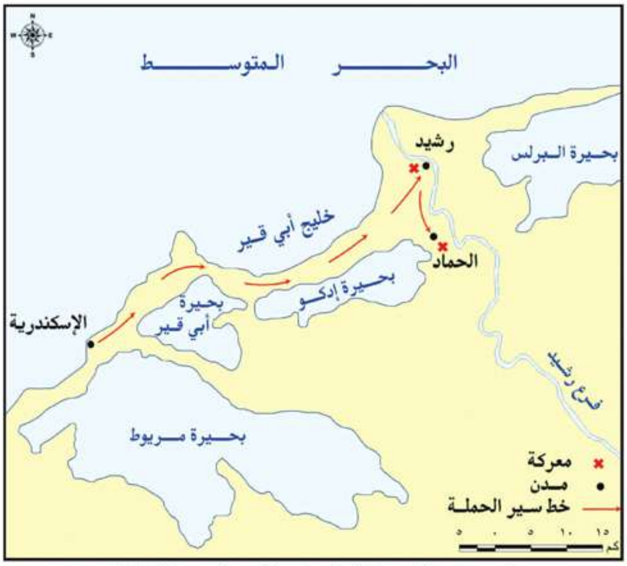

خريطة (٣) حملة فريزر فى مارس ١٨٠٧م

فى تلك الأثناء عاد محمد علي من الصعيد وزحف إلى الإسكندرية لإخراج الإنجليز منها، وضرب الحصار حول المدينة فلم يجد فريزر مفرًا من طلب الصلح والجلاء مقابل الإفراج عن الأسري، ووافق محمد علي ودخل الإسكندرية ظافرًا.

٢- القضاء على الزعامة الشعبية:

أدرك محمد علي قوة الزعامة الشعبية ودورها فى توليته الحكم، والقيود التى فرضتها عليه عند قبوله الولاية، كما بدأ يتوجس من زيادة مكانة عمرمكرم فى نفوس الناس نظرًا لدوره الواضح فى رسم خطوط مقاومة حملة فريزر.

وقد رأى محمد علي ضرورة أن ينفرد بالحكم دون وصاية شعبية. وأخذ يترقب الوقت المناسب للتخلص من السيد عمر مكرم، وقد ساعده فى بلوغ أهدافه انقسام القيادات الشعبية فيما بينها حول تقدير ومكانة

عمر مكرم نفسه ، ومكانته التى يتمتع بها بين الناس، حيث أخذ منافسوه يدسون له عند محمد علي، وانتهز محمد علي الفرصة ليزيد من انقسام الزعامات الشعبية.

ثم وقعت الأزمة، فنتيجة لانخفاض فيضان النيل (أغسطس ١٨٠٨م) ساءت الأحوال وارتفعت الأسعار، وزادت الحكومة الضرائب، فاحتج الناس لدى العلماء، وطالب العلماء بدورهم محمد علي بتخفيف الأزمة عن طريق عدم تحصيل الضرائب المقررة، فنهرهم محمد علي لأنهم لم يفعلوا مع الناس مثلما فعل هو معهم، وكان محمد علي يشير بذلك إلى أنه أعفى العلماء الملتزمين من دفع ضرائب الفائض من التزامهم فوضعهم بذلك فى مأزق مع الناس.

وانتهز محمد علي هذه الأزمة الاقتصادية ليتخذ بعض القرارات فيما يتعلق بالضرائب والملكية تحقق له أغراض السيطرة والانفراد بالحكم ومنها:

- فرض ضريبة المال الميرى على الأراضى الموقوفة وأطيان الأوسية (الخاصة بالملتزمين).
- الاستيلاء على الأطيان التى لا يثبت أصحابها حجج ملكيتها.
- إلزام الملتزمين بتقديم نصف الفائض من الالتزام ونصف الصافى من إيراد الأطيان.
- فرض ضريبة تمغة على المنسوجات والأوانى والمصوغات.

وكان لابد من موافقة السيد عمر مكرم على هذه الإجراءات طبقًا لشروط التولية، لكن عمر مكرم رفض التباحث مع محمد علي، وانتهزت العناصر المنافسة لعمر مكرم الفرصة ، وأخذت توغر صدر محمد علي ضده، فعزله من نقابة الأشراف ونفاه إلى دمياط (١٨٠٩م) وتولية محمد السادات بدلا منه وأصبح السادات أداة طيعة فى يد محمد علي.

٣- مذبحة القلعة ١٨١١م:

بنفى السيد عمر مكرم إلى دمياط لم يبق أمام محمد علي إلا المماليك، ويخلص له حكم مصر دون منافسة ، وكان محمد علي قد أغرى المماليك بترك الصعيد والإقامة فى القاهرة لكى يكونوا تحت بصره فيأمن مكرهم، ولما طلب السلطان من محمد علي التوجه إلى الحجاز لضرب الحركة الوهابية، خشى محمد علي عودة المماليك لمناوأته منتهزين فرصة غياب الجيش فى الحجاز، وعلى هذا دبر أمر التخلص منهم، إذ دعاهم إلى الاحتفال بالقلعة بمناسبة خروج الجيش المصرى بقيادة ابنه طوسون إلى الحجاز. وبعد انتهاء مراسم الاحتفال حوصرت فرق المماليك وتم قتلهم جميعًا إلا من استطاع الفرار فى (أول مارس ١٨١١م).

وهكذا انفرد محمد علي بحكم مصر وبدأ فى بناء القوة الذاتية المنظمة فى النواحى الاقتصادية والإدارية والسياسية، ومن الملاحظ أن سياسات محمد علي الاقتصادية في مصر تأثرت بالبيئة الأوربية التجارية التى عاش فيها قبل أن ينخرط فى الجيش العثماني، مما أثر فى الكثير من قراراته وتوجهاته.

مظاهر بناء الدولة الحديثة فى عهد محمد على وخلفاءه :

١- الأحوال الاقتصادية وتطورها :

الاحتكار في عهد (محمد علي):
أن تقوم الحكومة ممثلة فى محمد علي بالإشراف على الإقتصاد جملة وتفصيلا من خلال تحديد نوع الغلات التى تزرع ونوع المصنوعات التى تنتج، وتحديد أثمان شرائها من المنتجين، وأثمان بيعها فى السوق،

الاحتكار:

نظم محمد علي الاقتصاد المصرى فى الزراعة والصناعة والتجارة على قاعدة الاحتكار، ليضمن الدخول فى سوق التجارة الدولية منافسًا لغيره من الدول، والآن تعالى معنا نتعرف نظام الاحتكار فى المجالات الاقتصادية المختلفة :

■ الزراعة :

عند تولية محمد علي حكم مصر كانت الزراعة قد تدهورت نتيجة العوامل التالية :

- تكاسل الفلاحين عن العمل الزراعى لعدم حصولهم إلا على القليل جداً من حاجات المعيشة.
- نظام ملكية الأرض والانتفاع، لم يكن يسمح بتنمية زراعية حقيقية.
- إهمال الرى وتعدد الضرائب المفروضة على الفلاحين وعدم عدالتها وتركها فى أيدى الملتزمين، مما تسبب فى تحول كثير من الأراضى الزراعية إلى صحراوات، وتضاءلت خصوبة الأرض ولم تتنوع غلاتها.

وخلال ستة أعوام (١٨٠٨م-١٨١٤م) قام محمد علي بسلسلة من الإجراءات انتهت إلى تغير أوضاع الملكية والحيازة الزراعية، وذلك بإلغاء نظام الالتزام حين صادر أراضى الملتزمين وسجلها باسم الدولة.

ناقش مع معلمك النتائج التي ترتبت على سياسة محمد علي في مجال ملكية الأرض بعد إلغاء الالتزام.

تطوير الزراعة : اتبع محمد علي سياسة زراعية تتلخص فى توفير أكبر قدر من الدخل من الإنتاج الزراعى بالأساليب الآتية :

- إحلال أساليب زراعية جديدة من شأنها زيادة الإنتاج وتقليل الجهد، استقدم المدربين الماهرين من كل

مكان، وحدد الواجبات والمسئوليات.

- الاهتمام بالتعليم الزراعي، حيث استقدم الخبراء الزراعيين من الخارج وأنشأ مدرسة للزراعة.
- تحسين طرق الري، حيث اهتم بشق الترع وحفر القنوات وإنشاء القناطر وأهمها القناطر الخيرية، ونتج عن ذلك تحويل أراضى الوجه البحرى إلى الرى الدائم.
- إدخال أنواع جديدة من الغلات الزراعية مثل أشجار التوت لتربية دود القز، ونبات النيلة الهندية، وتحسين زراعة القطن .

ولقد كان الاحتكار يطبق فى الزراعة على النحو التالي:

١ - تزويد الفلاح باحتياجات الزراعة من بذور ومواشى وأدوات يخصم ثمنها أو قيمتها من قيمة المحصول عند تسليمه.

٢ - إلزام الفلاحين بزراعة ما تقرره الحكومة من الحاصلات الزراعية.

■ الصناعة :

كانت أحوال الصناعة عندما تولى محمد علي حكم البلاد لا تلائم حاجة الجيش، والأسطول، ذلك أن نظام طوائف الحرف الصناعية خضع فى أواخر الحكم العثمانى للحكومة، ولم تعد الطائفة مجالاً للارتقاء بالمهنة.

ولذا رأى أن احتكار الإنتاج الحرفى أو خضوع الصناعات لنظام الاحتكار، وسيلة لتنظيم الصناعة لكى تحقق أهداف بناء القوة الذاتية للبلاد وكان ذلك من خلال:

١ - إمداد الصناع بالمواد الخام اللازمة للصناعة بالثمن الذى تحدده الحكومة.

٢ - شراء المنتجات بالسعر الذى تحدده الحكومة.

٣- رفع أسعار بيع المواد الخام للصناع وخفض أسعار شراء منتجاتهم لتحقيق الربح المناسب.

وقد ساعدت هذه السياسة محمد علي فى تطوير الإنتاج الصناعى بالإجراءات التالية:

١ - إقامة مصانع حكومية تتبع الدولة مباشرة (قطاع عام)، وذلك لتوفير الصناعات المطلوبة، واستقدم خبراء من الخارج.

٢ - إجبار مشايخ الحارات على جمع الصبية للعمل فى مصانع الدولة إجباريًا، فأصبحت بمثابة مدارس صناعية.

٣- تخصيص بعثات للخارج منذ فترة مبكرة (١٨٠٩م) لدراسة فنون الصناعة المختلفة وترجمة الكتب الصناعية.

التجارة :

خضعت التجارة أيضًا للاحتكار فى عهد محمد علي وكان ذلك على النحو التالى:

١ - التجارة الداخلية : احتكر محمد علي تسويق جميع الحاصلات الزراعية.

٢ - التجارة الخارجية : قامت بها الدولة مباشرة بالوسائل الآتية:

- البيع للتجار الأجانب فى الداخل والخارج.

- احتكار تجارة الواردات، وكان محمد علي لا يشجع الاستيراد كثيرًا، إذ كان يرى أن الدولة القوية هى التى تزيد صادراتها على وارداتها.

النقل والمواصلات :

وقد اتصل بتسهيل الإنتاج الزراعى والصناعى والتجارى، تمهيد الطرق البرية، وبناء أسطول فى البحرين الأحمر والمتوسط، وإصلاح الموانئ، وخاصة ميناء الإسكندرية، وتطهير البحر الأحمر من القرصنة، حتى لقد فضلت شركة الهند الشرقية الإنجليزية استخدام طريق البحر لمرور التجارة بدلاً من الدوران حول أفريقيا.

٢- الأحوال الاجتماعية وتطورها :

كان لسياسة محمد علي الاقتصادية فى الزراعة والصناعة والتجارة أثرها فى تشكيل وبناء القوى الاجتماعية فى مصر، حيث اندثرت قوى كانت بارزة فى ظل الحكم العثمانى المباشر، وظهرت قوى جديدة استفادت من نظام محمد علي ومشروعاته ويتضح ذلك فيما يلى :

١ - انتهى نفوذ المماليك كهيئة حاكمة وحل محلها أسرة محمد علي، وبعض العناصر التركية.

٢- تضاؤل نفوذ علماء الأزهر والقيادات الشعبية بإبعاد عمر مكرم وانتقال مركز القيادة من الأزهر إلى خريجى المدارس الجديدة، وأعضاء البعثات، ولو أن الأزهر ظل المورد المستمر للبعثات لفترة طويلة.

٣- ظهور طبقة الأعيان من كبار ملاك الأراضى الزراعية (الأبعاديات والجفالك) [1]، ومتوسطى الملاك من مشايخ البلاد والملتزمين، وقد ازدادت قوتهم وتميزهم فى المجتمع منذ منتصف القرن التاسع عشر بتوسيع حقوق الملكية.

٤- ظهور طبقة عمال الصناعة فى المصانع الكبرى للدولة، واستمرار طوائف الحرف للصناعات الصغيرة كوسطاء للحكومة.

٥- تدهور طبقة التجار وذلك لاحتكار الحكومة للتجارة الخارجية والداخلية، وبهذا اختفت

(١) الأبعاديات والجفالك هى أراضى واسعة أنعم بها (محمد على) على أفراد أسرته وكبار رجال الحاشية وكبار الموظفين وبعض الأجانب وبعض رؤساء قبائل البدو.

الشخصيات التجارية الكبيرة أمثال أحمد المحروقى، وحلول التجار الأجانب ووكالاتهم وقيامهم بدور الوسطاء.

٦- ظهور البدو كقوة اجتماعية مستقرة، فمنح محمد علي زعماءهم أراضى واسعة فى نطاق الأبعاديات وتدريجيًا دخل البدو فى الحياة المدنية.

التعليم ودوره فى بناء الدولة الحديثة :

ارتبط التعليم فى عهد محمد علي بسياسة الاحتكار الاقتصادى وبناء القوة الذاتية، والتوسع الخارجى والحروب التى دخلها محمد علي سواء بنفسه أم بإيعاز من السلطان العثمانى وبالتنسيق معه.

اهتم محمد علي بالتعليم على اختلاف مراحله من عال وثانوى وابتدائي، لكنه بدأ أولاً بتأسيس المدارس العليا، وإيفاد البعثات لها لكى يقوم المتخرجون فى هذه المدارس بمسئولية التعليم فى المراحل الدراسية الأدنى.

البعثات :

خلال المدة من عامى (١٨١٣م-١٨٤٧م) أوفد محمد علي بعثات لإيطاليا وفرنسا وانجلترا للتعليم ولاكتساب الخبرات اللازمة، ولهذا كانت البعثات فى أول الأمر لدراسة الفنون العسكرية وبناء السفن والملاحة وتعلم الهندسة والميكانيكا وأصول الرى والصرف، ثم فيما بعد أوفدت بعثات لدراسة القانون والسياسة من طلاب الأزهر إلى النمسا وانجلترا.

وكان رفاعة رافع الطهطاوى الذى أوفده محمد علي إمامًا لطلاب أول بعثة كبيرة إلى فرنسا (١٨٢٦م)، قد أفاد كثيرًا من الثقافة الإنسانية الفرنسية حيث أدرك قيمة الإطلاع على علوم ومعارف المجتمعات الأوربية، فاقترح على (محمد علي) تأسيس مدرسة الألسن (١٨٣٦م) لتدريس اللغات الأوربية والترجمة، وكان لها الفضل فى نقل كثير من معارف الغرب إلى مصر.

المـدارس :

خلال المدة من (١٨١٦م-١٨٣٩م) أقام (محمد علي)المدارس التى تخدم أهداف التنمية الاقتصادية والعسكرية مثل مدرسة المهندسخانة والطب والولادة والصيدلة، ومدارس لتعليم أصول المحاسبة والفنون والصنايع والزراعة والبيطرة.

وكان يلتحق بهذه المدارس تلاميذ الأزهر والكتاتيب فى البداية من الذين حصلوا على قسط معقول من التعليم، ثم أصبحت المدارس عامة ومدنية الطابع، وقد أوجد هذا النوع من التعليم ثقافة مدنية تختلف عن الثقافة الدينية التى كانت طابع التعليم الدينى والسائد آنذاك، ومن هنا كانت ازدواجية

الفكر والثقافة إحدى مشكلات مصر، منذ أيام الحملة الفرنسية.

ولما تعددت المدارس واتسع نطاقها، أنشأ محمد علي إدارة خاصة لها سميت ديوان المدارس (١٨٣٧م)، فكانت أول وزارة للتعليم.

البناء السياسى للدولة الحديثة فى مصر :

السلطتان التنفيذية والتشريعية :

كان نظام الحكم فى عهد محمد علي استمرارا على ما كان عليه أيام الولاة العثمانيين والمماليك غير أن محمد علي وضع للحكومة نظامًا انطلاقًا من فكرة الدواوين الاستشارية التى أقامتها الحملة الفرنسية، وتمشيًا مع أفكاره فى البناء والإصلاح.

ومن الملاحظ بشكل عام أنه لم يكن هناك فصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية، إذ تنوع دور هذه الدواوين بين الاستشارة والتشريع، واختلطت الأمور طالما بقيت فكرة الحكم الفردى المطلق هى جوهر فلسفة الحكم.

الديوان العالى : تنحصر مهامه فى التداول مع أعضائه فى الشئون المتعلقة بالحكومة قبل الشروع فى تنفيذها، ولرئيس الديوان (نائب محمد علي) سلطة واسعة فى كافة شئون الحكومة.

الــــدواوين: وقد كونها محمد علي أيضًا لكل فرع من أعمال الحكومة ديوان قائم بذاته (وزارة بالمعنى المعاصر)، وفى عام ١٨٣٧م أصدر محمد علي القانون الأساسى لتنظيم العلاقات بين الدواوين الحكومية واختصاصاتها(*).

■ مجلس المشورة (الشوري) :

أقامه محمد علي (١٨٢٩م)، ويتألف من كبار موظفى الحكومة والعلماء والأعيان، وكان أشبه بجمعية عمومية نيابة عن الأمة وسلطته استشارية فى مسائل الإدارة والتعليم والأشغال العمومية.

المجلس العالي: نتيجة لتوسع شئون الحكومة وتعدد مهامها، كون محمد علي هذا المجلس (١٨٣٤م) والذى يماثل الآن مجلس الوزراء، ويتألف من نظار الدواوين ورؤساء المصالح، وضم إليه اثنان من العلماء يختارهما شيخ الأزهر، واثنان من التجار يختارهما نقيب تجار العاصمة، واثنان من الأعيان عن كل مديرية، واثنان لشئون الحسابات.

وفى أواخر حكمه (١٨٤٧م) ألف ثلاثة مجالس جديدة بخلاف الهيئات السابقة وهي:

- **المجلس المخصوص:** يختص بالنظر فى الشئون الكبرى للحكومة، وتشريع اللوائح والقوانين وإصدار التعليمات لجميع المصالح .

(*) بلغت آنذاك سبعة دواوين (وزارات) على النحو التالي: الديوان الخديوى وينظر فى شئون الحكومة الداخلية والعامة، وديوان الإيرادات، وديوان الجهادية، وديوان البحر للأسطول، وديوان المدارس، وديوان الأمور الأفرنكية والتجارة المصرية، وديوان الفابريقات.

المجلس العمومى والجمعية العمومية للنظر فى شئون الحكومة العمومية التى تحال إلى كل منهما.

إن المجالس التى أقامها محمد علي لم تكن تعنى أنه أقام نظامًا دستوريًا نيابيًا بالمعنى المعروف، فقد كانت مجرد هيئات تنفيذية لإرادته فى الحكم، وقد تمكن عن طريق تركيز السلطة فى يده من تنفيذ المشروعات التى هدف إليها، ولم تكن الظروف التى مر بها المجتمع المصرى بعد خروج الفرنسيين لتسمح بلون آخر من ألوان الحكم.

■ التقسيم الإدارى :

كانت مصر أيام الحكم العثمانى مقسمة إلى ١٦ إقليمًا، فأدخل (محمد علي) بعض التعديلات التى تتمشى مع الأعباء المالية المفروضة على الأهالى حتى تتساوي، ومن هنا قسم البلاد إلى سبع مديريات (محافظات مصر بالتعبير المعاصر) متساوية المساحة يرأسها مدير (محافظ) ثم قسمت كل مديرية لمراكز وعلى رأس المركز مأمور ثم أقسام وعلى رأسه ناظر ثم إلى نواحى و قرى وعلى رأسها عمدة أو شيخ بلد.

وكان العنصر التركى يتولى كل الوظائف الإدارية عدا وظيفة شيخ البلد أو العمدة والوظائف المالية، ولكن بعد ضرب محمد علي بدأت سياسته فى إحلال المصريين فى المستويات الأخري، واستمرت سياسة الإحلال تدريجيًا حتى تم تمصير كل الوظائف الصغرى مع نهاية السبعينيات فيما عدا الجيش الذى ظلت الرتب الكبيرة فيه حكرًا على العناصر التركية والشركسية.

■ السلطة القضائية :

لم يتغير النظام القضائى كثيرًا عما كان عليه أيام المماليك ومحاولات الحملة الفرنسية أيام حكم مينو.

- **فى عهد محمد علي** :أضاف محمد علي إلى ديوان الخديوى (*) بعض الاختصاصات القضائية.

- أنشأ هيئة قضائية جديدة عرفت باسم «جمعية الحقانية»، فى عام ١٨٤٢م وتختص بمحاكمة كبار الموظفين، وكانت بمثابة محكمة جنايات وجنح.

- أنشأ محكمة تجارية «تعرف باسم مجلس التجارة»، وتختص بالفصل فى المنازعات التجارية التى تنشأ بين الأهالى أو بينهم وبين الأجانب، ولهذا دخل فى تشكيلها ممثلون عن الأجانب.

(*) أى الديوان العالي.

بناء القوة العسكرية

كان محمد على كرجل عسكرى ومحارب يدرك أهمية القوة العسكرية فاتجه إلى بناء قوة عسكرية ذاتية نظامية بديلاً عن الفرق العسكرية غير النظامية التى تضم عناصر مرتزقة ومتمردة ومختلطة، وأصبحت هذه الفكرة أكثر إلحاحًا بعد حروبه فى الحجاز ضد الوهابيين (١٨١١م). لذلك اهتم بما يلى :

■ الجيش :

كان الجيش محور سياسة محمد على الإصلاحية، وتحديث مرافق الدولة المختلفة، أما باقى الإصلاحات فكانت تابعة للجيش، فمثلا كان إنشاء مدرسة الطب لإعداد أطباء للجيش، وكان إنشاء المهندسخانة لإعداد خبراء فى الصناعات المختلفة التى ترتبط بالجيش فكان الجيش أداة لتقدم العمران فى مصر بالإضافة إلى مهمته العسكرية.

إعداد الضباط: كانت أول محاولة لإعداد ضباط نظاميين للجيش فى ١٨١٥م، عندما أمر بتدريب فرقة من الجنود الأتراك التى اشتركت فى الحروب الوهابية، إلا أن أفرادها رفضوا الخضوع للتدريب الحديث، وقد بلغ بهم الأمر حد التآمر لعزل محمد علي، ومن ثم تراجع عن المحاولة، وفى عام (١٨٢٠م) عاد إلى فكرته واعتمد على أبناء المماليك واعتزم فتح مدرسة لهذا الغرض فى أسوان لتخريج ضباط عسكريين على النظام الحديث، واعتمد فى ذلك على أحد ضباط جيش نابليون وهو الكولونيل سيف (أصبح اسمه سليمان باشا الفرنساوى بعد اعتناقه الإسلام).

ناقش مع معلمك سبب اختيار أسوان لتدريب وتخريج الضباط العسكريين والمتاعب التي واجهها الكولونيل سيف مع المتدربين.

إعداد الجنود (التجنيد): قرر محمد على الابتعاد عن تجنيد عناصر الترك والأرناؤود لطبيعتهم المتمردة، كما ابتعد عن تجنيد المصريين تجنبًا لاحتمال ثورتهم ضده، ومن ثم لجأ إلى فكرة تجنيد السودانيين.

غير أن تجربة تجنيد السودانيين انتهت بالفشل، إذ مات معظمهم لعدم ملاءمة الجو لهم، فقرر محمد على الاعتماد على المصريين، وتمت التجربة بنجاح فى ١٨٢٤م، ولما اتسعت دائرة التجنيد، استقدم محمد على من فرنسا طائفة من كبار الضباط ليعاونوه على تنظيم الجيش، كما أرسل عددًا من الشبان إلى أوربا لإتمام دروسهم الحربية، وعندما عادوا إلى مصر حلوا محل المعلمين الأجانب فى المدارس الحربية.

■ الأسطول :

بدأ ظهور البحرية المصرية فى عام١٨١١م عندما شرع محمد على فى الدخول فى الحروب الوهابية، وعلى هذا :

- أنشأ ترسانة فى بولاق ثم فى الإسكندرية لصناعة السفن الحربية والتجارية فيما بعد، وأنشأ معسكرًا لتعليم البحارة من الجنود الأعمال البحرية.

- أقام مستشفى ومدرسة بحرية على ظهر إحدى السفن لإعداد الضباط البحريين.

-أرسل البعثات من الضباط البحريين إلى فرنسا وانجلترا لإتمام علومهم عمليًا على ظهر السفن الحربية الأوربية.

■ مصانع الأسلحة والذخيرة :

أنشأ محمد على مصانع للأسلحة فى مصر حتى يستغنى عن استيراد السلاح من الخارج، أقام ترسانة فى القلعة لصنع الأسلحة وصب المدافع، ومصنعين للبارود بالحوض المرصود بحى السيدة زينب بالقاهرة ، والمقياس بجزيرة الروضة. كما أقام القلاع والاستحكامات اللازمة للدفاع عن ثغور البلاد والعاصمة، فأصلح قلعة صلاح الدين، وقلاع الإسكندرية ورشيد ودمياط.

● سياسة مصر الخارجية :

إن سياسة مصر الخارجية وعلاقاتها بالقوى المختلفة تتحدد بالموقع والمجال الحيوى عبر المراحل المختلفة.

وقبل أن يتولى محمد على حكم مصر لم يكن من الممكن القول بوجود سياسة خارجية لمصر، ذلك أن مصر كانت تخضع لحكم الدولة العثمانية منذ مطلع القرن السادس عشر (١٥١٧م)، وعليها أن تتبع السلطان فى الحرب وفى السلم على السواء.

وعندما تولى محمد على حكم مصر، بدأت محاولات الاستقلال الحقيقية عن الدولة العثمانية، وكانت البداية عندما ذهبت قوات محمد على إلى الجزيرة العربية لإخماد الدعوة الوهابية، بناء على طلب السلطان، ثم تبلورت بشكل أوضح عندما حدث الاشتباك مع السلطان فى الشام، وبدأ إدراك أنه توجد رابطة عربية تجمع بلدان وادى النيل والشام والجزيرة العربية فى خصوصية واحدة فى مواجهة الرابطة العثمانية .

ومن ناحية أخرى كانت توسعات محمد على فى السودان والجزيرة العربية وحوض البحر المتوسط تقوم بدور الظهير للحكومة المركزية التى أقامها محمد علي.

حروب محمد على :

إن الحروب التى خاضها محمد على مكنت مصر من تحقيق الاستقلال عن الدولة العثمانية، الأمر الذى أشعر القوى الكبرى الأوربية بخطرنظامه على التوازن الدولي، فتحالفوا معاً لمؤازرة السلطان حتى تم إخضاعه. ويمكن تصنيف حروب محمد على إلى نوعين:

١- حروب تمت استجابة لأوامر السلطان.

أ- حروبه فى الجزيرة العربية (*): كانت وسيلة لتوطيد مركز محمد على فى مصر ورفع قدره من تابع إلى حاكم مستقل، وكان من نتائجها:

- الوجود المصري فى الجزيرة العربية عسكريًا وسياسيًا، ذلك أن السلطان أسند لمحمد على مشيخة الحرم المكي، وأسند لابنه إبراهيم ولاية جدة، ومن خلال الوجود المصرى هناك.
- اتساع مجال مصر ليشمل الحجاز ونجد وعسير وجزءًا من اليمن ومن الخليج العربي.

ولا شك أن بريطانيا كانت ترقب بعين الحظر توسع محمد على وما يمثله من خطورة على طريق المواصلات الامبراطوري، وليس من شك أن الوجود المصرى فى الجزيرة العربية كان له دور مؤثر فى تكوين الرابطة العربية فى مواجهة الرابطة العثمانية كما يتضح من الخريطة التى أمامك رقم (٤).

خريطة (٤) حروب الجزيرة العربية

ب- حرب اليونان (حرب المورة)(**): قام الجيش المصرى بمهمته فى اليونان خير قيام، وكانت النتائج النهائية للحرب فى صالح محمد على لبناء القوة الذاتية لمصر، والتي تتمثل في:

- كسب محمد على ضم جزيرة كريت لولاية مصر.
- اكتساب الجيش الخبرات الميدانية.
- ارتفاع شأن مصر المتميز فى إطار الدولة حيث تم التفاوض مع محمد على مباشرة للتوصل إلى اتفاقية لإنهاء الحرب (١٨٢٨م).

وهذه النتائج الإيجابية مسؤولة إلى حد كبير عن نمو فكرة الانفصال عن الدولة العثمانية وتحقيق استقلال مصر.

خريطة (٥) حرب المورة

(*) تمت فى (١٨١١ - ١٨١٩م) للمساعدة فى القضاء علي اتباع دعوة محمد بن عبدالوهاب من آل سعود، وذلك لتهديدهم نفوذ الدولة هناك، وقد انتهت بنجاح محمد علي إسقاط الدولة السعودية الأولى.

(**) تمت فى (١٨٢١ - ١٨٢٨م) لمواجهة مطالبة اليونانيين بالاستقلال عن الدولة العثمانية، وكانت بلاد اليونان وأوربا الشرقية -حاليًا- جزءا من الإمبراطورية العثمانية منذ أواخر القرن الخامس عشر.

(٢) حروب تمت بإرادة محمد على:

أ- التوسع فى السودان (١٨٢٠-١٨٢٢ م) : هى أول حرب تمت بإرادة محمد على وتعرف بفتح السودان، وكان لهذه الحرب أكثر من هدف تتعلق جميعًا بفكرة المجال الحيوى لمصر والامتداد الطبيعى لها ناحية الجنوب، وفيها :

- متابعة المماليك الهاربين من مذبحة القلعة الذين فروا إلى دنقلة بالسودان.
- اكتشاف مناجم الذهب والماس نظرًا لأهمية الذهب كمقوم للسلع والتبادل التجاري.
- تنمية التجارة وتجنيد السودانيين فى الجيش.

نجد أن محمد على قام بالإجراءات التالية فى السودان والتى لم يقم بها فى الجزيرة العربية مثلاً:

- أقام نظامًا للحكم والإدارة حيث عين حاكمًا عامًا على السودان برتبة حكمدار، يجمع فى يده السلطة العسكرية والمدنية بتنسيق مع ديوان الداخلية فى مصر.
- قسم السودان إلى مديريات، والمديريات إلى أقسام، على غرار التقسيم الإدارى الذى أقامه فى مصر.
- بنى مدن جديدة مثل مدينة الخرطوم ومدينة كسلا على النيل الأزرق.
- أدخل زراعات مصرية إلى السودان مثل القمح والخضروات وأشجار الفاكهة المختلفة.

وكانت السودان نقطة التعرف على هذا الجزء من إفريقيا حيث تم اكتشاف منابع النيل وأواسط إفريقيا، وتمت التوسعات هناك فيما بعد فى عهد إسماعيل.

ب- التوسع فى الشام والأناضول: إن تطلع محمد على لضم الشام كان أسبق من ضم السودان، بل كان سابقًا على حربه فى الجزيرة العربية، ففى عام ١٨١٠م كان يفكر فى مخاطبة السلطان لكى يتنازل له عن الشام، مقابل مبلغ من المال، ثم عاودته الفكرة أثناء حروبه في الجزيرة العربية حين طلب من السلطان أن يعهد إليه بولاية الشام بدعوى أهميتها فى إخضاع الوهابيين لكن السلطان رفض.

وقد أصبحت الفكرة أكثر إلحاحًا بعد استيلائه على السودان ووجوده فى الجزيرة العربية.

وكان محمد على قد طلب من السلطان أن يضم الشام إلى مصر تحت حكمه تعويضًا له عن خسائره فى حرب اليونان ومكافأة له، ذلك أن جزيرة كريت التى أخذها محمد على فى تسويات الحرب لم تكن ترضيه وتمكنه من السيطرة لأنها جزيرة بعيدة يتسم أهلها بالتمرد.

وبضم سوريا تقوى الجبهة العربية فى مواجهة الدولة العثمانية. تلك كانت الدوافع الحقيقية للحرب فى الشام، أما الأسباب المباشرة المعلنة فكانت تتلخص فى رغبة محمد على فى إرجاع الفلاحين المصريين الذين هربوا من مصر إلى الشام تخلصًا من الضرائب، وفراراً من الخدمة العسكرية.

وقد رفض والى عكا الاستجابة لطلب محمد على فى إرجاع أولئك الفلاحين باعتبار أنهم رعايا عثمانيون يحق لهم الاستقرار فى أى مكان يتبع الدولة العثمانية. وهنا قرر محمد على التوسع فى الأراضى الشامية (أكتوبر ١٨٣١م)، لاحظ الخريطة (٦) لتتعرفها.

وقد حققت القوات العسكرية انتصارات متتالية حيث دخلت عكا (مايو ١٨٣٢م)، ودمشق (يونية ١٨٣٢م)، وحمص (يولية ١٨٣٢م)، حتى تخطت الحدود الشمالية لسوريا ودخلت أراضى الاناضول وتمركزت فى أدنه مفتاح الزحف داخل الأناضول، ثم واصلت القوات الزحف فى طريق الاستانة عاصمة السلطنة. ولأن الشام تمثل بدورها المجال الحيوى الشمالي، فقام محمد على بالإجراءات المناسبة لتوطيد الأمن وفرض النظام وإقرار سلطة الحكومة المركزية فى مصر، وإخضاع الأمراء الإقطاعيين ونزع السلاح منهم، وتنشيط التجارة والزراعة، وفرض نظام التجنيد.

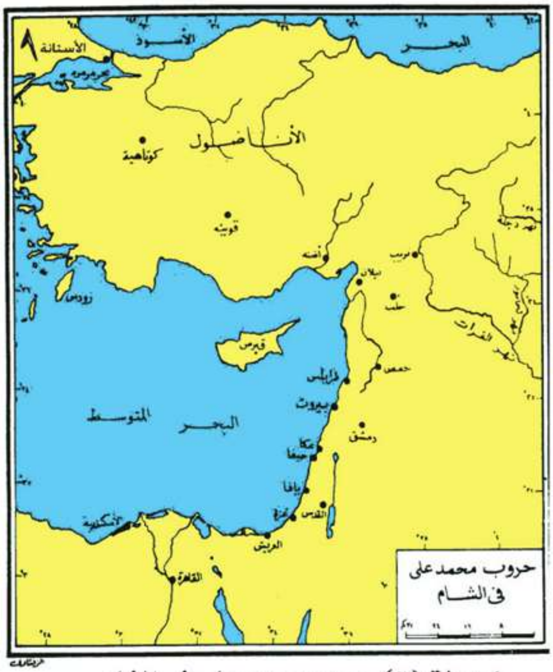

خريطة (٦) حروب محمد على فى الشام

تدخل الدول الأوربية :

انتهت حروب محمد على فى الشام بتوسيع الدولة المصرية، حيث بسط نفوذه على الشام وأدنه، وتأييد سلطانه على كريت ومعظم الجزيرة العربية والحجاز بمقتضى اتفاقية كوتاهية «١٨٣٣م» لاحظها على الخريطة (٧)، وعند ذلك اعتزم محمد على إعلان الاستقلال التام عن السلطة العثمانية، وصارح قناصل الدول الأوربية بما انتوى عليه (١٨٣٤م)، فحذروه من الإقدام على هذه الخطوة، ثم جدد عزمه فى عام ١٨٣٨م بسبب دسائس السلطان العثمانى ضد حكمه فى الشام، لكن الدول الأوربية لم تشجعه أيضًا.

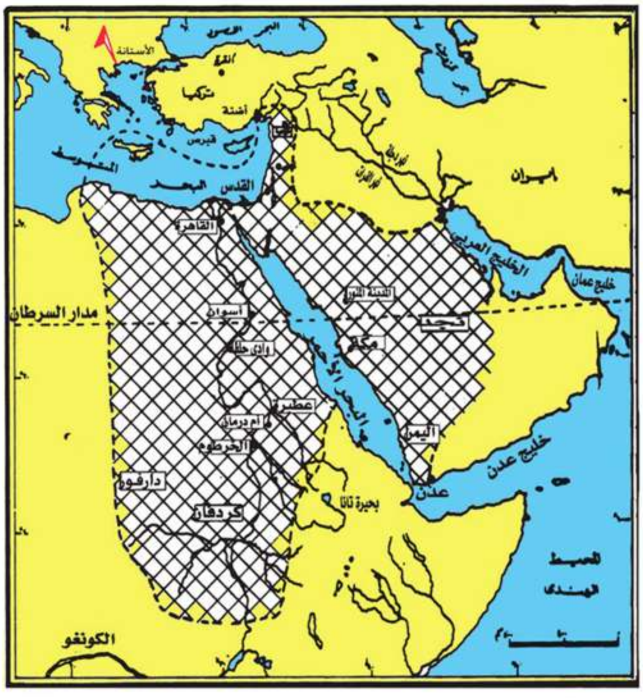

خريطة (٧) الدولة المصرية فى عهد محمد على

من ناحية أخرى أثارت انتصارات محمد على وتهديده للسلطان العثماني، الدول الأوربية، ليس عطفًا على السلطان، وإنما خشية ازدياد نفوذ محمد على وقوته وما تمثله من خطر على التوازن الدولى. وكان السلطان العثمانى قد رتب الأمر لمواجهة محمد على عسكريًا وإخراجه من سوريا، ففى أعقاب اتفاقية صلح كوتاهية عقد اتفاقًا سرياً مع روسيا فى (يولية ١٨٣٣م)، وهى معاهدة دفاعية هجومية التزم الطرفان بمقتضاها أن يساعد كل منهما الآخر أمام الخطر الخارجى أو الداخلي.

من ناحية أخرى كانت انجلترا تشجع السلطان على إخضاع محمد على حتى يمكن تطبيق شروط معاهدة بلطة ليمان التجارية (١٨٣٨م) والتى وافقت عليها فرنسا.

فى تلك الأثناء أخفقت مساعى الصلح بين محمد على والسلطان بسبب موقف انجلترا المحرض على القتال، فاشتبكت قوات محمد على مع قوات السلطان العثمانى حيث هزم الجيش العثمانى هزيمة ساحقة فى «نزيب أو نصيبين» (يونية ١٨٣٩م) على الحدود التركية السورية شمال حلب ، بل وقام قائد الأسطول العثمانى بتسليم أسطوله إلى محمد على دون قتال، فازدادت قوة محمد على وتفوقه على الدولة العثمانية برًا وبحرًا.

أثار انتصار مصر على الدولة العثمانية لدى الدول الأوربية الكبرى مسألة توازن القوى فى المنطقة (*) ولم تكن هذه الدول تسمح بتفوق مصر وتوسيع نفوذها الذى شمل بلاد الشام والجزيرة العربية وكريت ومن ثم دخلت فى مفاوضات مع السلطان العثمانى لفرض ما تراه من شروط على «محمد علي» لحفظ توازن القوى فى المنطقة. وانتهت تلك المفاوضات إلى عقد معاهدة لندن فى (يولية ١٨٤٠م) وتعرف **بتسوية لندن** ، وأهم شروطها :

١ - أن يُعطى محمد على وخلفاؤه حكم مصر وراثيًا وعكا طوال حياته، وإخلاء جزيرة كريت والحجاز وأدنة مع إعادة الأسطول العثماني.

٢ - يدفع محمد على جزية سنوية للسلطان.

٣ - يلتزم محمد على بتطبيق كافة المعاهدات التى أبرمتها السلطنة مع الدول الأوربية وفى مقدمتها معاهدة بلطة ليمان.

٤ - تعد قوات محمد على البرية والبحرية جزءًا من قوات السلطنة وتكون فى خدمة السلطان.

٥ - إذا لم يقبل هذا القرار فى مدة عشرة أيام، يحرم من حكم ولاية عكا (فلسطين)، فإذا استمر رفضه مدة عشرة أيام أخرى يصبح السلطان فى حل من حرمانه من ولاية مصر.

٦ - إذا رفض محمد على هذه الشروط يلجأ الحلفاء الموقعون على المعاهدة إلى استخدام القوة ضده، مع التزامهم بحماية عرش السلطان العثماني.

(*) الدول الأوربية الكبرى آنذاك هى روسيا وفرنسا وانجلترا والنمسا وبروسيا (ألمانيا حالياً)

ولقد وقعت الدول الأوربية الكبرى هذه المعاهدة فيما عدا فرنسا، حيث تم الاتفاق من وراء ظهرها نظرًا للتنافس التقليدى بينها وبين انجلترا، وبدأت فرنسا فى تحريض محمد على لكى يرفض شروط المعاهدة، إلا أنها سرعان ما تركته وحده فى الميدان.

أما محمد على فقد رفض المعاهدة وتأهب للحرب واستعدت الدول الأوربية المتحالفة لحصاره، وفى الوقت نفسه قام أهالى سوريا بثورة ضده، وانتهى الأمر بقبول محمد على شروط معاهدة لندن.

ورغم أن معاهدة لندن حرمت مصر من انتصاراتها الخارجية وأبقتها فى حدودها قبل التوسع، إلا أنها جعلت لمصر شخصية دولية، بعد أن كانت مجرد ولاية عثمانية متميزة، فاستكمالا لمعاهدة لندن (١٨٤٠م) قام السلطان العثمانى بإصدار فرمانين فى عام ١٨٤١م (فبراير ويونية) ربط مصر بعدة قيود كما يلي:

١ - يتلقى حكام مصر من أبناء محمد علي فرمان الولاية من السلطان.

٢ - التزام مصر بتنفيذ كافة الاتفاقيات التى يبرمها السلطان مع الدول المختلفة.

٣- أن تضرب النقود فى مصر باسم السلطان، وتجبى الضرائب باسمه أيضًا، وترسل مصر له ربع إيرادات الحكومة المصرية.

٤ - لا يزيد عدد الجيش فى وقت السلم على ١٨ ألف جندي، وليس لمصر أن تبنى سفنا حربية إلا بإذن السلطان.

ولقد كان من شأن هذا الفرمان تأخير استقلال مصر استقلالاً نهائيًا عن السلطنة، وكانت فرصة الاستقلال الفعلى مواتية فعلاً بعد انتصارات محمد علي، واستمر وضع مصر الدولى تجاه السلطنة طبقًا لمعاهدة لندن ١٨٤٠م وفرمانى ١٨٤١م إلى أن تولى حكم مصر إسماعيل باشا.

انهيار سياسة الاحتكار وآثاره:

كان محمد علي بنظام الاحتكار الذى طبقه يقف حجرة عثرة أمام الرواج التجارى الأوربى حيث أغلقت مصر أسواقها أمام الأوربيين فى الوقت الذى كانت أوربا فى حاجة إلى أسواق بعد الثورة الصناعية.

وكانت بريطانيا قد عقدت اتفاقية تجارية مع السلطان العثمانى فى أغسطس ١٨٣٨م تسمى (**معاهدة بلطة ليمان**) نسبة إلى المكان الذى عقدت فيه المعاهدة بتركيا وتنص على: «ضرورة إلغاء نظام الاحتكار التجارى الذى يتبعه محمد علي، على أن يبدأ التنفيذ فى يوليه ١٨٣٩م» غير أن محمد علي رفض تنفيذ الاتفاقية حفاظًا على الإنتاج الداخلى فى مصر، وإبقاء لقدرته على تسويقه فى الخارج فى إطار المنافسة.

وتصادف فى الوقت نفسه قيام أزمة سياسية بين محمد علي والسلطان العثمانى بسبب توسع محمد علي فى بلاد الشام وتهديده الدولة نفسها، وكان التقاء المصالح على ذلك النحو باعثًا لتحالف الدول الأوربية، وعلى رأسها انجلترا مع السلطان للإيقاع بمحمد علي وفرض تسوية لندن السياسية فى ١٨٤٠م التى نفذت بمقتضاها معاهدة بلطة ليمان، وزالت موجة العداء الأوربى لمصر.

كان تطبيق معاهدة بلطة ليمان فى إطار تسوية لندن ١٨٤٠ إيذانًا ببدء سقوط نظام الاحتكار[1] الذى وضعه محمد علي، وبداية دخول الاستثمارات الأجنبية فى مجال توظيف المال والإنتاج بمقتضى اتفاقيات تجارية مع مختلف الدول الأجنبية، وسيادة مناخ الحرية الاقتصادية، وإن كان لصالح الأجانب أكثر منه لصالح المنتج المصري.

أثر سقوط الاحتكار على الأوضاع الإقتصادية:

(أ) بالنسبة للإنتاج الزراعى:

- توسيع ملكية الأراضى الزراعية من ملكية انتفاع فقط إلى الحق فى توريث الأرض أو هبتها أو وقفها.

- أصبح المزارعون أحرارًا فى زراعة ما يشاءون من الغلات، وبالأسلوب الذى يريدونه فحدث تأخر وجمود فى الزراعة.

ففى عصر (**سعيد باشا**) : - ألغيت ضريبة الدخولية التى كانت تجبى على الحاصلات والمتاجر المتبادلة بين أسواق القرى عند دخول السوق (كانت بمقدار ١٢٪).

- عندما احتاجت السوق الأوربية، وخاصة انجلترا للقطن ازدهرت زراعة القطن فى مصر وارتفع ثمنه، وحدثت محاولات لتطوير أساليب الزراعة مرة أخرى من حيث إدخال نباتات جديدة فى (عصر إسماعيل).

ومع دخول الاستثمارات الأجنبية وانفتاح المجال أمام الإقراض من البنوك الأجنبية (أيام حكم سعيد وإسماعيل) بدأت الحكومة المصرية تواجه مشكلة سداد الديون فى مواعيدها، وفى سبيل التخلص من مأزق الديون صدر (قانون المقابلة) أغسطس ١٨٧١م ويقضى «بأن الذين يدفعون ستة أمثال الضريبة المقررة على الأرض مرة واحدة، يعفون من نصف الضريبة المقررة بصفة مستمرة، ويكون لهم حق الملكية التامة عليها وكان هذا الإجراء أحد أسباب استقرار المزارعين والفلاحين، ومن ثم الاهتمام بالإنتاج.

(١) سقوط الاحتكار يعنى رفع يد الدولة عن القيام بهذا الدور الاقتصادي، وترك المنتجين أحرارًا فيما يفعلون.

(ب) بالنسبة للصناعة : أدى إلغاء نظام الاحتكار فى الصناعة إلى :

- قلة إنتاج مصانع الدولة بعد إغلاق معظمها.

- تدهور الصناعات الحرفية الصغيرة وكسادها لعدم قدرتها على منافسة الإنتاج الأجنبى الذى بدأ يغمر السوق المحلية، حتى لقد اختفت بعض هذه الصناعات وخاصة فى القاهرة.

ومع ذلك ازدهرت بعض الصناعات الحربية فى أواخر عهد عباس وأوائل عهد سعيد بسبب اشتراك مصر فى حرب القرم بين تركيا وروسيا (١٨٥٣م-١٨٥٦م) بناء على طلب السلطان.

وفى عهد إسماعيل : استمر انتعاش تلك الصناعات بعد زيادة عدد الجيش، ورفع القيود عن بناء المعدات الحربية حيث جددت المصانع القديمة، وأقيمت مصانع جديدة، وكذلك الحال بالنسبة لبعض الصناعات التجهيزية مثل: حلج القطن، واستخراج الزيوت، ودبغ الجلود، والصناعات التحويلية مثل صناعة السكر والغزل والنسيج والورق.

(ج) بالنسبة للتجارة : لم تتأثر التجارة الداخلية كثيرًا بزوال نظام الاحتكار، ولكن بدأ تدريجيًا التخفيف من قيوده حيث :

- سمح للمنتجين الزراعيين مثلا بإقامة حلقات لبيع الإنتاج بالمزايدة بدلاً من البيع عن طريق الشونة الحكومية.

- سمح للتجار الإنجليز بالإتجار فى المنتجات الزراعية والصناعية وبيعها داخل مصر وتصديرها للخارج.

- قام الأجانب بتوريد ما تحتاجه السوق المصرية من منتجات.

ونتيجة لزيادة حجم التجارة ونشاط الأجانب فى الاستيراد والتصدير :

- تم إنشاء الخط الحديدى بين الإسكندرية والقاهرة، وبين القاهرة والسويس.

- تمهيد الطرق البرية والسكك الزراعية وتوسيع شبكة البرق والبريد.

- تأسست شركتان للملاحة إحداهما بحرية والأخرى نيلية برؤوس أموال أجنبية (فى عهد سعيد).

مشروع قناة السويس :

تم الموافقة على حفر **قناة السويس** والتى تعد من أهم المشروعات التى ظهرت فى مناخ سقوط نظام الاحتكار ودخول الاستثمارات الأجنبية لتسهيل مرور التجارة بين مناطق الإنتاج الأوربية ومناطق التسويق والاستهلاك والمادة الخام فى الشرق.

- كان محمد علي قد رفض مشروع حفر قناة السويس من قبل قائلا: «لا أريد بسفورًا فى مصر»، وذلك إشارة إلى مضيق البسفور التركى وتدخل الدول الأوربية فى السياسة التركية من أجل ضمان حرية الملاحة الدولية فيه.

- غير أن سعيد باشا وافق على منح امتياز حفر القناة لصديقه المسيو فرديناند دليسبس الفرنسى مع احتكار استثمارها لمدة ٩٩ عام من تاريخ افتتاحها للملاحة فى نوفمبر ١٨٦٩م.

وتقضى أهم شروط الامتياز بما يلي:

١ - تنازل الحكومة المصرية للشركة عن كل الأراضى المطلوبة لحفر القناة، مع الإعفاء من الضرائب.

٢ - إلزام الحكومة المصرية بحفر ترعة توصل المياه العذبة للعاملين بالمشروع.

٣ - للشركة حق انتزاع الأراضى المملوكة للأفراد واللازمة للمشروع مقابل تعويض مالى عادل.

٤ - للشركة امتياز استخراج المواد الخام للمشروع من المناجم والمحاجر الحكومية دون ضرائب.

٥ - تقدم الحكومة المصرية أربعة أخماس العمال الذين يقومون بحفر القناة من المصريين.

٦ - تحصل مصر مقابل الأراضى والامتيازات الممنوحة للشركة على ١٥٪ من صافى الأرباح.

٧ - تحصل مصر على ٤٤٪ من أسهم الشركةمن أجل تسوية الديون.

ورغم أن هذا المشروع له أهميته فى مجال التجارة، إلا أن تطورات تنفيذه جعلت منه مظهرًا من مظاهر التدخل الأجنبى وضعف الإرادة السياسية للدولة آنذاك.

(د) بالنسبة للأوضاع الاجتماعية: كان إلغاء نظام الاحتكار وإطلاق سياسة الباب المفتوح فى المجالات الاقتصادية التى تلت ذلك أثره على طبيعة القوى الاجتماعية فى مصر حيث تدهورت طوائف الحرف ومكانة شيوخ الطوائف، تناقص دور التاجر المحلى لحساب الوكالات الأجنبية، وبرزت طبقة (كبار ومتوسطو) ملاك الأراضى الزراعية بمختلف شرائحها، الذين بدأوا يتطلعون إلى المشاركة فى الحياة السياسية.

آثار سقوط نظام الاحتكار على التعليم:

كان لضرب محمد علي سياسيًا والقضاء على نظام الاحتكار اقتصاديًا آثاره السلبية على مسار النهضة التعليمية التى تمت فى عهده.

فى عهد عباس: ساء حال المدارس وأغلق بعضها، وتقلصت البعثات لأوروبا.

- ألغى ديوان المدارس، وتوقفت البعثات تقريبًا.

- بدأ تشجيع الأجانب من أوربا والولايات المتحدة على إنشاء مدارس خاصة بهم (مدارس للتبشير)، والتى ساعدت على تعميق ازدواجية الفكر والثقافة فى مصر.

فى عهد إسماعيل : سعى لإعادة بناء مصر على النظم الأوربية، متأثرًا بحياته هناك، فقد وجد أن الوسيلة الأساسية فى هذا تكمن فى التعليم، وعلى هذا قام بالآتى :

- اهتم بتعليم البنات فأقام مدرستان للبنات بالقاهرة، [1].

- اهتم أيضا بالتعليم الصناعي[2]، والزراعى والمساحة والمحاسبة وكذلك بالمدارس الابتدائية والثانوية[3].

- وبلغ من رعاية إسماعيل للتعليم والتشجيع على الالتحاق به، الاهتمام بإقامة حفلات مدرسية لاختتام نهاية العام الدراسي، يحضرها كبار رجال الدولة، وتوزع فيها الجوائز والمكافآت على الناجحين المتقدمين.

وفى الوقت نفسه كثر عدد المدارس الأوربية التى أقامتها الإرساليات الدينية فى مصر للبنين والبنات، والتى أفادت فى إعداد عناصر كثيرة من رجال الأعمال والمهن والوظائف المختلفة، ونال كثير منهم الحماية الأجنبية فأصبحوا فى حكم الأجانب.

الحياة الثقافية :

لم يتوقف الأمر فى عصر إسماعيل على الاهتمام بالتعليم فى المراحل والتخصصات المختلفة، بل انفتح المجال واسعًا لحركة ثقافية متنوعة كان لها تأثير قوى فى بناء شخصية مصر الثقافية.

- أنشأ جمعية المعارف (١٨٦٨م) لنشر الثقافة عن طريق التأليف والنشر بالاكتتاب العام، وتولت طبع طائفة من أمهات الكتب فى التاريخ والفقه والأدب وتأسست دار الكتب (١٨٧٠م).

- أنشأ الجمعية الجغرافية (١٨٧٥م) للعناية بالأبحاث الجغرافية.

- أنشأ الجمعية الخيرية الإسلامية (١٨٧٨م) للقيام بإنشاء مدارس خاصة لتعليم البنين والبنات وإعانة الفقراء، وكان الهدف من إنشاء هذه الجمعية مواجهة طغيان المدارس الأجنبية التى انتشرت فى مصر.

- اهتم بإنشاء الصحف العلمية والأدبية والسياسية ، وقد أطلقت للصحف حرية الكتابة وخاصة فى أواخر عهد إسماعيل حين اصطدم بالمطامع الأوربية، وشعر بوطأة التدخل الأجنبي، وكان لهذه الصحف فضل إنارة الأذهان ونشر العلوم والمعارف، كما ظهرت أيضًا بعض الصحف الأجنبية.

وبهذا المناخ التعليمى والثقافى ارتقى مستوى الوظائف العامة، إذ تولاها المتخرجون فى المدارس والمعاهد وأعضاء البعثات، وكانت البيئة المناسبة لبروز العلماء فى تخصصات مختلفة.

---

(١) مدرسة السنية بالقاهرة، ومدرسة القربية بالقاهرة.

(٢) كانت تعرف بمدرسة العمليات للعلوم الصناعية والهندسية والتمرينات العملية، ثم الحقت بها مدرسة التلغراف وفرقة للنقاشين، ومدرسة للعميان وللخرس.

(٣) التجهيزية بالعباسية التى عرفت بالخديوية، ومدرسة رأس التين بالإسكندرية.

ونتيجة لوجود الأجانب ومؤسساتهم بكثرة هائلة، حدث ميل عام إلى محاكاة الأوربيين فى نمط الحياة واقتباس عوائدهم، فى مختلف ألوان الحياة فى المسكن والملبس المأكل...إلخ.

بالتعاون مع زملائك اجمع معلومات عن النهضة الثقافية فى مصر وأوربا.

وضع السلطتين التنفيذية والتشريعية فى عهد خلفاء محمد علي :

استمر الحكم المطلق وتركيز السلطات فى عهد عباس وسعيد، وزاد على ذلك إهمال مجلس المشورة، وتخفيض عدد الدواوين أو الوزارات بسبب الانكماش السياسى والاقتصادى الذى فرض على مصر بعد الإيقاع بمحمد علي فأصبحت أربعة فقط وكانت تختص بأمور سيادية بعد أن ترك النشاط الاقتصادى حرًا للأفراد على أن ظروف التدخل الأجنبى فى شئون البلاد بسبب أزمة الديون المالية خلال حكم إسماعيل، جعلت الأجانب يقاسمونه شئون الحكم، وقد تمثل ذلك فى وجود صندوق الدين والرقابة الثنائية، ثم فى تشكيل (الوزارة المختلطة) التى عرفت عند الوطنيين باسم الوزارة الأوربية.

والحق... أن إسماعيل كان صاحب تجربة تنموية طموحة لتطوير مصر ويعد عصره عصر تقدم ونهضة علمية وثقافية، ومن ناحية الحكم كان يعد من عصور الحكم المطلق، وكان مجلس النظار الذى أنشأه (١٨٧٨م) عبارة عن سلطة تنفيذية لما يقوله الخديوي، وكذلك الحال بالنسبة لمجلس شورى النواب (١٨٦٦م) لم يكن أكثر من هيئة استشارية وليست تشريعية، كما كان ينبغي، ويبدو أن إسماعيل أراد من وراء إنشائه أن يكون مجرد واجهة تضفى على الحكم رونقًا وبهاء وذلك للأسباب التالية :

١- أن المجلس لم يتكون بناء على مطالبة جماهيرية بل كان منحة من الحاكم.

٢- حصر حق الترشيح للمجلس فى شرائح اجتماعية معينة فجاء معظم أعضاء المجلس من العمد والمشايخ والأعيان، وقليل من أصحاب المصالح التجارية والصناعية.

٣- لم يكن للمتعلمين من غير الأعيان نصيب فى عضوية المجلس.

وفى عهد سعيد : أصبحت الحقانية تعرف باسم مجلس الأحكام، وكان بمثابة هيئة استئناف عليا فى البلاد.

واستمرت المحاكم الشرعية تقوم بعملها فى المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية، وانتقال الملكية فى كل البلاد، وأنشئت إلى جوارها محاكم أو مجالس جديدة للفصل فى المسائل المدنية والتجارية

عرفت أيضًا بمجالس الأقاليم. ولما أنشئ مجلس خاص باسم: قومسيون مصر (١٨٦١م)، ويختص بالنظر فى القضايا التى ترفع من الأجانب على المصريين فيما عدا العقارات والملكية، ولما توافد الأجانب بكثرة على البلاد فى أعقاب إلغاء سياسة الاحتكار، وما استتبع ذلك من مشكلات، ثم توحدت المحاكم القنصلية فيما بعد فى محكمة واحدة عرفت باسم: المحكمة المختلطة★ (فى ١٨٧٥م).

■ القوة العسكرية فى عهد خلفاء محمد على :

إن ضرب محمد على بفرض معاهدة لندن ١٨٤٠م وفرمان ١٨٤١م، وانحسار نفوذ مصر فى المنطقة، وتقلص حدودها، كانت له آثاره السلبية على التنظيم العسكري.

فى عهد عباس : لم يكن الجيش موضع عناية، بل إنه أدخل عددًا كبيرًا من عناصر الأرناؤود فى خدمته ليكونوا خاصة جنده.

فى عهد سعيد : عمل على العناية بالجيش، فجعل التجنيد إجباريًا للجميع وعلى اختلاف الطبقات ولفترة قصيرة، وكان التجنيد قبل ذلك مقصورًا على الفقراء ولمدة غير محددة، فبدأ الناس يحبون الجندية ولا يعتبرونها نوعًا من التفرقة الاجتماعية. كما اهتم سعيد بالأسطول إلا أن انجلترا وكانت تراقب الموقف، أوعزت إلى السلطان العثمانى أن يمنع سعيد من تجديد الأسطول.

فى عهد إسماعيل : اهتم بالنواحى الحربية والتجارية فقام بالآتى :

- أرسل إلى فرنسا بعثة حربية (من خمسة عشر عضوًا) من خيرة ضباط الجيش لاقتباس الخبرات اللازمة.
- أحضر من فرنسا بعثة حربية فرنسية من الضباط لتنظيم المدارس الحربية المصرية، وقد تولى هؤلاء الضباط نظارة بعض المدارس الحربية فى البداية.
- اهتم بتجديد الأسطول، فأعاد النشاط إلى ترسانة الإسكندرية، وجدد المدرسة البحرية بها، وأقام أخرى بجوار الترسانة.
- أنشأ صحيفتان للشئون العسكرية إسهامًا فى تثقيف عقول العسكريين (١٨٧٣م).
- اهتم بالأسطول التجارى فأنشأ شركة للملاحة التجارية، قامت بدور أساسى فى تنشيط حركة التجارة الخارجية لمصر، وسهلت مواصلاتها البحرية مع الأقطار الأخري.

غير أن الجيش ضعف بشكل عام فى أواخر عصر إسماعيل بسبب الأزمة المالية، وارتباك شئون الحكومة، حتى وقع تحت سيطرة الانجليز بعد احتلالهم مصر فى ١٨٨٢م.

(★) أُنشئت للنظر فى النزاعات بين المصريين والأجانب وبين الأجانب والجنسيات المختلفة.

إسماعيل ومشروع استقلال مصر :

كانت خطة إسماعيل ترمى إلى توسيع نطاق استقلاله فى حكم البلاد، وكسب أكثر ما يمكن من حقوق ومزايا من الحكومة العثمانية، وصولاً إلى الاستقلال التام، لكن كان هذا على حساب الخزينة المصرية، فقد سعى مثلاً إلى التخلص من قيود معاهدة لندن ١٨٤٠م وفرمانى ١٨٤١م من أجل تغيير نظام وراثة العرش من أكبر أفراد الأسرة العلوية سناً، ليكون فى أكبر أنجال إسماعيل نفسه باعتباره حاكماً، وقد صدر بالفعل فرمان بذلك فى (مايو ١٨٦٦م)، كلف إسماعيل استضافة السلطان عبدالعزيز لمصر (إبريل ١٨٦٣م). وما صاحب هذه الزيارة من حفاوة وإكراميات وهدايا ملأت سفينة كاملة بالإضافة إلى ستين ألف جنيه للصدر الأعظم فؤاد باشا ليبذل مساعيه الطيبة لدى السلطان لاستصدار الفرمانات اللازمة.

الخديو إسماعيل

وانتهت مساعى الصدر الأعظم إلى رفع الجزية السنوية للحكومة العثمانية والتى تدفعها مصر من أربعمائة ألف جنيه عثمانى إلى سبعمائة وخمسين ألفا، وتحقيقا لهذا استدان إسماعيل ثلاثة ملايين جنيه كانت باكورة الديون الكبيرة التى وقعت فيها مصر بعد ذلك. ولقد تضمن هذا الفرمان زيادة عدد الجيش المصرى إلى ثلاثين ألف جندى بدلا من ثمانية عشر ألفا وفقاً لفرمان (١٨٤١م) ، وأقر حق مصر فى ضرب النقود ، ومنح الرتب المدنية إلى الرتبة الثانية.

ثم توالى حصول إسماعيل على الفرمانات التى حققت له بعض مزايا الاستقلال من ذلك فرمان فى (يونية ١٨٦٧م) الذى حصل بمقتضاه على لقب «خديوي»* بدلاً من لقب «والي» وبمقتضى هذا اللقب الجديد تمتع إسماعيل ببعض الاستقلال فى إدارة شئون البلاد الداخلية والمالية وعقد المعاهدات الخاصة بالبريد والجمارك ومرور البضائع والركاب فى داخل البلاد وشئون الضبط للجاليات الأجنبية.

ثم صدر فرمان (سبتمبر ١٨٧٢م) يخول إسماعيل صراحة حق الاستدانة من الخارج دون الرجوع للدولة العثمانية.

ثم صدر ما يعرف بالفرمان الشامل فى (يونية ١٨٧٣م) الذى ثبت لمصر حقوقها الكاملة فى الاستقلال، فيما عدا دفع الجزية السنوية وعدم عقد المعاهدات السياسية، وعدا حق التمثيل الدبلوماسي، وعدا صناعة المدرعات الحربية.

(*) (الخديوي) لقب تركي ويعني "المعظم".

افتتاح قناة السويس

والحق أن عصر إسماعيل يعد نهاية لفترة انتقالية امتدت منذ ضرب محمد على وتقلص مشروعه بتسوية لندن ١٨٤٠م وفرمان ١٨٤١م، حيث توقفت مشروعات التنمية التى كانت تتم فى إطار نظام الاحتكار، وفتحت أسواق البلاد أمام المنتج الأجنبى وخاصة البريطانى تطبيقًا لاتفاقية بلطة ليمان (١٨٣٨م)، والتى كان محمد على قد رفض تطبيقها، وبدأ رأس المال الأوربى يدخل مجال الاستثمارات المختلفة، وهذا يفسر توقف أو تجمد التنمية الذاتية للمجتمع المصري.

ومن ناحية أخرى دخل إسماعيل فى سلسلة مشروعات التنمية والتوسع أعادت إلى أذهان أوربا عصر محمد على من حيث بروز قوة مصر مرة أخري، فقد عمل إسماعيل كما يتضح على الخريطة على بسط نفوذ مصر فى الجنوب والجنوب الشرقى على ساحل البحر الأحمر.

ولقد وضعه هذا التوسع فى مواجهة حتمية مع الحبشة بعد أن حاصرها بتوسعاته عام ١٨٧٥م وانتهت بالهزيمة مع خسارة ثلاثة ملايين جنيه فى وقت كانت الخزينة المصرية تعانى ضائقة الديون.

على أن توسع إسماعيل حتى الحبشة، كما يتضح من الخريطة وبصرف النظر عن أن نتائج الحرب كانت فى غير صالحه، جعلت منه مصدر خطر على المصالح الأوربية التى كانت تتوسع هى الأخرى فى شرق أفريقيا، فأعاد إلى الأذهان خطر جده محمد علي، ولم يكن من باب المصادفات أن عام ١٨٧٥م الذى شهد هذا التوسع الكبير لمصر فى شرق إفريقيا، هو العام الذى بدأت فيه الأزمة المالية تتبلور وتأخذ مسارها الذى انتهى بالتدخل الأجنبى فى محاولة مخططة ومنظمة لإعاقة نمو مصر ومنع ظهور محمد على آخر.

خريطة (٨) الدولة المصرية فى عهد الخديو إسماعيل

أسئلة الفصل الثانى

(١) «تطلع محمد علي إلي ضم الشام لمصر منذ عام ١٨١٠م وقد نجح فى تحقيق ذلك عسكريًا مما أثار تدخل الدول الأوربية ضده». على ضوء هذه العبارة وضح ما يلي ......

(أ) محاولات محمد علي لضم الشام لمصر، و موقف الدول الأوربية والدولة العثمانية منها

(ب) أهم شروط معاهدة لندن ١٨٤٠م وما موقف محمد علي منها.

(جـ) أهم نتائج معاهدة لندن بالنسبة لمصر.

(٢) قارن بين حروب محمد علي فى الجزيرة العربية والسودان. من حيث : نتائج هذه الحروب.

(٣) (ارتبط التعليم فى عهد محمد علي بأهداف سياسة الاحتكار الاقتصادي وبناء القوة الذاتية) علي ضوء هذه العبارة وضح ما يلي ....

(أ) رأيك فى هذا القول؟ ثم دلل على صحة ما تقول

(ب) هدف محمد علي من إرسال البعثات إلى أوربا

(جـ) دور محمد على فى إنشاء المدارس مع ذكر الأهداف التي كان يرمي إليها من وراء ذلك

(د) المقارنة بين التعليم فى عهد محمد علي وفى عهد إسماعيل حتى عام ١٨٧٩م.

(٤) بم تفسر .... ؟

(أ) إصرار محمد علي على التخلص من الزعامة الشعبية.

(ب) اهتمام محمد علي بالتعليم فى مصر.

(جـ) إلغاء محمد علي لنظام الالتزام والأخذ بنظام الاحتكار.

(٥) «ألغى محمد علي نظام الالتزام وأوجد نظام الاحتكار». علي ضوء هذه العبارة أجب:

(أ) قارن بين نظامي الالتزام والاحتكار وطبق ذلك على مجال الزراعة.

(ب) ما أثر سقوط نظام الاحتكار على الاقتصاد المصري؟

(٦) «يُعد مشروع قناة السويس من أهم المشروعات التي ظهرت فى مناخ سقوط نظام الاحتكار ودخول الاستثمارات الأجنبية». على ضوء هذه العبارة وضح ما يأتي:

(أ) موقف محمد علي من فكرة شق قناة السويس

(ب) أهم شروط امتياز حفر قناة السويس التي حصل عليها دليسبس

(جـ) انقد هذه الشروط ووضح كيف كانت مجحفة بالنسبة لمصر

(٧) اقرأ العبارة الآتية، ثم أجب عن الأسئلة التي تليها:

(منذ خروج الحملة الفرنسية من مصر عام ١٨٠١م، وحتى عام ١٨٠٥م، وهناك صراع قائم بين قوى متعددة من أجل السيطرة على مصر).

(أ) ما هذه القوى؟

(ب) ما موقف الشعب المصري من هذه القوى؟

(جـ) ما مظاهر الصراع بين هذه القوى؟

(د) ما الآثار الاقتصادية والاجتماعية للحملة الفرنسية على مصر؟

(٨) دلل على صحة العبارات التالية تاريخيًا:

(أ) اتخذت الدول الأوربية موقفًا عدائيًا من توسعات محمد علي.

(ب) كانت معاهدة لندن ١٨٤٠م كارثة على مصر.

(جـ) تولي محمد على حكم مصر بناء علي رغبة الزعامة الشعبية.

(٩) «ترتبط السودان بمصر بروابط تاريخية وطبيعية عميقة الجذور» على ضوء هذه العبارة أجب....

(أ) ما الروابط الطبيعية التي تربط البلدين؟

(ب) ما أهداف محمد علي من ضم السودان لمصر؟

(جـ) ما جهود محمد علي فى تنظيم السودان والنهوض به؟

(د) وضح رأيك في المقولة التالية:

«أن محمد على كان علي حق حينما اعتبر مصر والسودان وحدة واحدة».

الفصل الثالث

مصر منذ الثورة العرابية حتى الحرب العالمية الأولي ١٨٨١ م -١٩١٤م

يتوقع بنهاية هذا الفصل أن يكون الطالب قادرًا على أن:

- يحلل أسباب الأزمة المالية فى مصر خلال حكم الخديو إسماعيل.
- يلخص النتائج المترتبة على الأزمة المالية فى مصر سياسيًا واقتصاديًا.
- يحدد أسباب الثورة العرابية.
- يتعرف الأوضاع فى مصر تحت الاحتلال البريطاني.
- يوضح جهود الزعامة الوطنية فى مقاومة الاحتلال البريطاني.
- يفسر أسباب فشل الثورة العرابية واحتلال الإنجليز لمصر.
- يقدر دور الزعامة الوطنية فى مكافحة الاستعمار الإنجليزي.
- يقارن بين مظاهرة عابدين الأولى ومظاهرة عابدين الثانية من حيث الأسباب والنتائج.
- يحدد على خريطة مصر خط سير الاحتلال الإنجليزى.

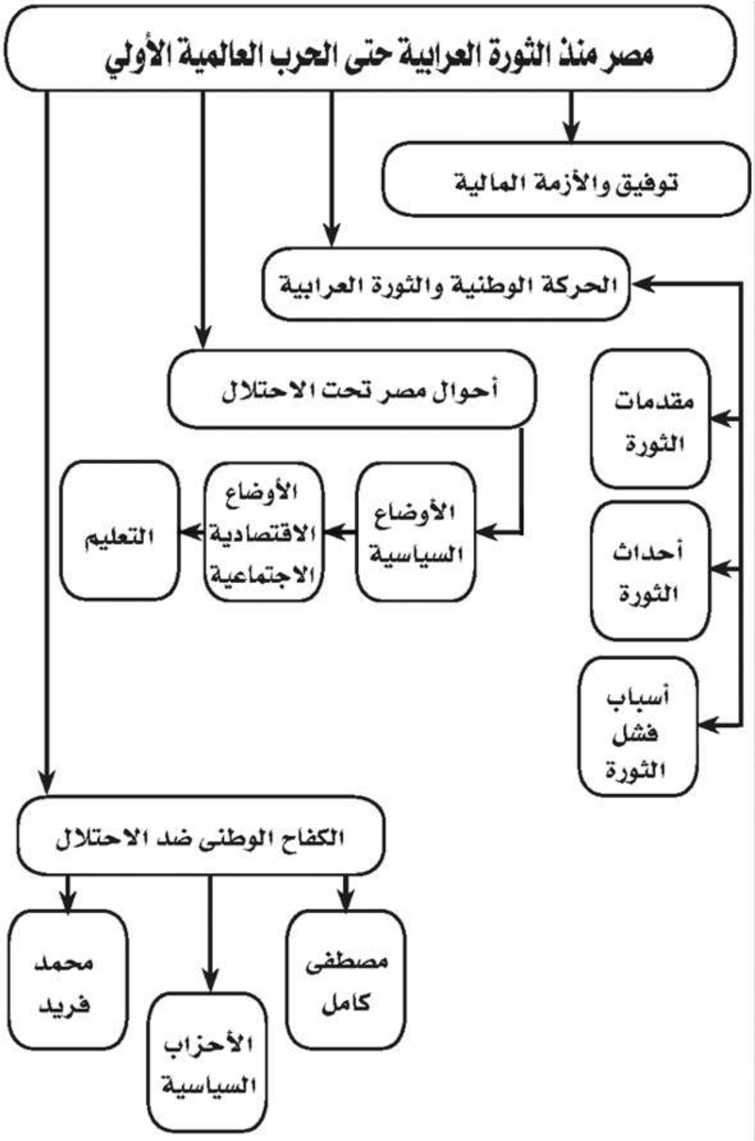

القضايا المتضمنة

- حقوق الإنسان.
- الوعى القانونى ومعرفة الحقوق والواجبات.

دخلت مصر فى دائرة من الأزمات المالية والسياسية مع القوى الأوربية انتهت بعزل إسماعيل، وأشعلت الحركة الوطنية المصرية ضد مظاهر التدخل الأجنبي، وانتهى الأمر كما سوف نرى باحتلال انجلترا لمصر.

■ الأوضاع المالية والسياسية :

بدأت الأزمة السياسية مع القوى الأوربية بسبب الديون التى استدانتها الحكومة المصرية للصرف على إصدار الفرمانات السلطانية اللازمة لتحقيق قدر من الاستقلال الذاتى عن الدولة العثمانية. وكذلك على مشروع قناة السويس وحفل افتتاح القناة، وإدخال مظاهر الحضارة الأخري.

- كان سعيد باشا قد بدأ سياسة الاقتراض فى أواخر أيامه من انجلترا بفائدة قدرها ٧٪ (عام ١٨٦٢م)، فضلاً عن الاقتراض من المرابين بسندات يحررها على الخزانة المصرية فيما عرف بالديون السائرة لأنها لم تكن تسدد وإنما تظل قائمة بفوائدها المركبة[١].

- لما تولى إسماعيل الحكم واصل سياسة الاقتراض بتوسع دون سداد الأمر[٢] الذى أقلق أصحاب الديون (البنوك الأوربية والأفراد المرابين)، وجعلهم يلجأون لحكوماتهم للقيام بالإجراءات اللازمة تجاه الحكومة المصرية لاسترداد الديون.

- كانت انجلترا فى مقدمة الدول التى استجابت لضغط الدائنين ورأت فى ذلك فرصة لتحقيق مطامع سياسية قديمة لاحتلال مصر كانت تراودها منذ أيام الحملة الفرنسية (١٧٩٨م)، حملة فريزر (١٨٠٧م)، ومن هنا اتكأت على أصحاب الديون لتتدخل باسمهم فى شئون البلاد لتحقيق الغرض النهائى ألا وهو الاحتلال.

ويبدو أن الديون المالية على مصر لم تكن هى السبب الحقيقى لتدخل انجلترا والدول الأخري، ذلك أن هذه الديون بدأت، منذ أواخر حكم سعيد (١٨٦٢م)، ولكن الأسباب الرئيسة كانت تكمن فى:

١- توسع مصر جهة الجنوب. ٢- قناة السويس.

لأن هذا التوسع كان من شأنه تهديد النفوذ الأوربى فى شرق أفريقيا، وقد اتضح هذا التهديد من حملة إسماعيل على الحبشة (١٨٧٥م) ومما يؤكد ذلك أن عام ١٨٧٥م هو العام نفسه الذى بدأ فيه التدخل الأوربى فى شئون البلاد بحجة البحث عن كيفية تسديد الديون.

وعلى هذا بدأ مسلسل الأزمة المالية، إذ اضطر إسماعيل تحت ضغط الدائنين وبالتنسيق مع حكوماتهم إلى إرسال كلاً من:

- **بعثة كييف (١٨٧٥م) :** استقدمت من بريطانيا للمعاونة فى حل الأزمة المالية، فدفع هذا فرنسا إلى إرسال خبير باسمها وهو المسيو فييه للمعاونة أيضًا، حتى لا تنفرد انجلترا بالأمر.

- **صندوق الدين (١٨٧٦م):** استرضاء للدائنين طلب إسماعيل منهم وضع النظام الذى يرتضونه، فقدم الجانب الفرنسى مشروع إنشاء الصندوق، وتوحيد الديون، فصدر مرسوم بإنشائه،

(١) بلغت ديون مصر عند وفاة سعيد ١١،١٦٠،٠٠٠ مليون جنيه.
(٢) بلغت الديون عند عزل إسماعيل ١٢٦،٣٥٤،٣٦٠ مليون جينه.

وتحددت مهمته فى أن يكون خزانة فرعية للخزانة العامة، تتولى استلام المبالغ المخصصة للديون من المصالح الحكومية مباشرة، كان الصندوق أول هيئة رسمية أوروبية أنشئت لفرض التدخل الأجنبى فى شئون مصر، إذ تولى إدارته مندوبون أجانب تنتدبهم الدولة الدائنة ويعينهم الخديو، وتداعت بعد ذلك مظاهر التدخل، ففى مايو ١٨٧٦م.

أصدر الخديو مرسوما بإنشاء مايلى :

- مجلس أعلى للمالية : يتكون من عشرة أعضاء نصفهم أجانب،
- المراقبة الثنائية (نوفمبر ١٨٧٦م) :أنشئت لمراقبة المالية المصرية من خلال إثنين أحدهما إنجليزى والآخر فرنسى.
- لجنة التحقيق الأوربية : لما سارت أحوال الحكومة المصرية المالية من سيئ إلى أسوأ وبالرغم من وجود المراقبة الثنائية، اتهمت إدارة المراقبة الخديو إسماعيل بأنه يقيم العقبات فى سبيل انتظام الشئون المالية، فاقترح الرقيبان وأعضاء صندوق الدين تأليف لجنة تحقيق أوربية فى (يناير ١٨٧٨م)، وأذعن إسماعيل وأصدر مرسومًا فى (يناير ١٨٧٨م) بتأليف لجنة لفحص شئون الحكومة المالية عرفت باسم لجنة التحقيق العليا للتحقق من العجز فى أبواب الإيرادات وأسبابه، وتلى ذلك مرسوم آخر فى (مارس ١٨٧٨م) بتعميم اختصاص اللجنة وجعله شاملاً لحالة الحكومة المالية بجميع عناصرها (إيرادات ومصروفات) وقد فرض المرسوم على وزراء الحكومة والموظفين إعطاء اللجنة جميع البيانات المطلوبة رأسًا.

■ توفيق وازدياد حدة الأزمة :

عندما تولى توفيق الحكم بعد عزل والده إسماعيل (١٨٧٩م)، انتهز السلطان العثمانى الفرصة لتقييد سلطات ومزايا الخديوية التى سبق إقرارها لإسماعيل بمقتضى الفرمان الجامع (١٨٧٣م)، فأصدر فرماناً جديداً فى (أغسطس ١٨٧٩م) يقضى بما يلي.

- وجوب إبلاغ الباب العالى بنصوص المعاهدات التى تنوى مصر توقيعها.
- تحديد عدد الجيش مرة أخرى وقت السلم بحيث لا يزيد على ١٨ ألف جندي.
- حظر عقد قروض جديدة إلا إذا كان الغرض منها تسوية الديون القائمة، ويكون الأمر باتفاق الدائنين.

غير أن انجلترا وفرنسا طلبتا عدم سحب الامتيازات الخديوية السابقة، ليس من باب العطف على الخديو، ولكن منعاً لطغيان نفوذ السلطان على الخديو فتتعطل مشروعاتهما فى مصر.

فى تلك الأثناء أبدى قنصلا انجلترا وفرنسا عدم الاطمئنان لوزارة شريف باشا الذى يتمسك

بالدستور، وبتشكيل مجلس للنواب، ذلك أن الحياة النيابية من شأنها تعطيل مصالح الدائنين عندما تناقش الأمور بمعرفة السلطة التشريعية.

وقد التقت تحفظات القنصلين بميول توفيق الاستبدادية والمعادية للدستور، فبادر بالتخلص من وزارة شريف باشا، وألف وزارة برئاسته فى (سبتمبر ١٨٧٩م)، رغم أن هذا كان يتناقض مع نظام تشكيل مجلس الوزراء الذى يقضى بأن يتولى أحد الوزراء رئاسة المجلس (مرسوم لعام ١٨٧٨م).

وكان توفيق قد ألف الوزارة بصفة مؤقتة لحين وصول رياض باشا من أوربا، وكان رياض من أنصار الحكم المطلق ومعاديًا للنظام الدستوري، ويخضع للنفوذ الأوربي، فكان إذن خير أداة للدول الدائنة.

أثناء تولى توفيق رئاسة الوزارة أعاد الرقابة الثنائية، وكانت قد توقفت بعد إدخال وزيرين أوربيين (إنجليزى وفرنسي) لعضوية الوزارة ثم تألفت وزارة رياض فقامت باعتماد هذا الإجراء بطبيعة الحال.

وتحقيقًا لإعادة نظام المراقبة الثنائية، قام القنصلان الإنجليزى والفرنسى بوضع مشروع لائحة لتنظيم الرقابة الثنائية، جعلت للرقيبين نفوذًا أكبر من نفوذ وزراء الدولة، إذ أصبح لهما حق حضور جلسات مجلس الوزراء، والاطلاع على بيان الواردات والمصروفات، ورغم أن رأيهما كان استشاريًا إلا أنه كان من الناحية العملية نافذ المفعول. لقد كان تنظيم الرقابة الثنائية على ذلك النحو، بداية التبرم والسخط من وزارة رياض باشا، ذلك أن سياسات المراقبة انتهت إلى ما يلي:

١- **بيع حصة مصر** فى أرباح القناة وقدرها ١٥٪ لاتحاد الماليين بباريس وفاء للديوان فى (يناير ١٨٨٠م) وكان إسماعيل قد اضطر لبيع أسهم مصر فى القناة قبل ذلك وفاء للديون، فأصبحت مصر لا تملك أى شيء فى قناة السويس.

٢- **إلغاء قانون المقابلة** فى (يناير ١٨٨٠م) الذى كان يمكن الحكومة من جمع أكبر قدر من الأموال الضريبية لتسديد الديون، وكان له دور ملحوظ فى عملية استقرار الملكية الفردية للأرض الزراعية.

٣- **تأليف لجنة دولية** فى (مارس ١٨٨٠م) من الدول التى لها معظم الديون (فرنسا وانجلترا وألمانيا والنمسا وإيطاليا)، لبحث الحالة المالية وتحديد علاقات كل من الحكومة والدائرة السنية (أملاك إسماعيل شخصيًا)، وأملاك الدومين (أملاك الأسرة) بالدائنين وطريقة تصفية الديون السائرة، وعرفت باسم لجنة التصفية، وهى التى أصدرت **قانون التصفية** فى (يولية ١٨٨٠م)، أى تصفية الدين -الذى أصبح يعتبر أساس نظام مصر المالى حتى عام ١٩٠٤م، وكانت أهم أحكام هذا القانون ما يلي:

● تحديد نفقات الحكومة السنوية بأقل من نصف الإيرادات، وتخصيص الباقى لحساب الدين العام.

● تخصيص أملاك الدائرة السنية والدومين لضمان دين الدائرة السنية التى تم الاقتراض باسمها ووضعها تحت إدارة دولية.

الحركة الوطنية والثورة العرابية :

أدت سياسة التدخل الأجنبى فى شئون البلاد المالية، وخضوع الخديو توفيق للأجانب، إلى إثارة مشاعر الكراهية ضد الأجانب والخديو معاً، ومن ثم الاحتجاج على التدخل الأجنبي.

ولقد حمل لواء المعارضة والاحتجاج صفوة من أعيان المصريين من كبار ملاك الأراضى الزراعية، ومن المتعلمين، وانضم إليهم العسكريون،

معلومة إثرائية

تعاظم نفوذ الأعيان أواخر أيام الخديو إسماعيل من خلال عضويتهم فى مجلس شورى النواب الذى سمح به إسماعيل (١٨٦٦م). ولقد رحب إسماعيل بذلك ليستعين بالأعيان فى مواجهة الضغط السياسى الأنجلو -فرنسي- وموازنة نفوذ العنصر التركى الشركسي، ومن ناحية أخرى لم يعد هؤلاء الأعيان طبقة ريفية فقط، إذ انتقل عدد كبير منهم إلى المدينة، وشارك فى الحياة العامة، ودخلوا تدريجيًا فى دائرة العمل السياسى المباشر.

تسببت الأزمة المالية والواقع السياسى فى تذمر أعيان المصريين بشكل عام من سوء نظام الحكم، وأبدوا اعتراضهم على سياسة رياض باشا رئيس الوزراء الذى كان يعارض فى إقامة حياة نيابية، وينحاز للنفوذ الأوربى، ويضطهد الوطنيين، ويعطل الصحف التى تنتقد تصرفات الحكومة، وأدرك المثقفون أن الإصلاح يأتى بتطبيق الدستور الذى سبق أن وضعه شريف فى أواخر حكم إسماعيل (دستور ١٨٧٩م) وإنشاء مجلس النواب.

وهكذا... وأمام سياسة رياض باشا والخديو توفيق الاستبدادية الخاضعة للنفوذ الأجنبي، تألفت جمعية فى حلوان من الناقمين على سياسة رياض اشتهرت باسم «الحزب الوطني» وقد نشرت أول بيان سياسى لها فى (نوفمبر ١٨٧٩م). وعندما زاد تغلغل النفوذ الأوربى فى الحكومة طالب الحزب فى منتصف ١٨٨١م بما يلي:

١- تعاد إلى الحكومة المصرية جميع أملاك الخديو (الدائرة السنية) وأملاك الأسرة (الدومين).

٢- إلغاء النص الخاص بتخصيص إيراد السكك الحديدية لحساب الدين.

٣- توحيد مختلف الديون فى دين واحد بفائدة قدرها ٤٪ فقط.

٤- تكوين إدارة مراقبة وطنية خاصة مؤقتة بديلة للمراقبة الثنائية الأجنبية، يكون فيها ثلاثة من الأجانب تعينهم الدول الأجنبية وتوافق عليهم الحكومة المصرية.

ولقد حاول رياض باشا معرفة أفراد هذا الحزب لنفيهم إلى السودان، لكنه لم يستطع.

كما تأسست جمعية أخرى فى الاسكندرية عرفت باسم «مصر الفتاة» أصدرت جريدة بالاسم نفسه، حيث طالبت الخديو بالحريات العامة.

العوامل التى أدت إلى قيام الثورة العرابية:

- ازدياد التدخل الأجنبى وخضوع الخديو للأجانب.
- الحكم المطلق المستبد للخديو ورياض باشا رئيس الوزراء.
- سوء الأحوال الاقتصادية عامة وانهيار الخدمات بسبب تخصيص أكثر من نصف موارد الميزانية لحساب الديون، وكان هذا معناه حرمان الأهالى ثمرة جهودهم.
- تذمر حائزو الأرض بسبب إلغاء قانون المقابلة، وكانوا قد استدانوا لدفع ستة أمثال الضريبة أملاً فى الإعفاء من نصف الضريبة مستقبلاً وامتلاك الأرض ملكية قانونية.
- تذمر ضباط الجيش المصرى بسبب :

- إحالة كثير من الضباط للتقاعد توفيرًا للنفقات، دون تدبير وظائف أخرى مدنية لهم، فانضموا إلى جيش الناقمين من الأهالي.

أحمد عرابى

- سوء معاملة رؤسائهم الأتراك لهم، وخاصة وزير الحربية عثمان رفقى باشا، وقصر الترقية العسكرية على المتخرجين من المدارس الحربية (وفقًا لمرسوم صدر فى ٣١ يولية ١٨٨٠م)، فكان هذا يعنى عدم وجود فرصة لترقى غالبية العسكريين المصريين.

ورغم أن الثورة عادة تنفجر بسبب أمور تبدو بسيطة لا تدعو للانفجار، وهى التى يقال عنها السبب المباشر، أو كما يعبر عنها المثل الدارج : (القشة التى قصمت ظهر البعير...) إلا أن عوامل السخط والتذمر الكامنة والمتراكمة، تجعل من هذا الأمر البسيط العادى سببًا ملموسًا للتجمع والثورة.

فالمناخ العام السياسى والمالى والاقتصادى كان ينذر بالاحتجاج والثورة، وكان العسكريون فى مصر أكثر تأهلاً للقيام بالثورة نظراً لقدرتهم التنظيمية التى يتميزون بها عن المدنيين، وكان لديهم هم الآخرون ما يعانون منه داخل الجيش من تعسف القيادات التركية الشركسية وحرمانهم من تولى أمور القيادة والرتب العالية، ولما كان العسكريون جزءًا لا يتجزأ من المجتمع المصري، فقد تأثروا أيضًا بالمناخ العام المنذر بالثورة، وهذا ما أعطى الثورة العرابية بقيادة العسكريين طابعًا مدنيًا وشعبيًا عامًا.

أما السبب المباشر لتذمر وتجمع العسكريين المصريين، فكان يتمثل فى نقل الأميرلاى عبدالعال بك حلمى قائد آلاى طره إلى ديوان الحربية (مقر الوزارة)، وتعيين أحد الشراكسة مكانه، فكان هذا يعد تنزيلاً لمرتبته.

وعلى أثر ذلك تجمع الضباط المصريون فى منزل أحمد عرابى فى (يناير ١٨٨١م) لمناقشة وضعهم

داخل الجيش، وأسفر الاجتماع عن تزعم أحمد عرابى لحركة مطالب الضباط، وكتبوا عريضة تطالب رئيس الوزارة بعزل وزير الحربية التركى (عثمان رفقي)، وتعيين مصرى مكانه.

حادثة قصر النيل (مظاهرة عابدين الأولى) (يناير - فبراير ١٨٨١م) :

ولم تستجب الحكومة لمطلب الضباط وتقرر اعتقال زعمائهم وتقديمهم للمحاكمة العسكرية وهم: أحمد عرابي، وعلى فهمي، وعبدالعال حلمي، وأثناء المحاكمة فى (قصر النيل) كان زملاء الضباط الثلاثة قد خرجوا على رأس فرقهم العسكرية وهاجموا مقر المحاكمة، فهرب المجلس العسكرى وخرج الضباط الثلاثة إلى ميدان عابدين لمقابلة الخديو، وأمام التجمهر فى عابدين اضطر الخديو إلى عزل عثمان رفقى وتعيين محمود سامى البارودى وزيرا للحربية فى (فبراير ١٨٨١م).

ونتيجة لهذه الاستجابة شعر الضباط بقوتهم وبالثقة فى قدرتهم ،وبدأوا فى تقديم مطالب فئوية لتأمين وضعهم داخل الجيش وتحسين حياتهم والتى تتلخص فى:

- صرف بدل نقدى عن التغذية والملابس وزيادة المرتبات عامة.
- عدم استقطاع مرتباتهم مدة الأجازات.
- أن يدفع العسكريون نصف أجرة بالسكة الحديدية.

ولقد تمت الاستجابة لمعظم هذه الطلبات، ومع هذا لم يكن الضباط مطمئنين رغم أن الخديو بعد عزله لعثمان رفقى استدعاهم وأفهمهم أنه لم يعد غاضبًا مما حدث، ولقد صدق حس الضباط من حيث تخوفهم، إذ بدأ الخديو يعمل على تأليب كتائب الجند ضدهم.

مطالب أواخر مايو ١٨٨١م : - طالب الضباط بزيادة عدد الجيش إلى ثمانية عشر ألف جندى حسب فرمان ١٨٤١م، وكان قد وصل عمليًا إلى اثنى عشر ألف جندى فقط - إنشاء حصون جديدة - أضافوا إلى مطالبهم العسكرية مطلبًا سياسيًا لأول مرة، ألا وهو تكوين مجلس نواب تكون الوزارة مسئولة أمامه، عملاً بالنظام النيابي.

وقد أثبت هذا المطلب فى حد ذاته توحد حركة الجيش مع الحركة المدنية السياسية العامة ضد نظام الحكم.

موقف الخديو من مطالب مايو ١٨٨١م :

وجد الخديو أن نفوذ الضباط أخذ فى الازدياد، فبدأ يعمل على تحجيم وضعهم، وتحديد نفوذهم بمختلف الوسائل، من ذلك أنه بدأ يحرض الجنود تحت رئاستهم بكتابة تقارير ضدهم، وبدأت شكوك الضباط تزداد نحو الخديو، وقد تمثل ذلك فى رفضهم تنفيذ بعض الأوامر العسكرية، مثل رفضهم الذهاب للسودان لإخماد ثورة المهدى اعتقاداً منهم أن الغرض من ذلك إبعادهم عن مجرى الحوادث فى مصر، وامتناعهم أيضًا عن إشراك جنود الفرق العسكرية فى حفر الرياح التوفيقى اعتقاداً أيضاً بأن

الغرض من ذلك جمع السلاح من أيدى جنودهم.

وتتابعت الحوادث... ففى تلك الأثناء حدث أن صدمت عربة أحد الأوربيين أحد الجنود المصريين بالاسكندرية وقتلته فى (يوليو ١٨٨١م)، وطلب الجند من الخديو التدخل لمعاقبة الجاني، وحملوا القتيل إلى سراى الخديو بالمدينة، وقد استاء الخديو من ذلك المسلك، وحوكم المشاركون فى هذه المظاهرة وتم نفيهم إلى السودان.

تقدم عبدالعال حلمى بتقرير يتضرر من الأحكام الصادرة على الجند وقام البارودى برفعه إلى رئيس الوزراء، وقد استاء الخديو مرة أخرى من هذا الأسلوب، فقدم البارودى استقالته، فما كان من الخديو إلا أن عين صهره داود باشا يكن وزيرًا للحربية، وقام داود باشا بالتشديد على رقابة الضباط والتضييق عليهم ومنعهم من الاجتماعات.

على كل حال أدرك الخديو من سير الحوادث مدى نفوذ الضباط الثلاثة داخل الجيش، وبدأ يعد خطة لتفريق شملهم ونقل كلا منهم لمكان بعيد عن الآخر، وفى الوقت نفسه كانت ثورة عرابى ومكانته تزداد بين الضباط وبين المدنيين على السواء، وبدأ يوجه الاتهامات للحكومة من حيث عدم الوفاء بوعودها فى إصلاح حال العسكريين، واتفق عرابى مع زملائه على حشد الجيش لمواجهة الخديو فى ميدان عابدين يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١م.

مظاهرة عابدين ٩ سبتمبر ١٨٨١م:

وفى اليوم المحدد وفى ميدان عابدين رفع عرابى مطالب الجيش والأمة وهي:

١- عزل رياض باشا رئيس الوزراء.

٢- تشكيل مجلس النواب.

٣- زيادة الجيش إلى ١٨ ألف جندي.

نتائج مظاهرة عابدين ٩ سبتمبر ١٨٨١م:

وبناء على نصيحة القنصلين الانجليزى والفرنسى للخديو بامتصاص غضب الضباط قام بعزل رياض باشا وكلف شريف بتأليف الوزارة.

- ألف شريف باشا الوزارة بعد حادث عابدين مباشرة فى (سبتمبر ١٨٨١م) وبناء على توصية عرابى تقلد البارودى وزارة الحربية ومصطفى فهمى باشا الخارجية.

- بدأ شريف بالإصلاحات المناسبة للجيش وذلك استجابة للمطالب الفئوية.

- شريف كرجل دستورى مدنى لم يكن مرتاحًا لضغط العسكريين عليه والذى تمثل فى توصية عرابى بتعيين البارودى ومصطفى فهمى فعمل على نقل آلايات (كتائب) الضباط الثلاثة خارج القاهرة، ولقد وافق عرابى شريطة أن يعلن الخديو موافقته على إجراء الانتخابات لمجلس النواب.

واستجاب الخديو ونقل عرابى إلى الشرقية وعبدالعال حلمى إلى دمياط، وفى الشرقية بلد عرابى نشط بين الأهالي، وازداد شأنه، ومن ثم خطره، الأمر الذى أخاف الحكومة، فصدر قرار بتعيينه وكيلاً لوزارة الحربية حتى يكون تحت نظر الحكومة ورقابتها فى القاهرة فى (يناير ١٨٨٢م).

فى تلك الأثناء قدم عددًا من أعيان البلاد مذكرة بإنشاء مجلس للنواب على غرار مجالس أوربا، وقد افتتح المجلس بعد الانتخابات فى (ديسمبر ١٨٨١م)، وكان يتألف من ذوى العصبيات فى الأقاليم من الأعيان، وخلا من التجار أو الصناع أو المتعلمين تعليمًا عاليًا، وبالتالى لم يختلف عن مجلس شورى النواب أيام حكم إسماعيل.

التدخل الأجنبى السافر : (المذكرة المشتركة الأولى)

رأت انجلترا وفرنسا فى تشكيل مجلس النواب ما يمثل خطورة على مصالحهما، وعلى هذا فقد أرسلت الدولتان مذكرة مشتركة فى (يناير ١٨٨٢م) توحى كلماتها بالاستياء من قيام نظام برلمانى فى مصر، وتذكر صراحة أن الأحداث توجب التدخل لحماية عرش الخديو. وقد احتج شريف باشا رسميًا على هذه المذكرة لدى قنصلى الدولتين، واستاء الضباط من لهجة المذكرة واعتقدوا أنها موجهة إليهم.

وتداعت الأحداث... ولما لم تتمكن الدولتان من إلغاء مجلس النواب، طلبتا ألا تتضمن لائحة المجلس حقه فى مناقشة الميزانية وإقرارها، لأنها أمور تتعلق بالديون، وتحرج موقف شريف باشا، وعرض على النواب تأجيل النظر فى الميزانية حتى يفوت الفرصة على التدخل العسكرى للدولتين، غير أن العرابيين تشبثوا بحق المجلس فى إقرار الميزانية باعتبار أن ذلك حق من حقوق الأمة الممثلة فى المجلس المنتخب، وبدا للعرابيين أن شريف يعمل على إقصائهم من الميدان كعسكريين، ومن ثم بدأوا يفكرون فى إقصائه هو عن رئاسة الوزارة وتولية واحد منهم ألا وهو البارودي، وكان البارودى من ناحيته يسعى لذلك ويشجع العرابيين على التمسك بموقفهم.

استقالة شريف ووزارة الثورة :

وأمام إصرار الطرفين على موقفهما بالنسبة لمناقشة الميزانية، استقال شريف باشا، وتألفت الوزارة برئاسة البارودى واعتبرت وزارة العرابيين، حيث عين عرابى وزيرًا للحربية، وبادرت الوزارة بإعلان الدستور فى (فبراير ١٨٨٢م)، وإقرار حق مجلس النواب فى مناقشة الميزانية، وهنا احتج الرقيبان الانجليزى والفرنسي، وطالبا قنصليهما بالتصرف.

مؤامرة الضباط الشراكسة :

من ناحية أخرى كان الموقف العام يزداد سوءًا من حيث تخاذل الخديو توفيق وخضوعه للنفوذ الأجنبي، ففى إبريل ١٨٨٢م وقعت حادثة زادت الموقف توتّرا. فقد اكتشفت مؤامرة لاغتيال عرابى والضباط الوطنيين (أربعون ضابطًا) بمعرفة بعض الضباط الشراكسة. وأجرى التحقيق مع المتآمرين

حيث حكم عليهم بالنفى المؤبد إلى السودان، وتجريدهم من الرتب العسكرية والنياشين والامتيازات.

رفض الخديو التصديق على الحكم بناء على نصيحة القنصلين حتى لا تزداد قوة العرابيين، فأهاج ذلك العرابيين، ثم تم التوصل إلى حل وسط حيث وافق الخديو فى (مايو ١٨٨٢م) على نفى المتآمرين خارج مصر دون تحديد الجهة، مع عدم التجريد من الرتب والنياشين.

ولقد شعر القنصلان أن الحالة تنذر بالثورة وبخلع الخديو خاصة وقد نسب إلى العرابيين أنهم يسعون إلى عزل الخديو توفيق وتعيين الأمير حليم، وبناء على تقارير القنصلين أرسلت انجلترا وفرنسا قطعًا من الأسطول فى مظاهرة حربية أمام الشواطيء المصرية، بحجة حماية مصالح رعاياهما إذا ما تعرضوا للخطر بسبب الأزمة القائمة فى (مايو ١٨٨٢م).

المذكرة المشتركة الثانية :

طلبت الدولتان استقالة وزارة البارودي، وخروج عرابى من مصر، وكان تقديم الطلب للعرابيين قد تم بشكل ودى بواسطة سلطان باشا رئيس مجلس النواب، ومن هنا فقد سلطان باشا ثقة زعماء الثورة وعرف بالخائن فيما بعد.

وكان من الطبيعى أن ترفض وزارة البارودى الاستقالة بناء على طلب الأجانب، بل إن هذا الطلب زاد من تماسك العرابيين حيث أقسم الجميع (البارودى مع الضباط) يمين الدفاع عن البلاد والولاء للثورة، وقام الشيخ محمد عبده بمهمة تحليف الضباط اليمين.

لكن الخديو توفيق قبل مذكرة الدولتين، فما كان من الوزارة إلا أن استقالت احتجاجًا فى (مايو ١٨٨٢م)، وقام توفيق بتشكيل وزارة برئاسته، إلا أنه لم يستطع التخلص من عرابى حيث عينه وزيرًا للحربية ورئاسة الجيش تحت ضغط الضباط.

بدأت انجلترا تتجه نحو الانفراد بالعمل بعيدًا عن فرنسا، وجاءتها الفرصة عندما انسحبت قطع من الأسطول الفرنسى وبقيت القطع الانجليزية، وأخذ قائد الأسطول الانجليزى يطالب الحكومة المصرية بعدم إقامة أية تحصينات، كل هذا والخديو لا يحتج، والسلطان العثمانى لا يحرك ساكنًا.

مذبحة الإسكندرية :

ففى يونيه ١٨٨٢م وقعت مذبحة بالاسكندرية على أثر شجار بين رجل مالطى من رعايا بريطانيا وبين مكارى مصرى (عربجي) حول أجرة الركوب، فما كان من المالطى إلا أن طعن المصرى طعنة قاتلة، وتحول الأمر إلى معارك متبادلة بين الأجانب خاصة والمصريين عامة.

ويبدو أن هذا الحادث الغامض فى تاريخ مصر الحديث كان مدبرًا، ذلك أن المالطى أخذ جولة كبيرة بالعربة على غير المعتاد، وتعمد أن يدفع أجرة قليلة لا تتناسب مع طول الجولة، على كل حال اضطربت الأمور واختل الأمن، وتألفت وزارة جديدة برئاسة راغب باشا (٢٠ يونية ١٨٨٢م).

مؤتمر الآستانة والاحتلال :

أدركت فرنسا أن انجلترا تريد الانفراد بمصر واحتلالها، ومن ثم بادرت بدعوة الدول الكبرى لعقد مؤتمر للنظر فى المسألة المصرية، ووافقت انجلترا وألمانيا وإيطاليا والنمسا، وانعقد المؤتمر بالآستانة عاصمة الدولة العثمانية فى مقر السفارة الإيطالية (يونية ١٨٨٢م). وأبرم المجتمعون فيما بينهم ميثاق نزاهة تعهدوا بمقتضاه ألا تنفرد إحداها بالعمل تجاه المسألة المصرية، سواء باحتلال جزء من الأراضى أو الحصول على امتياز معين دون أن تتمتع به كافة الدول.

وأثناء المؤتمر أدرك المندوب البريطانى ما ينطوى عليه هذا الميثاق، فأضاف إلى تعهد عدم الانفراد عبارة: «إلا إذا حدث ما يؤدى إلى ذلك...» وقبل أن يبلغ المجتمعون السلطان العثمانى بقرارهم، كانت انجلترا قد أعدت للأمر عدته، وخلقت الموقف الاضطراري، وقامت بضرب مدينة الاسكندرية فى يوم ١١ يولية استناداً إلى أن مصر تقوم بتحصين الاسكندرية، وتعتزم غلق الميناء وحصار البوارج الانجليزية الراسية فيه، وهكذا ذهب ميثاق النزاهة سدي.

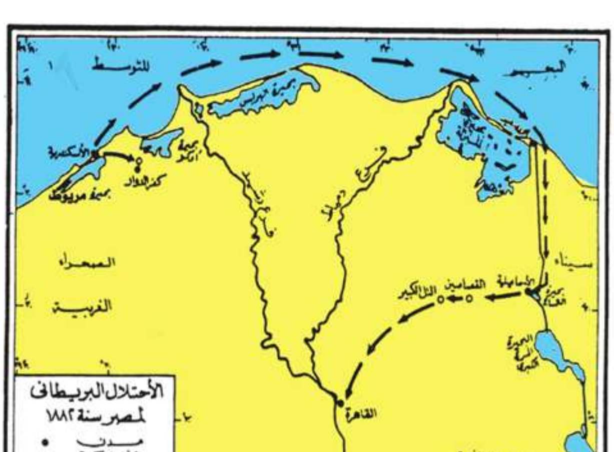

خريطة (٩) الاحتلال البريطانى لمصر سنه١٨٨٢م

نزلت القوات الإنجليزية الاسكندرية، واضطرب الموقف بشكل عام وتلاحقت الحوادث تجاه هزيمة الجيش المصرى واحتلال انجلترا البلاد، فقد أعلنت الأحكام العرفية وحاصر الجيش قصر الخديو بالاسكندرية، وربط الخديو مصيره بانتصار الانجليز بل إنه كلفهم بالمحافظة على النظام بالاسكندرية وانسحب عرابى مع وحدات من الجيش إلى كفر الدوار لإقامة خط دفاع ثان. لاحظ خريطة (١١).

طلب الخديو من عرابى وهو بكفر الدوار الكف عن الاستعدادات الحربية، وأمره بالحضور إلى قصر رأس التين، غير أن عرابى رفض، ووجه إلى الخديو تهمة الخيانة العظمي، وطلب من الأعيان والعلماء النظر فى أمر ولايته على البلاد، وعلى هذا تم تشكيل مجلس عرفى لإدارة شئون البلاد بعيداً عن سلطة الخديو.

وإزاء ذلك قرر الخديو عزل عرابى من وزارة الحربية، لأنه لم يتوقف عن التحصينات والاستعدادات الحربية، فقرر المجلس العرفى بقاء عرابى فى منصبه، واكتسب عرابى تأييدًا شعبيًا جارفًا وأطلق عليه «حامى حمى الديار المصرية»، واعتبر بقاء الخديو بالاسكندرية بعد احتلال الانجليز لها تواطؤًا معهم،

ورد الخديو على ذلك بإصدار منشور يحذر فيه المصريين من الانضمام إلى عرابى باعتباره مسئولاً عما جرى من حوادث.

وبينما الطرفان فى هذه المناوشات الكلامية، دخل الانجليز إلى قناة السويس، وقد حاول عرابى قبيل ذلك إعاقة الملاحة فيها، إلا أن إدارة الشركة طمأنته بأنه لن يسمح للبوارج الحربية من أى نوع بالدخول فى القناة، وكان عرابى قد انتقل بقواته إلى التل الكبير شكل (١٢) فى الشرقية تحسبًا لدخول الانجليز من الناحية الشرقية، وأخيراً وقع الصدام بين الجيش البريطانى والجيش المصرى انتهى بهزيمة الجيش المصري، وأصبح الطريق مفتوحًا أمام الجيش الانجليزى إلى القاهرة حيث دخلها فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢م وبرفقتهم الخديو توفيق الذى قام باستعراض «الجيش الانجليزى فى ساحة عابدين» وبهذا انتهت الثورة العرابية..

أسباب فشل الثورة العرابية :

يمكن تلخيص الأسباب فيما يلى :

١- الانقسام فى صفوف الأمة بين الفريق المؤيد لعرابى من ناحية و الفريق المؤيد للخديو توفيق والعناصر التركية الشركسية من ناحية أخري بسبب قيام السلطان العثمانى بإصدار فرمان العصيان، مما ساعد الإنجليز على الاستفادة من التناقضات بل وتعميق الخلافات والظهور بمظهر حماة سلطة الخديو.

٢- اختلاط هدف التخلص من التدخل الأجنبى الذى حدث بفعل الأزمة المالية وتحدى سلطة الخديو والتهديد بعزله، ذلك أن العناصر التى تريد التخلص من التدخل الأجنبى لا تريد فى الوقت

معركة التل الكبير

نفسه تحدى سلطة الخديو باعتباره ولى الأمر الفعلى، وكان من شأن هذا الخلط تفتيت وحدة الحركة الوطنية.

٣- ظهور عناصر انهزامية فى صفوف الوطنيين كانت ترى الانصياع لرغبات الخديو والانجليز وإيقاف الثورة، ووصل الأمر بهؤلاء إلى الاقتناع بطلب الانجليز مغادرة عرابى للبلاد.

٤- عدم تكافؤ القوة العسكرية بين الطرفين، وتواطؤ إدارة شركة قناة السويس الأجنبية مع قيادة الجيش الانجليزى وتسهيل دخول الأسطول الانجليزى مياه القناة.

٥- معاداة الدول الأوربية الكبرى لأى ثورات وطنية من شأنها تغيير ميزان القوى وأوضاع الحكم القائمة من الملكيات المستبدة.

أحوال مصر تحت الاحتلال الإنجليزى

● الأوضاع السياسية :

بعد دخول الجيش الانجليزى مصر فقدت مصر استقلالها الذى حاول كل من محمد على وإسماعيل تحقيقه بمختلف الطرق والوسائل، وفور دخول الانجليز تم حل الجيش المصري، وتشكل جيش جديد تحت إشراف انجليزي، وقام اللورد دافرين سفير انجلترا بالأستانة بوضع خطوط الإدارة الانجليزية لمصر بعد الاحتلال، عرفت بالقانون الأساسى لعام ١٨٨٣م، وكانت أفكاره على النحو التالى:

١- ألا تتولى انجلترا حكم مصر مباشرة، بل تبقى السلطة فى يد الخديو ووزرائه تحت إشراف الإنجليز وكان هذا يعنى وجود سلطتين فى البلاد: سلطة صورية يمثلها الخديو، وسلطة فعلية يمثلها الاحتلال الانجليزي.

٢- استمرار تبعية مصر للدولة العثمانية منعاً لإثارة السلطان.

٣- العمل على طبع الإدارة المصرية بالطابع الانجليزي، وهو ما عرف بسياسة (النجلزة).

٤- إلغاء بعض الإدارات ذات الصبغة الدولية فى مصر وفى مقدمتها نظام المراقبة الثنائية، حتى تنفرد انجلترا بالحكم، وكان هذا سببًا فى عداء فرنسا لانجلترا الذى استمر حتى تم توقيع (الوفاق الودى) بينهما فى عام ١٩٠٤م.

٥- إلغاء مجلس النواب الذى شكل على غير رغبة انجلترا وفرنسا كما سبقت الإشارة، وإقامة مجلس صورى عرف بمجلس شورى القوانين، وإلى جواره جمعية عمومية صورية، ومجالس للمديريات تضم الأعيان بصفة أساسية.

وتم تعيين السير ايفلن بارنج (اللورد كرومر فيما بعد) أول معتمد بريطانى فى مصر (سبتمبر ١٨٨٣م)، وقد ظل كرومر رمزًا للوجود الانجليزى فى مصر حتى رحل عنها فى ١٩٠٧م.

• الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى عهد الإحتلال الإنجليزى :

الزراعة :

فى عهد الاحتلال الانجليزى وحتى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م) انصرف الاهتمام بدرجة أكثر إلى الزراعة على حساب الصناعة، وذلك لتوفير المادة الخام اللازمة للمصانع الانجليزية، وإتاحة الفرصة لتسويق المنتجات الانجليزية فى السوق المصرية.

وكان من شأن الاهتمام بالزراعة :

أ - تحسين نظام الرى والصرف، واستكمال شق القنوات، وفى هذا الخصوص تم إصلاح القناطر الخيرية، وأنشئ خزان أسوان، وأقيمت عدة قناطر على النيل فى أسيوط وإسنا وزفتي، وعلى هذا زادت مساحة الأراضى المزروعة وزاد الإنتاج الزراعي.

ب - كما زادت الزراعة الصيفية وخاصة القطن على حساب الزراعات الشتوية وبخاصة الحبوب، وأدى ذلك إلى عجز مصر عن سد حاجة الاستهلاك المحلى من المواد الغذائية، ومن ثم تعرضها لخطر الاعتماد على محصول واحد وهو القطن.

وتحت الاحتلال الانجليزى بدأت الاستثمارات الأجنبية تدخل فى مجال الزراعة، فتكونت شركات لشراء الأراضى واستصلاحها ثم بيعها للأهالى بالتقسيط بفوائد مركبة أدت إلى ارتباك حالة الفلاح المالك.

وقد أدى اعتماد الاقتصاد المصرى على الزراعة إلى تعاظم دور ملاك الأراضى الزراعية كقوة اجتماعية دخلت فى ميدان السياسة منذ عصر إسماعيل، وقد زاد شأنهم فى عهد الاحتلال بسبب اهتمام السلطات الانجليزية بالتخصص الزراعي، فيلاحظ تشكل مجالس المديريات منهم، ودخولهم عضوية المجالس النيابية فى عهد الاحتلال حيث واتتهم الفرصة للدفاع عن مصالحهم الزراعية من خلال السلطة التشريعية، بل إن وظيفة العمدة وشيخ البلد استقرت فى أيديهم، حين اشترط قانون العمد (١٨٩٦م) مثلاً أن يكون المرشح لشغل الوظيفة ممن يملكون عشرة أفدنة على الأقل.

الصناعة :

تأثرت الصناعة كثيرًا بوجود الاحتلال الانجليزي، وكانت قد تأثرت من قبل عندما سقط نظام الاحتكار، حيث أصبحت السوق المصرية مجالاً لتسويق الإنتاج الصناعى الأوربى فى حماية الامتيازات والمعاهدات التجارية مع مختلف دول أوربا.

وبالتالى لم تستطع الحكومة المصرية حماية الصناعة المحلية. بل على العكس وضعت الصناعة المحلية فى منافسة غير متكافئة **بالإجراءات التالية:**

١- فرضت على جميع المنسوجات القطنية ضريبة مقدارها ٨٪ مما أدى إلى كساد صناعة غزل القطن ونسجه.

٢- فرضت على السكر المصنوع فى مصر ضريبة استهلاك فارتفع سعره وتساوى مع سعر السكر المستورد.

٣- جعلت سعر الضريبة على الآلات المستوردة اللازمة للصناعة تعادل سعر الضريبة على السلع الأجنبية، مما أدى إلى ارتفاع تكلفة الصناعة الوطنية، وبالتالى صعوبة تسويقها.

٤- فرضت على المصنوعات المصرية المصدرة رسومًا قدرها ١،٢٥٪، مما أدى إلى ارتفاع سعرها فى السوق الخارجية فلا تجد مشتريًا.

٥- تدهور حال التعليم الصناعى بعد انتهاء نظام الاحتكار، ولم تتبين الحكومة خطورة هذا التدهور إلا فى عام ١٩٠٧م عندما أنشئت إدارة للتعليم الفنى الصناعي.

ورغم وفرة رءوس الأموال فى يد المصريين من ملاك الأراضى الزراعية إلا أن هؤلاء الملاك كانوا يفضلون استثمار مدخراتهم فى استصلاح الأراضى وفى الزراعة بدلاً من الإنتاج الصناعى المحكوم عليه بمنافسة غير متكافئة ودون حماية حكومية، كما سبقت الإشارة، بل إن الأجانب أحجموا بدورهم عن استثمار أموالهم فى الصناعة حتى يفسحوا المجال لتسويق منتجات بلادهم الصناعية فى مصر،

وأمام هذه المنافسة غير المتكافئة وعجز الحكومة المصرية عن حماية الصناعات المحلية، لم يعد أمامها سوى بيع ما تملكه من مغازل القطن ومعامل النسيج، وإغلاق مصانع المدافع والذخيرة وبيع أدواتها، وأصبحت تعتمد فى تمويل الجيش بالمهمات والذخيرة اللازمة على الشراء من انجلترا.

- أما بالنسبة للصناعات الصغيرة غير الحكومية، فقد أصابها التدهور حيث انتشرت حالات الإفلاس بين أصحابها، ولم تعد هناك طائفة تحميهم كما كان الحال فى السابق، إذ ألغيت تلك الطوائف فى ١٨٩١م، وأصبحت البضائع المستوردة تشكل نسبة كبيرة من استهلاك المصريين، حتى لقد كان اللورد كرومر يفخر فى تقريره السنوى عن مصر لعام ١٩٠٥م بقوله: إن المنسوجات الأوربية حلت محل المنسوجات الأهلية، وإن الدكاكين المحلية أصبحت تبيع كل ماهو أوربى الإنتاج.

معلومة إثرائية

فى مطلع القرن العشرين بلغ رأس مال الشركات الأجنبية المساهمة فى مصر ٤٥ مليونا من الجنيهات، لم يزد نصيب المستثمر منها فى الصناعة على أربعة ملايين فقط. فقد انصرفت رءوس الأموال الأجنبية إلى تسليف الحكومة، وتسليف المنتجين الزراعيين، وشراء الأراضى والعقارات،

التجارة:

نتيجة القيود التى فرضت على الإنتاج المحلى وتسويقه، ارتفع شأن الوكالات التجارية الأجنبية، ولم يعد للحكومة من رقابة على الأسواق الداخلية إلا فيما يتعلق بالأمن العام.

وبدأت رؤوس الأموال المتراكمة من التجارة تستثمر فى مجال الشركات والبنوك وخاصة ما كان يتعلق بالرهونات،

وكان أبرز هذه المشروعات الاستثمارية وأخطرها على الاقتصاد المصري، إنشاء البنك الأهلى (يونية ١٨٩٨م)، وهو مشروع انجليزى احتكر إصدار الأوراق المالية المصرية وكافة الأعمال المصرفية، مما أدى إلى ارتباط العملة المصرية بالعملة الانجليزية، بحيث كانت أية هزة فى العملة الانجليزية تؤثر على العملة المصرية.

معلومة إثرائية

خلال الفترة من ١٩٠٠م-١٩٠٧م أنشئت فى مصر أكثر من ١٦٠ شركة وبنكًا تعمل جميعها فى دائرة البنوك واستصلاح الأراضى واستغلالها، وتسليف الفلاحين وبلغت نسبة الأجانب فى هذه المشروعات ٩٣٪.

وقد نتج عن الاستثمارات الأجنبية فى مجال الزراعة من حيث التسليف وشراء الأراضي، وقوع ملاك الأراضى الزراعية صغارهم وكبارهم فى قبضة هذه البنوك، والذى حدث أن أولئك الفلاحين كانوا يعجزون لأسباب كثيرة عن تسديد ما عليهم من قروض فى موعد السداد، وكان الدائنون من بنوك أو مرابين أجانب يسارعون بالاستيلاء على الأرض وفاء للديون طبقًا لقوانين الامتيازات الأجنبية المعمول بها فى العلاقات بين المصريين والأجانب، وقد عرفت مسألة الاستيلاء على الأرض وفاء للديون «بالبيوع الجبرية أو الوفائية»، وقد بلغت حدًا هدد بتسرب الأرض الزراعية فى مصر من يد المصريين إلى يد الأجانب حتى اضطرت الحكومة إلى التدخل فى نهاية الأمر لوقف هذه البيوع فى مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين.

● التعليم فى عهد الاحتلال :

ولعل أهم مساوئ الاحتلال إهمال التعليم، والضن عليه بالأموال وجعله بمصروفات عالية بعد أن كان بالمجان، وحصره فى فئة قليلة، وقصر أهدافه على مجرد تخريج موظفين للدولة وإخضاعه لمجموعة من النظم والقواعد الصارمة التى ابتدعها المستشار الانجليزى دنلوب، والتى أماتت روح الابتكار، ونشأت الأفراد على الخضوع والاستسلام.

وليس أدل على إهمال الانجليز لشئون التعليم من أنه بعد مضى أربعين عامًا على الاحتلال كانت نسبة الأمية فى مصر لا تقل عن ٩٢٪ من البنين، ٩٧٪ من البنات.

اليقظة الوطنية

● الكفاح الوطنى ضد الاحتلال :

خلال حكم توفيق :

طوال عشر سنوات من الاحتلال (١٨٨٢م-١٨٩٢م) خمدت الروح الوطنية بسبب :

- وقوع مصر تحت الاحتلال البريطانى ونفى بعض زعماء الثورة العرابية واعتقال البعض الآخر، فأصبحت السلطة الفعلية فى مصر للمعتمد البريطاني - وبدأت سياسة إخضاع الإدارة فى مصر للعناصر الانجليزية فى كل مصلحة حكومية فى الجيش، والشرطة، والمالية، والأشغال، والحقانية (العدل) - لم تجد هذه السياسة أدنى اعتراض خلال سنوات الاحتلال الأولى أيام حكم الخديو توفيق، خاصة وأن الانجليز هم الذين حموه من الثورة العرابية.

- كانت الشخصيات البارزة فى مصر قد تفرقت وخلعت ثوب المقاومة وانشغل بعضها بالوظائف الحكومية، وانصرف البعض إلى الأعمال الخاصة فى المحاماة والزراعة والتجارة بل أن البعض صانع الإنجليز.

ولا يذكر فى هذا إلا :

- قيام جمعية سرية «جمعية الانتقام» وكانت تهدف إلى تحرير الوطن باغتيال الانجليز لكن ما لبث أن قضى على أفرادها فى وقت قصير (يونية ١٨٨٣م) .

- تأسست جريدة «العروة الوثقي» على يد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده لمهاجمة الاحتلال .

- تأسست جريدة «المؤيد» (١٨٨٩م) فى إطار الجامعة الإسلامية.

فلما تولى عباس حلمى الثانى فى (يناير ١٨٩٢م) العرش بعد وفاة والده تطلع إلى مزاولة سلطاته كاملة بعيدًا عن سيطرة وتوجيه المعتمد البريطاني. فأوقعه هذا التطلع فى أزمات متتالية مع السلطات البريطانية التى لم تكن تسمح بذلك، وحتى لا تخرج أمور مصر من يدها.

وكانت أبرز هذه الأزمات عندما أقدم الخديو عباس على إقالة مصطفى فهمى من رئاسة الوزارة، وكان معروفاً بخضوعه التام للانجليز، وتعيين حسين فخرى باشا وذلك دون استشارة المعتمد البريطانى (يناير ١٨٩٣م). وقد اعترض كرومر على ذلك، وأبرق إلى حكومته فى لندن، وفى النهاية اضطر الخديو إلى المهادنة، وتم التوصل إلى حل يتفق مع كرامته إلى حد ما، وهو الإيعاز إلى حسين فخرى بتقديم استقالته وتكليف رياض باشا بالرئاسة.

ولقد وعى الخديو هذا الدرس، ولم يفكر فى المواجهة مع كرومر مرة أخرى إلى أن غادر كرومر البلاد فى (١٩٠٧م). وعلى العكس فقد تراجع عباس عن مواقفه المتشددة تجاه الاحتلال إلى الوفاق مع الإنجليز على حساب الحركة الوطنية.

وعلى حين كانت السلطة الفعلية للانجليز فى مصر، كان السلطان العثمانى يقاسم الخديو السلطة القانونية الإسمية التى تتمثل فى إصدار فرمانات التولية، وفى الوقت نفسه كان هناك وجود دولى لبعض الإدارات كان من شأنه الإخلال بمبدأ السيادة للدولة، وقد تمثل هذا الوجود فى صندوق الدين وإدارة السكك الحديدية والتلغراف والدائرة السنية والدومين وميناء الاسكندرية فضلاً عن الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة.

ولقد وثق الخديو علاقاته بالسلطان العثمانى حتى يستند إليه إذا مادعت الحاجة لمواجهة السيطرة الإنجليزية، وحتى لا تتفق الدولة العثمانية مع انجلترا ضده. ومن ناحية أخرى أخذ يتقرب إلى الشعب فأفرج عن بعض مسجونى الثورة العرابية، وعين بعضهم فى وظائف خارج الجيش، وأعاد إليهم نياشينهم التى جُردوا منها وعفا عن عبدالله النديم خطيب الثورة العرابية وسمح له بمزاولة نشاطه علنا. وقد كان مختفيًا هاربًا من السلطات.

ولقد شجعت مواقف عباس حلمى الثانى المتشددة فى البداية ضد الاحتلال، روح المقاومة والمعارضة لدى المصريين، فبدأ مجلس شورى القوانين يهتم بالأمور السياسية وكان ممنوعًا من مناقشتها لأن المجلس فى عرف السياسة الانجليزية كان صوريًا فقط. فطالب المجلس بمناقشة الميزانية، وطالب بوضع نظام جديد للضرائب، وطالب بحل مشكلة الديون العقارية، والتوقف عن تعيين الأجانب فى الوظائف العليا.

ولقد تأثر المصريون بمواقف الخديو، وجرت فى عروقهم دماء المقاومة التى كانت قد جفت منذ الاحتلال،

● دور مصطفى كامل في الكفاح ضد الاحتلال البريطاني:

رغم توقف الحركة الوطنية سياسيًا إلا أن المناخ الثقافى والفكري العام ساعد على نمو الروح الوطنية وبلورة المواقف السياسية فقد انتشرت صحافة الرأى التى كانت تزخر بالمقالات والدراسات من كل نوع، وبدأت سياسة البعثات من أيام إسماعيل تؤتى ثمارها حيث عاد المبعوثون يفرضون وجودهم على ساحة الحياة الفكرية والثقافية وقد تأثروا بطبيعة الحياة الأوربية التى أطلوا عليها من حيث حرية الرأى فى ظل حياة نيابية دستورية كانوا يتطلعون إليها فى بلادهم المحتلة.

معلومة إثرائية

تخرج مصطفى كامل فى مدرسة الحقوق المصرية والفرنسية، لأنها مدرسة الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الأفراد والأمم على حد قوله فى أحد خطاباته فى عام ١٨٩٤م، ولكنه لم يترافع فى أية قضية مدنية، ووهب نفسه لخدمة قضية استقلال مصر، وقبل أن يتخرج بعام كان قد انضم لصالون لطيف سليم باشا.

وقد وجد هؤلاء طريقهم إلى الصالونات الفكرية والمنتديات الأدبية التى انتشرت فى مصر.

كان هذا المناخ مناسبا لانتعاش الحركة الوطنية بزعامة مصطفى كامل حيث نسق أفكاره مع الخديو عباس وتفاهم معه حتي لايقع تناقض بينهما كما حدث بين عرابى والخديو توفيق.

كما نسق حركته مع السلطان العثمانى نظرًا لتبعية مصر لتركيا، وفى هذا الخصوص اقترح على السلطان (١٨٩٧م) أن يوافق على جلاء الجيش العثمانى عن بلاد اليونان مقابل جلاء الانجليز عن مصر. ورأى أيضًا الاستفادة من اعتراض فرنسا على بقاء انجلترا فى مصر فاتصل بالسياسيين والمثقفين والصحفيين الفرنسيين وعقد معهم علاقات شخصية وفى مقدمتهم مدام جولييت آدم الأديبة السياسية. وسافر أكثر من مرة إلى فرنسا وغيرها من مدن أوربا يكتب فى صحفها ويخطب فى الاجتماعات العامة من أجل المطالبة بجلاء الانجليز عن مصر.

معلومة إثرائية

انتشرت الصالونات المصرية فى مصر خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر مثل : صالون لطيف سليم باشا (١٨٩٣م) الذى كان يحمل أفكار العرابيين والمنتدى الأفغانى الذى كان أكثر المنتديات تأثيرًا فى الحياة الفكرية والعمل السياسي، وفى أحضانه ظهرت بعض الشخصيات العامة، ومنتدى السيد البكرى وصالون أحمد تيمور باشا للأدب والثقافة والفن وصالونات السيدات الشهيرات مثل صالون عائشة التيمورية، وصالون نازلى هانم فاضل، وصالون الأميرة الكسندرة.

● تراجع الخديو عباس (حادثة فاشودة) :

فى تلك الأثناء حدث ما جعل الخديو يتراجع عن سياسة التشدد تجاه الاحتلال، والتودد إلى انجلترا، ومن ثم تجاهل الحركة الوطنية ونقصد بهذا حادثة فاشودة (١٨٩٨م) وتتلخص هذه الحادثة فى أن انجلترا وفرنسا وإيطاليا اقتسمت مناطق جنوب السودان وشرق إفريقيا بعد خروج الجيش المصرى من السودان (١٨٨٤م) فى أعقاب الثورة المهدية(*) وفى إطار السباق الاستعمارى لإفريقيا، وعلى هذا احتلت انجلترا أوغندة ومنطقة البحيرات الاستوائية والجزء الجنوبى من مديرية خط الاستواء المصرية ومديريتى زيلع وبربرة واحتلت إيطاليا مصوع وأريتريا والرأس الأخضر (جرد فوي) واحتلت فرنسا تاجورة وجيبوتي.

غير أن فرنسا اعتزمت صد توغل تيار الاستعمار الإنجليزى فى قلب إفريقيا فأرسلت حملة لاحتلال فاشودة فى أعالى النيل الأبيض قرب التقائه بنهر السوباط وصلت فى (يولية ١٨٩٨م)، واحتجت انجلترا باسم مصر على احتلال فرنسا لفاشودة باعتبارها أرضًا مصرية، ومن ثم أرسلت حملة عسكرية هى الأخرى لفاشودة وصلت فى (سبتمبر ١٨٩٨م) ولكن انتهى الأمر عند حد المواجهة غير المسلحة وانسحبت

(*) وجد الإنجليز فى الثورة التى قام بها محمد أحمد الملقب بالمهدى فرصة لتحقيق سياستهم فى تفكك الدولة المصرية فى إفريقيا وفى النفاذ إلى قلب إفريقيا حيث ألزمت الحكومة البريطانية مصر بالجلاء عن السودان.

القوات الفرنسية من فاشودة بعد اتصالات دبلوماسية بين الدولتين فى (ديسمبر ١٨٩٨م).

نتائج حادثة فاشودة على الخديو :

كان الخديو ومعه الوطنيون يعتقدون أن فرنسا أقدمت على احتلال فاشودة لفتح باب المسألة المصرية وإجبار انجلترا على مناقشة موضوع الجلاء عن مصر فلما تراجعت فرنسا وعادت قواتها دون صدام، دب اليأس فى النفوس، وكان الخديو عباس أول المنهزمين، وبدأ يعيد ترتيب حساباته السياسية، وركن إلى أسلوب المسالمة.

١ - كانت أول مظاهر المسالمة توقيع اتفاقية الحكم الثنائى للسودان بين مصر وانجلترا فى (يناير ١٨٩٩م)، وكانت انجلترا قد رتبت للأمر عدته فى أعقاب فاشودة حتى تستطيع مواجهة فرنسا أو غيرها من الدول باسمها مباشرة باعتبارها شريكة لمصر فى حكم السودان.

٢ - كان ثانى مظهر للمسالمة زيارة لندن عام ١٩٠٠م.

٣ - انتهت سياسة المهادنة والمسالمة هذه إلى ما عرف بسياسة الوفاق بين عباس وجورست المعتمد البريطانى الذى خلف كرومر (١٩٠٧م-١٩١١م).

نتائج حادثة فاشودة على مصطفى كامل :

١ - أدرك بعد حادثة فاشودة استحالة الاعتماد على الخديو عباس فى مناوئة الإنجليز وتحقيق الجلاء. وعلى حين دب اليأس فى نفوس الكثيرين لم ييأس مصطفى كامل وهو صاحب القول المأثور: «لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس».

٢ - بدأ فى تكثيف نشاطه من أجل إيقاظ الوعى وتنمية العواطف الوطنية وتبصير الناس بخطورة الاحتلال، وجريمة التعاون معه والاستسلام له.

٣ - أسس جريدة «اللواء» (١٩٠٠م) لتنطق باسم الجلاء ودعا إلى وضع الدستور.

٤ - اعتمد أكثر على الدولة العثمانية لمواجهة الإنجليز فى إطار حركة الجامعة الإسلامية، وتحقيقًا لذلك أصدر جريدة أسبوعية باسم «العالم الإسلامي» فى (١٩٠٥م).

٥ - نجح مصطفى كامل بأسلوب المحاماة فى تنبيه الضمير العام إلى حق مصر فى الاستقلال وجلاء القوات الانجليزية، لكن سياسة المصالح المشتركة الدولية، وسياسة الوفاق بين السلطة الصورية (الخديو) والسلطة الفعلية (الإنجليز)، أدت إلى تغييب الضمير وتكسير الوعي.

● الوفاق الإنجليزى - الفرنسى ١٩٠٤م وتأثيره :

كانت فاشودة مقدمة لسياسة من الوفاق بين انجلترا وفرنسا بديلاً عن المواجهة المسلحة، والتحالف معا ضد قوة ألمانيا المتنامية، وكان ملك انجلترا وراء هذه السياسة، حيث قام بزيارة لباريس (١٩٠٣م)، وانتهت المفاوضات بين الدولتين إلى إبرام ما يعرف بالوفاق الودى فى إبريل ١٩٠٤م، وقد تم هذا

الوفاق فى إطار تحالف انجلترا وروسيا ضد تحالف ألمانيا والنمسا وإيطاليا، وكانت فرنسا تسعى لبسط سيطرتها على مراكش (المغرب) بعد أن احتلت الجزائر من قبل (١٨٣٠م) وتونس (١٨٨١م)، وكانت انجلترا تعارض مد نفوذ فرنسا إلى مراكش مثلما كانت فرنسا تعارض بقاء انجلترا فى مصر.

وعلى هذا جاء الوفاق الودى ليعلن عن نية انجلترا عدم تغيير الحالة السياسية فى مصر، بمعنى أن (تطلق إنجلترا يد فرنسا فى مراكش مقابل أن تطلق فرنسا يد انجلترا فى مصر)

وعند ذلك اطمأنت انجلترا لعدم المعارضة الدولية لها واشتدت سلطات الاحتلال فى التضييق على الوطنيين ومواجهتهم بشدة وقسوة فنجد أن كرومر يطعن المصريين بعدم الكفاية للحكم الذاتي، وعندما وقعت حادثة دنشواى (*) (يونية ١٩٠٦م) كانت الأحكام شديدة وقاسية لا تتناسب مع الحادثة لكن كان المقصود إخماد صوت الوطنيين إلى الأبد.

وقد استغل مصطفى كامل الحادثة فى التنديد بالاحتلال فى كل من مصر وأوربا وأدركت الحكومة الانجليزية صعوبة ما تتعرض له إدارتها فى مصر، فقامت بسحب كرومر من مصر (إبريل ١٩٠٧م) لتهدئة الموقف، غير أن الموقف أدى إلى اشتداد ساعد الحركة الوطنية على عكس ما كان يرمى إليه الاحتلال. وقد أدرك مصطفى كامل ضرورة تنظيم الجهود الوطنية بعد الحادث فأنشأ نادى المدارس العليا، والحزب الوطنى (ديسمبر ١٩٠٧م)، وأصدر من قبل طبعتين إنجليزية وفرنسية من جريدة اللواء للقارئ الأوربي.

● دور محمد فريد في الكفاح ضد الاحتلال الإنجليزي:

بعد حادثة دنشواى توفى مصطفى كامل فى (فبراير ١٩٠٨م) وخلفه فى زعامة الحزب الوطنى محمد فريد. وكانت سياسة الوفاق الإنجليزى - الفرنسى إزاء المسألة المصرية قد نضجت، ومن ناحية أخرى كان الخديو عباس قد آمن بعدم معاداة انجلترا، ولجأ إلى ترتيب أوضاعه مع الاحتلال، وتنكر للحركة الوطنية، وبدأ ذلك بوضوح عندما جاء جورست خلفا لكرومر كمعتمد

معلومة إثرائية

كان الخديو عباس متفاهماً مع جورست قبل أن يكون معتمداً بريطانياً، وذلك عندما كان جورست مستشاراً مالياً للحكومة المصرية، إذ أنه سمح للخديو أن يشترى أملاك الحكومة فى مريوط بثمن زهيد (١٩٠٣م)، كما عاونه على الإثراء بوسائل أخرى على حساب الحكومة، مقابل أن يوافق الخديو على منح امتياز خطوط السكك الحديدية لشركة انجليزية (١٩٠٤م) وبعض المصالح الأخري.

(*) تتلخص حادثة دنشواى فى قيام ضباط إنجليز برحلة لصيد الحمام فى قرية دنشواى من قرى المنوفية، وهناك صرخ أحد الفلاحين محذراً بعدم إطلاق النار على الحمام حتى لا يحترق جرن القمح، وكان الوقت وقت حصاد المحصول، ولم يعبأ الضباط الذين واصلوا إطلاق الرصاص فأخطأت الحمام، وقتلت امرأة، هاج الأهالى على الضباط وطاردوهم ومات أحدهم من ضربة شمس. لكن الإدارة البريطانية انتقمت أشد الانتقام وأحالت ٥٢ متهما للمحاكمة فضلاً عن محاكمة سبعة غيابياً وانتهت المحاكمة الصورية بشنق أربعة ومعاقبة اثنى عشر بالأشغال الشاقة لمدد متفاوتة، وجلد خمسة.

بريطانى (١٩٠٧م-١٩١١م). وفى إطار سياسة الوفاق اختلفت سياسة جورست عن كرومر من حيث تخفيف الرقابة على تصرفات الخديو، وتوسيع سلطات مجلس النظار، وإطلاق يد المصريين فى إدارة شئون بلادهم إلى حد ما، وتمصير الإدارة تدريجيًا، وإيقاف سياسة النجلزة. وفى الوقت نفسه زاد تباعد الوطنيين عن الخديو، وأصبح العداء صريحًا، وفى ذلك المناخ **قاد محمد فريد الحزب الوطنى** حيث عمل على توسيع دائرته، بحيث لا تقتصر عضويته على المثقفين من أبناء المدن، بل إنه عمل على ضم النقابات العمالية إلى الحزب.

معلومة إثرائية

يقصد بسياسة النجلزة صبغ كل مظاهر الحياة فى مصر بالصبغة الإنجليزية.

كان محمد فريد قد أسهم فى تكوين نقابة عمال الصنائع اليدوية (١٩٠٩م). كما عمل على تثقيف عامة الشعب وتعليمهم فى مدارس ليلية.

فى تلك الأثناء مات جورست وخلفه كتشنر (١٩١١م). وقد أعاد كتشنر سياسة القبضة الحديدية والحكم المطلق، فعادت سياسة النجلزة مرة أخري، وعادت سياسة مطاردة الوطنيين، وحدث أن كتب محمد فريد مقدمة لديوان شعر بعنوان «وطنيتي»، وأخذت السلطات الانجليزية تتعقب نشاطه حتى قررت اعتقاله فى مطلع عام ١٩١٢م وهنا آثر محمد فريد أن يترك مصر اختيارًا فى (مارس ١٩١٢م) ليواصل نضاله ضد الاحتلال البريطانى فى المحافل الأوربية إلى أن مات فى (١٩١٩م) بألمانيا.

• الأحزاب السياسية الأخرى :

لم يكن الحزب الوطنى وحده فى ميدان النضال ضد الاحتلال البريطانى وإن كان أعلاها صوتاً وأوضحها موقفاً، ولكن كانت هناك أحزاب أخرى بعضها نشأ فى أحضان الاحتلال وبعضها الآخر نشأ فى أحضان الخديوية. ويعتبر عام ١٩٠٧م عام نشأة الأحزاب السياسية فى مصر، وكانت كل تلك الأحزاب تناضل ضد الانجليز وتطالب بالجلاء والدستور والحياة النيابية الحقيقية، لكن كلا منها بالكيفية التى كان يرى أنها مناسبة ولما يعبر عنه من مصالح وقوى سياسية، وقد استمر الحال كذلك بين مد وجزر إلى أن قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م) حيث أخذت الأمور مجرى آخر.

معلومة إثرائية

نشأة الأحزاب السياسية فى مصر

كان هناك المزيد من الأحزاب السياسية التى نشأت فى مصر منذ عام ١٩٠٧م مثل : حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية (ومؤسسه الشيخ على يوسف) الذى قام بتأييد الخديو، وحزب الأحرار (محمد بك وحيد) ونشأ فى أحضان الاحتلال، والحزب الدستورى (إدريس بك راغب) الذى يؤيد السلطتين الصورية والفعلية، وحزب النبلاء (حسن حلمى زاده) الذى كان يعبر عن عودة السيادة للعناصر التركية الشركسية، والحزب المصرى (لويس أخنوخ)، وحزب الأمة (لطفى السيد) الذى كان يعبر عن مصالح كبار الملاك الزراعيين وصاحب شعار مصر للمصريين، ثم أخيراً الحزب الجمهورى (محمد غانم).

أسئلة الفصل الثالث

(١) «نجح الزعيم مصطفى كامل فى تنبيه الضمير العالمى إلى حق مصر فى الاستقلال وجلاء القوات الانجليزية إلا أن سياسة المصالح المشتركة الدولية وغيرها أدى إلى تغييب الضمير وتغلب المصالح الاستعمارية». على ضوء هذه العبارة وضح :

(أ) كفاح مصطفى كامل ضد الاحتلال.

(ب) موقف الخديو عباس حلمى الثانى من مصطفى كامل والحركة الوطنية.

(جـ) أثر سياسة الوفاق الودى على مصر والكفاح الوطني.

(٢) «تسببت الأزمة المالية وسوء نظام الحكم فى تذمر المصريين واعتراضهم على سياسة الخديو توفيق ورياض باشا». على ضوء هذه العبارة وضح ما يأتي:

(أ) السياسة التى اتبعها رياض باشا والخديو تجاه المصريين.

(ب) موقف طبقات الشعب المصرى من استبداد الخديو ورياض باشا.

(جـ) أحوال مصر الاقتصادية فى عهد الخديو توفيق.

(٣) «أدت الأزمة المالية إلى نشوب حالة من التذمر العام ضد نظام الحكم بسبب خضوع الخديو والوزارة لنفوذ الأجانب». على ضوء هذه العبارة وضح........

(أ) مظاهر تذمر فئات المصريين ضد نظام الحكم .

(ب) سياسة رياض باشا وشريف باشا تجاه المصريين.

(٤) «كانت سياسة الاقتراض التى بدأها سعيد وزادت فى عهد إسماعيل وبالاً على مصر» على ضوء هذه العبارة وضح ما يلى ....

(أ) دور كل منهما فى الاستدانة من الخارج.

(ب) الأسباب التى دفعت كلا منهما إلى اتباع هذه السياسة.

(جـ) السبب المباشر وراء التدخل الأوربى فى مصر.

(د) مظاهر التدخل الأوربى فى مصر بسبب الديون.

(٥) أصدر السلطان العثمانى فرمانًا فى (أغسطس عام ١٨٧٩م) لتقييد سلطات ومزايا الخديو على ضوء هذه العبارة استعرض ما يأتى:

(أ) أهم أحكام هذا الفرمان.

(ب) موقف انجلترا وفرنسا من هذا الفرمان.

(٦) لو أنك كنت تعيش فى عصر الخديو توفيق وجه رسالة إلى الشخصيات الآتية بحيث لا تزيد كل رسالة على عشرة أسطر:

(أ) الخديو توفيق. (ب) رياض باشا.

(جـ) شريف باشا. (د) أحمد عرابي.

(٧) قارن بين أوضاع التعليم فى مصر فى عهد محمد على وأوضاعه تحت الاحتلال الانجليزى فى الجدول التالى:

أوضاع التعليم فى عهد محمد علي	أوضاع التعليم تحت الاحتلال الانجليزي

(٨) قارن من خلال الجدول التالى بين سياسة الخديو توفيق والخديو عباس حلمى الثانى تجاه كل من:

(أ) الانجليز. (ب) القوى الوطنية.

أوجه المقارنة	سياسة الخديو توفيق	سياسة الخديو عباس
تجاه الإنجليز		
تجاه القوى الوطنية		

(٩) بم تفسر...؟

(أ) فشل الثورة العرابية.

(ب) وقوع أزمات بين عباس حلمى الثانى والإنجليز.

(جـ) تدهور الصناعات المصرية فى ظل الاحتلال الإنجليزي.

(١٠) ماذا يحدث إذا لم.....؟

(أ) يتم عقد الوفاق الودى عام ١٩٠٤م.

(ب) يغير عباس حلمى موقفه المتشدد تجاه الاحتلال.

الفصل الرابع

يتوقع بنهاية هذا الفصل يكون الطالب قادرا على أن:

- يحدد أسباب ثورة ١٩١٩م والنتائج التى ترتبت عليها.
  يلخص أحداث ثورة ١٩١٩م.
- يحدد الشواهد والأدلة التى تؤكد على تدعيم الوحدة بين عنصرى الأمة.
- يقارن بين مواقف حزب الوفد وأحزاب الأقلية من الملك والإنجليز.
- يشرح دور أحزاب الأقلية فى تنفيذ مخططات الملك والإنجليز فى السيطرة على مصر.
- يفسر أسباب معاهدة ١٩٣٦م وأهم النتائج المترتبة عليها.
- يحدد العوامل والأسباب التى أدت إلى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.
- يلخص أحداث ثورة يوليو ١٩٥٢م.
- يتعرف النتائج السياسية والاقتصادية والاجتماعية المترتبة على ثورة ١٩٥٢م.
- يكتب تقريرًا مبسطًا عن النتائج الاجتماعية لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

القضايا المتضمنة

- العولمة.
- التسامح والتربية من أجل السلام
- حسن استخدام الموارد.

مصر بعد الحرب العالمية الأولى

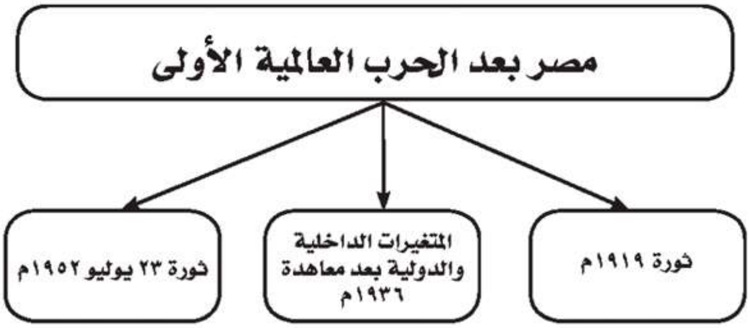

أولاً : ثورة ١٩١٩م :

أ- أحوال مصر قبل ثورة١٩١٩م:

قبل ثورة ١٩١٩م كانت مصر تحت السيادة العثمانية (تركيا)، وكانت تدين بالولاء للسلطان العثماني، باعتبارها جزءًا من العالم الإسلامي، ولم تكن فكرة الاستقلال الوطنى عن تركيا مطروحة، لأن الشعب المصرى كان يشعر بأنه جزء من العالم الإسلامى الذى يتكون من قوميات عديدة، ولا يشكل قومية منفصلة عنه، وكان يدين بفكرة الجامعة الإسلامية باعتباره شعبًا مسلمًا.

وكانت الحركة الوطنية فى ذلك الحين تستهدف تحرير مصر من الاحتلال البريطاني، ولكنها لا تستهدف الانفصال عن الدولة العثمانية والاستقلال التام عنها، لأن ذلك فى نظر الشعب المصرى كان من شأنه أن يفتت وحدة العالم الإسلامي.

وقد قاد الحركة الوطنية بهذا المعنى كل من مصطفى كامل ومحمد فريد.

ب- إجراءات انجلترا فى مصر خلال الحرب العالمية الأولى :

هذا الوضع أخذ يتغير عندما قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م-١٩١٨م)، ودخلت الدولة العثمانية فى حرب ضد انجلترا، فقد انتهزت إنجلترا هذه الفرصة لإنهاء السيادة العثمانية على مصر وفرض الحماية البريطانية عليها عام ١٩١٤م، فقامت بعزل عباس حلمى وعينت عمه حسين كامل ومنحته لقب سلطان إلى أن توفى فى عام ١٩١٧، وتولى أخيه أحمد فؤاد.

وفى أثناء الحرب استبدت انجلترا بالشعب المصري بكافة الوسائل ومنها :

- تجنيد المصريين قسرًا للعمل فى الخطوط الخلفية
- مصادرة مواشى الفلاحين وحبوبهم بأبخس الأثمان.
- الإستيلاء على الأقطان المصرية من كبار الملاك بأثمان منخفضة.
- ارتفاع أسعار الحبوب الغذائية والمنسوجات والوقود وأجور المواصلات دون أن يصحب ذلك ارتفاع مماثل فى الأجور والمرتبات.
- فرض الأحكام العرفية على البلاد، وكممت الصحافة.
- منع انعقاد الجمعية التشريعية التى تضم ممثلى الشعب، وشعر الشعب المصرى بأنه فى سجن كبير.

الزعيم سعد زغلول

وفى الوقت نفسه كانت الظروف العالمية تتهيأ على نحو يخدم الشعب المصرى فلكى تجذب الولايات المتحدة شعوب العالم للتحالف والحرب معها ضد ألمانيا وتركيا والنمسا، أعلن رئيسها ولسون مبدأ «حق تقرير المصير» أى حق أية أمة فى تقرير مصيرها والحصول على حريتها، كما أعلن مبدأ «تأليف عصبة الأمم» لحل المشكلات التى تنشأ بين الدول سلميًا ودون الحرب.

وقد أعطى هذان المبدآن للشعب المصرى وجميع الشعوب الخاضعة للاستعمار أملاً فى التحرر من الاستعمار بعد الحرب، واعتقد الجميع أنه يكفى أن تعرض مصر قضيتها على عصبة الأمم.

فلما انتهت الحرب، وهزمت فيها الدولة العثمانية، أدرك الشعب المصرى أنه لم يعد ملتزمًا بقبول السيادة العثمانية، وتطلع إلى الاستقلال التام لأول مرة عن دولة الخلافة، وفى الوقت نفسه سقطت مع سقوط الدولة العثمانية فكرة الجامعة الإسلامية التى كان يدعو إليها السلطان عبدالحميد الثاني، وبرزت فكرة الجامعة المصرية -أى القومية المصرية- إذ شعر المصريون أنهم أمة واحدة مستقلة عن أى كيان سياسى آخر، وبالتالى يجب أن يكونوا دولة مستقلة تدين بالولاء لحاكم مصرى بعد أن كان ولاؤها للحاكم العثماني.

وهكذا تبلورت الحركة الوطنية حول فكرتين أساسيتين :

الأولى : إنهاء الاحتلال البريطانى لمصر .

والثانية إعلان مصر دولة مستقلة ذات سيادة .

وقد تعلق أمل المصريين فى تحقيق هذين الهدفين الوطنيين على مؤتمر الصلح، الذى كان مقررًا عقده فى باريس فى (يونيه ١٩١٩م)، للنظر فى تسويات نتائج الحرب لذلك، ومن أجل تحقيق الاستقلال والتخلص من الحماية البريطانية على مصر، قابل وفد من بعض زعماء مصر يتكون من (سعد زغلول وعبدالعزيز فهمى وعلى شعراوي)، المندوب السامى البريطانى (ونجت) فى (نوفمبر ١٩١٨م)، وطلب الموافقة على السفر إلى إنجلترا لمفاوضة الحكومة البريطانية للسماح لهم بالسفر إلى باريس لعرض قضية استقلال مصر على مؤتمر الصلح.

لكن المندوب السامى أبدى دهشته أن ثلاثة يتحدثون عن الشعب المصرى بأسره ، وعندئذ قرر سعد زغلول ورفاقه تأليف هيئة تسمى «الوفد المصري» - إشارة إلى إنها وفد مصر للمطالبة باستقلالها- كما قرر أن يحصل هذا الوفد المصرى على توكيلات من الأمة المصرية تخوله صفة تمثيله للأمة. وقد سارعت جماهير الشعب إلى توقيع هذه التوكيلات فى حماس وطنى عارم، وبذلك أصبح الوفد المصرى العمود الفقرى للحركة الوطنية فى مصر باعتباره وكيل الأمة. وعندما علمت إنجلترا بالتفاف الشعب المصرى حول الوفد المصري، قامت باعتقال سعد زغلول وبعض أعضاء الوفد، ونفتهم إلى جزيرة مالطة فى (مارس ١٩١٩م) متصورة أنها بذلك سوف تطفئ نيران الحركة الوطنية! ولكن الشعب المصرى أثبت خطأ تصورها، لأن هذا الإعتقال أشعل نيران الثورة.

جـ- ثورة مصر القومية ١٩١٩م:

تُعد ثورة ١٩١٩م أول ثورة قومية فى تاريخ مصر المعاصر، وبداية ظهور الأمة المصرية كأمة موحدة تتكون من مصريين فقط، بدون تفرقة بين مسلمين وأقباط، وتسعى للاستقلال التام عن أية دولة أجنبية. وبالتالى كانت الثورة بداية (لظهور الدولة المدنية الحديثة التى يقوم نظامها السياسى على أساس القومية المصرية.

فسرعان ما اندلعت المظاهرات فى القاهرة على يد الطلبة، وعلى يد المثقفين (الأفندية) والعمال، وتعطلت حركة المواصلات، ودارت الاشتباكات مع رجال البوليس، وانتقلت الثورة إلى مدن الأقاليم وإلى الفلاحين فى القرى الذين قاموا بتقطيع خطوط السكك الحديدية، وقطع خطوط التليفون والتلغراف، ومهاجمة مراكز البوليس ومحطات السكك الحديدية، فانقطعت الصلة بين القاهرة ومدن الأقاليم، واستولى الثوار فى بعض المدن على السلطة، كما حدث فى مدينة زفتى،

وتكونت اللجان الثورية لتنظيم النضال ضد الانجليز. وقد اشترك فى هذه الثورة منذ البداية

المسلمون والأقباط على السواء، بهدف الاستقلال التام عن كل من تركيا وانجلترا. فكان ذلك بداية عصر الاستقلال الوطنى الخالص، وأصبحت مصر بذلك الدولة العربية الوحيدة التى لا يمزق شعبها العصبيات الدينية والقومية، بعد أن توحد المسلمون والأقباط، وألف بينهم الدم المسفوح برصاص الانجليز، واتخذوا لهم علما عليه هلال و وسطه صليب، وأخذ القساوسة يخطبون على منابر المساجد حتى منبر الجامع الأزهر، وأخذ مشايخ المسلمين يخطبون أمام مذابح الكنائس حتى مذبح الكنيسة المرقسية الكبرى.

كذلك اشتركت فى الثورة المرأة المصرية لأول مرة، مسجلة أخطر تطور اجتماعي، وخرجت المظاهرات النسائية التى بلغ عدد أفراد بعضها ما يزيد على الثلثمائة، كما اشتركت مع الرجل فى إقامة المتاريس فى الشوارع لإعاقة مرور القوات الانجليزية. وقد واجهت قوات الاحتلال الانجليزى هذه الثورة بالعنف الشديد، ووجهت حملات الانتقام فى الوجه البحرى والصعيد، تقصف المدن والقرى بالقنابل من الطائرات، وتحرق القرى، وترتكب الفظائع فى كل مكان. ولكن ذلك لم يطفئ ثورة الشعب المصري، وإنما غير فقط أسلوب نضاله! فعندما نجحت القوة المسلحة للإنجليز فى إخماد ثورة العنف، لجأ الشعب المصرى إلى المقاومة السلبية إذ امتنعت قوى الشعب المصرى عن العمل، وبلغ الأمر إضراب الموظفين عن العمل، وظهرت الجمعيات السرية، التى كان منها جمعية اليد السوداء، وجمعية المصرى الحر، وجمعية الانتقام وغيرها.

هنا أدركت الحكومة البريطانية أنها أمام ثورة شعبية شاملة لم يسبق لها مثيل منذ الاحتلال البريطانى فى سبتمبر ١٨٨٢م، ولا تجدى فيها عمليات القمع واستخدام العنف، فقررت إحداث تعديل فى سياستها، ومواجهة الثورة بالإجراءات الآتية:

١ - التساهل فى مسألة الإفراج عن سعد زغلول ورفاقه، والسماح لهم وللوفد بالسفر إلى باريس لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح.

٢ - سد الطريق فى وجه الوفد عند وصوله إلى باريس، عن طريق الحصول على اعتراف الدول المجتمعة فى مؤتمر الصلح بالحماية البريطانية على مصر.

٣- إرسال لجنة إلى مصر برئاسة اللورد ملنر، لإقناع الشعب المصرى بقبول الحماية للحصول على اعتراف منهم بذلك.

نتائج سفر الوفد إلى باريس :

لذلك عندما ذهب الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول إلى باريس، وفوجيء باعتراف مؤتمر الصلح بالحماية، لم يتملك اليأس سعد زغلول، ولم يرجع إلى مصر ليعلن فشل الوفد فى مهمته أمام مؤتمر الصلح، بل استمر فى باريس، يخاطب برلمانات الدول الأوربية ويناشدهم عدم الاعتراف بإقرار الحماية

البريطانية على مصر، ويعطى للشعب المصرى الأمل فى إسقاط الحماية البريطانية والحصول على الاستقلال. وفى الوقت نفسه أخذ سعد زغلول وهو فى باريس يقود الحركة الوطنية فى مصر، من خلال لجنة الوفد المركزية بالقاهرة، التى تألفت عند سفر الوفد إلى باريس، ويعطى تعليماته لسكرتيرها العام عبدالرحمن فهمى عن طريق الخطابات السرية التى كان يرسلها له من باريس، وبفضل ذلك تمكن عبدالرحمن فهمى من تكوين جهاز سرى من الشبان المتحمسين لمقاومة الانجليز، وتنظيم حركة الشعب المصرى ضد الاحتلال، وتأسيس النقابات العمالية، ومقاومة العناصر المعادية للوفد.

وبفضل لجنة الوفد المركزية فشلت خطة بريطانيا فى الحصول على اعتراف الشعب المصرى بالحماية البريطانية عن طريق لجنة ملنر، فقد أرسل سعد زغلول تعليماته من باريس إلى عبدالرحمن فهمى لتوعية الشعب المصرى بضرورة مقاطعة اللجنة، لأن التفاوض معها يعنى تنازل الشعب عن وكالته للوفد الذى يعتبر المدافع الوحيد عن القضية الوطنية، وقد استجاب الشعب المصرى لدعوة مقاطعة لجنة ملنر، وأخذ الأفراد من جميع الطبقات - حتى تلاميذ المدارس الصغار - يعلنون عزمهم على مقاطعة اللجنة، واحتجاجهم على قدومها بالمظاهرات العنيفة، وعندئذ أدرك اللورد ملنر أن الشعب المصرى متمسك بالوفد وقائده سعد زغلول، وبالتالى لم يعد مفر أمامه من التفاوض مع سعد زغلول والوفد لحل القضية الوطنية، وكان هذا بداية مرحلة المفاوضات المصرية البريطانية التى مرت بعدة أدوار وانقسمت إلى مرحلتين هما :

المرحلة الأولى من يونية ١٩٢٠م إلى أغسطس ١٩٣٦م، وانتهت بتوقيع معاهدة ١٩٣٦م بين مصر وبريطانيا.

المرحلة الثانية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبدأت فى إبريل سنة ١٩٤٦م، وانتهت فى أكتوبر سنة ١٩٥١م بإلغاء معاهدة ١٩٣٦م وعودة النضال المسلح ضد انجلترا.

وقد بدأت المرحلة الأولى بمفاوضات «سعد زغلول - ملنر»، وكان هدف مصر منها إلغاء الحماية البريطانية على مصر، واعتراف بريطانيا باستقلال مصر التام الداخلى والخارجي. ولكنها فشلت بسبب إصرار بريطانيا على تحويل الاستقلال لمصر إلى إستقلال شكلى عن طريق تولى بريطانيا مهمة حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات، وحرمان مصر من الحق فى إقامة علاقات مستقلة مع الدول الأخري.

ورفض سعد زغلول إبرام معاهدة مع بريطانيا تعطى مصر استقلالاً صورياً. ومن ثم اعتقلت سعد زغلول ونفته إلى جزيرة سيشل بالمحيط الهندي، تمهيدًا لإعلان ما عرف باسم

تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م. الذى أعلنت فيه : انتهاء الحماية البريطانية على مصر، وتكون

مصر دولة مستقلة ذات سيادة مع تحفظات أربعة تتضمن الآتي:

١- حق بريطانيا فى تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية فى مصر، وذلك لتبرير وجود جيش احتلال انجليزى فى مصر.

٢- حقها فى الدفاع عن مصر، وذلك لتبرير منع تكوين جيش مصرى قوي.

٣- حقها فى حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات، وذلك لتبرير تدخلها فى الشئون الداخلية المصرية.

٤- وأخيرًا حقها فى التصرف فى السودان.

لم يحقق هذا التصريح للمصريين أمانيهم الوطنية كاملة، ولذلك رفضه الشعب المصري، ولكنه مع ذلك أعطى لمصر حق وضع دستور فيكون أساسًا للحكم ورفع لقب حاكم مصر من سلطان إلى ملك، فأصبح السلطان فؤاد يسمى الملك فؤاد الأول منذ مارس ١٩٢٢م.

دستور ١٩٢٣م:

على هذا النحو كان أهم تغيير ترتب على تصريح ٢٨ فبراير هو حصول مصر على الدستور بداية المرحلة الليبرالية. بعد أن كان الحاكم المصرى أو الأجنبى هو مصدر السلطات. فلقد تألفت لجنة لوضع الدستور الجديد لتحقيق هذا الهدف، ومع نجاحها لحد كبير، إلا أن الملك فؤاد تدخل لكى ينتزع لنفسه سلطات فى الدستور تتيح له التحكم فى شئون الحكم رغم إرادة الأمة، فقد أصبح من حقه حل البرلمان دون قيد أو شرط، وإقالة الوزارة مهما حازت لثقة الأمة.

لذلك صدر الدستور فى (إبريل ١٩٢٣م) واشتمل على نصوص متعارضة أى نصوص تجعل الأمة مصدر السلطات ونصوص أخرى تعطل إعمال هذه النصوص، الأمر الذى أثر على نوع الحياة الليبرالية التى شهدتها مصر منذ صدور دستور ١٩٢٣م حتى ثورة يوليو ١٩٥٢. فعلى الرغم من أن الدستور قرر فى المادة ٢٣ أن الأمة هى مصدر السلطات، فإن الملك ظل من الناحية الفعلية هو مصدر السلطات معظم تلك المرحلة الليبرالية. على أن الدستور -مع ذلك- تضمن المبادئ الليبرالية الآتية:

حرية إبداء الرأي، وحرية الصحافة، وحرية الاعتقاد -وهو ما يعنى أن يكون الدين لله والوطن للجميع- وحرية الاجتماع وتكوين الجمعيات والأحزاب فى حدود القانون والأخلاق والتقاليد، ومساواة جميع المصريين أمام القانون، ومساواتهم فى التمتع بالحقوق المدنية والسياسية، وفيما عليهم من الواجبات، وحرمة المنازل، وحرمة الملكية، فلا ينزع من أحد ملكه إلا للمنفعة العامة بشرط تعويضه، وحظر الرقابة على الصحف إلا لحماية المجتمع من الأفكار الهدامة. كما أخذ الدستور بمبدأ فصل السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية، فالسلطة التشريعية يتولاها البرلمان الذى يضم

ممثلى الشعب المنتخبين، والسلطة التنفيذية يتولاها الملك، ولكنه غير مسئول، وإنما يتولاها بواسطة وزرائه، والوزارة ليست مسئولة أمام الملك وإنما أمام البرلمان.

وزارة الشعب وارتفاع المد الثورى :

وعلى أثر صدور دستور ١٩٢٣م ، جرت انتخابات عامة ، لكى يختار الشعب ممثليه فى البرلمان. وقد أسفرت عن فوز الوفد برئاسة سعد زغلول بأغلبية ساحقة بلغت ٩٠٪ وألف سعد زغلول أول وزارة شعبية دستورية فى تاريخ مصر فى (يناير ١٩٢٤م).

وقد نعمت مصر فى عهد هذه الوزارة بأول ثمار الحياة الدستورية، إذ اتجهت إلى ترقية شئون البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، عن طريق مايلى :

- فصل العملة المصرية عن العملة البريطانية، وبيع أكبر جزء من أراضى الحكومة لصغار المزارعين،
- زيادة ميزانية وزارة المعارف ووضع مشروع قانون التعليم الإجبارى للبنين والبنات.
- صبغ الإدارة المصرية بالصبغة المصرية عن طريق إحلال الموظفين المصريين محل الموظفين الأجانب،
- تخليص الحياة الاقتصادية من السيطرة الأجنبية.
- تشجيع الحركة الوطنية فى السودان، التى تسعى لوحدة مصر والسودان وتحرير وادى النيل من الانجليز.

وبسبب هذه السياسة، اشتعلت الحركة الوطنية فى كل من مصر والسودان مما أغضب الحكومة البريطانية التى كانت ترمى لفصل السودان عن مصر. لذلك عندما دخل سعد زغلول فى مفاوضات مع المستر مكدونالد رئيس الحكومة البريطانية، لعقد معاهدة تحقق لمصر الاستقلال التام ولبريطانيا مصالحها -وهى أول مفاوضات فى عهد الحكم الدستوري- فشلت، لإصرار بريطانيا على التدخل فى شئون مصر الداخلية، والسيطرة على سياسة مصر الخارجية ، وإصرارها على بقاء القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس.

وقد ترتب على هذا الفشل قيام مصريين باغتيال السير لى ستاك ، قائد عام الجيش المصرى (السردار)، متصورين أنهم يخدمون بهذا الاغتيال مصلحة مصر، ولكنهم ألحقوا بها ضررًا فادحًا، إذ أدى عملهم إلى إسقاط أول حكومة شعبية منتخبة بإرادة الشعب فى مصر، وهى وزارة سعد زغلول.

فقد انتهز الإنجليز الفرصة، وقدموا لسعد زغلول إنذارًا شديد اللهجة، تضمن مايلى :

- دفع تعويض نصف مليون جنيه.
- سحب الجيش المصرى من السودان، مما يعنى فصل السودان عن مصر من الناحية الفعلية.
- أمرت بريطانيا قواتها باحتلال جمارك الاسكندرية.

الأمر الذى أرغم سعد زغلول على تقديم استقالة وزارته إلى الملك الذى عهد برئاسة الوزارة إلى أحمد زيور باشا، الذى قبل شروط الإنذار البريطاني.

انتكاس الحركة الوطنية بعد مقتل السردار:

انتهز الملك فؤاد فرصة الصدام بين الوفد والانجليز ليحكم البلاد حكمًا دكتاتوريًا، ومستندًا إلى تأييد الإنجليز. فقد أوعز إلى زيور باشا بحل مجلس النواب الذى انتخب بإرادة الشعب، والتدخل فى الانتخابات العامة التى جرت بعد ذلك. ولكن الشعب المصرى أظهر مساندته للوفد وثقته به، ففاز فى الانتخابات، وعندئذ قام الملك فؤاد بحل مجلس النواب الجديد فى نفس يوم انعقاده، منتهكًا بذلك الدستور. فكان ذلك بداية عبث الملك بالدستور والحياة الدستورية.

وقد واجه الشعب المصرى ذلك برفع شعار مطلب الدستور إلى جانب شعار مطلب الاستقلال التام، فقد أدرك أن الحكم الدكتاتورى يعطل طاقاته ويشل حركته فى مواجهة الاحتلال البريطاني، وأن الحكم الدستورى مدخل إلى الاستقلال، إذ لا يستطيع الشعب المصرى إجبار بريطانيا على الاعتراف باستقلال مصر التام، وهو مقهور فى الداخل وخاضع لنظام دكتاتورى يفرضه الملك.

ومنذ ذلك الحين أصبح شعار الحركة الوطنية: الاستقلال والدستور. وقد تكاتفت الأحزاب لاستعادة الحكم الدستوري، فعقد النواب والشيوخ اجتماعًا مهما فى فندق الكونتيننتال بالقاهرة فى نوفمبر ١٩٢٥م، أعلنوا فيه بطلان القرار الذى اتخذه الملك بحل مجلس النواب، وتمسكهم بنيابتهم عن الأمة، وعدم الثقة بالوزارة.

وإزاء هذا الاجماع، ونظرًا لما تبين للانجليز من تزايد التذمر الشعبي، وعجز الملك عن فرض حكمه الدكتاتوري، أصدروا أوامرهم إليه بعودة الحياة النيابية، ولم يملك سوى الإذعان. فجرت انتخابات عامة فى مايو ١٩٢٦م، حرصت فيها الأحزاب على عدم التنافس منعًا للانقسام، وقد فاز فيها الوفد بالأغلبية، ولكن عندما أراد سعد زغلول تأليف الوزارة، تدخل الانجليز لمنعه من ذلك، وأرسلوا قطعة حربية إلى الأسكندرية للتهديد بالتدخل بالقوة، فتولى عدلى يكن باشا رئاسة وزارة ائتلافية من الوفد وحزب الأحرار الدستوريين، وانتخب سعد زغلول رئيسًا لمجلس النواب، ومصطفى النحاس وويصا واصف وكيلين للمجلس.

ثم توفى سعد زغلول فى أغسطس ١٩٢٧م، وخلفه مصطفى النحاس باشا فى رئاسة الوفد، فترتب على ذلك انقلاب أحزاب الأقلية على الائتلاف، وفى يونيه ١٩٢٨م كلف الملك برئاسة الوزارة إلى **محمد محمود باشا** رئيس حزب الأحرار الدستوريين، وهو من أحزاب الأقلية، وبذلك انهار الحكم الدستوري. وقد سارع محمد محمود باشا بتعطيل الحياة النيابية «ثلاث سنوات قابلة للتجديد» - أى إلى أجل غير مسمي! وأخذ يحكم البلاد حكمًا دكتاتوريًا، حتى سميت وزارته بـ «وزارة القبضة الحديدية» ، وقام بتعطيل الحريات السياسية التى نص عليها الدستور، وهى حرية الاجتماعات، والمظاهرات، وحرية الرأي، وحرية الصحافة، وأدخل المعارضين السجون، وبذلك أصبحت البلاد أشبه بسجن كبير.

وقد واجه الوفد ذلك بالمقاومة الشديدة ، الأمر الذى أدى إلى اشتعال الصراع الحزبى وانشغال الشعب عن الصراع مع إنجلترا بالصراع ضد الحكم الدكتاتورى ، وانتهى الأمر بإقالته فى (أكتوبر ١٩٢٩م.

تألفت وزارة محايدة برئاسة عدلى يكن باشا، أجرت انتخابات حرة، فاز فيها الوفد بالأغلبية الساحقة.

قام النحاس بتأليف الوزارة فى أول يناير ١٩٣٠م، ولكن هذه الوزارة لم تستمر أكثر من عدة أشهر ، فسرعان ما أقام الملك فى وجهها العقبات، وأخذ يشل أعمالها. ويمتنع عن التوقيع على المراسيم، مما أجبر مصطفى النحاس باشا على تقديم استقالته.

أسند الملك رئاسة الوزارة لإسماعيل صدقى باشا فى يوم يونية ١٩٣٠م. وفى عهده فرض على البلاد حكما دكتاتوريا ثقيلاً، حل فيه البرلمان، وأبطل دستور سنة ١٩٢٣م، وأعلن دستورا جديدا عرف بدستور ١٩٣٠م ، يزيد من سلطات الملك، وألف حزبًا جديدًا برئاسته أسماه (حزب الشعب) .

ثم توتر الموقف الدولى فى عهد (توفيق نسيم باشا) فى (نوفمبر ١٩٣٤م). بسبب غزو إيطاليا للحبشة (١٩٣٥م) وأخذ ينذر بنشوب حرب عالمية وطلب حزب الوفد إجراء مفاوضات مع بريطانيا بشأن التحفظات الأربعة ولكن الحكومة البريطانية تهربت، وصرح وزير خارجيتها صمويل هور فى (نوفمبر ١٩٣٥م) بأن بريطانيا تفضل التعامل مع مصر بحرية دون قيود وعندئذ اشتعلت البلاد بالثورة، وأخذت تموج بالمظاهرات، وتعطلت وسائل المواصلات، وتألفت جبهة وطنية تعمل لإعادة دستور ١٩٢٣م وعقد المعاهدة.

وعندئذ اضطرت بريطانيا إلى التراجع، فأمرت الملك بإعادة الدستور، ووافقت على الدخول فى مفاوضات مع مصر لإبرام معاهدة، بشرط أن يكون الاتفاق مع ممثلى الشعب المصرى بأسره - أى مع جميع

الأحزاب - لضمان قبول المعاهدة من جميع الأحزاب المصرية، فلا تتعرض للمزايدات بعد إبرامها.

وبناء على هذه المتغيرات قدم توفيق باشا استقالته إلى الملك، فعهد إلى على ماهر باشا برئاسة الوزارة فى يناير ١٩٣٦م، بهدف إجراء انتخابات حرة، وصدر مرسوم ملكى فى فبراير ١٩٣٦م بتأليف وفد المفاوضات مع الحكومة البريطانية، لم يشترك فيها الحزب الوطني، كما صدر مرسومين فى مارس ١٩٣٦م بإجراء الانتخابات العامة لمجلسى النواب والشيوخ. وفى مارس عقدت أول جلسة للمفاوضات بين مصر وبريطانيا، وهى التى انتهت فى (أغسطس ١٩٣٦م) بإبرام معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا، وعرفت باسم: «معاهدة ١٩٣٦م» التى نصت على ما يلي:

١ - انتهاء احتلال مصر عسكريًا بواسطة قوات إنجلترا مع استمرار قوات الاحتلال في بعض المناطق.

٢- انضمام مصر إلى عضوية عصبة الأمم باعتبارها دولة مستقلة ذات سيادة.

٣- إلغاء الامتيازات الأجنبية.

٤ - تقوية الجيش المصرى إلى الدرجة التى تمكنه من الدفاع عن قناة السويس بمفرده، فإذا وصل إلى هذه القوة، تجلو القوات البريطانية الحليفة من مصر.

٥- سحب جميع الموظفين البريطانيين من الجيش المصري، وإلغاء إدارة الأمن الأوربية، وخروج العنصر الأوربى من البوليس، واعتبار مصر هى المسئولة عن حماية الأجانب.

٦- حرية مصر فى عقد المعاهدات السياسية مع الدول الأجنبية، بشرط ألا تتعارض مع المعاهدة.

٧ - إرجاع الجيش المصرى إلى السودان، واعتراف بريطانيا بالإدارة المشتركة مع مصر للسودان.

ثانيًا: المتغيرات الداخلية والدولية بعد معاهدة ١٩٣٦م :

المتغيرات الداخلية :

على هذا النحو انتهت صفحة من نضال الشعب المصرى من أجل تحقيق الاستقلال. وتحولت العلاقات بين بريطانيا ومصر من علاقات إحتلال إلى علاقات تحالف. وفى المرحلة التالية، ظهرت قوى سياسية جديدة فى مصر تمثلت فى جماعة الإخوان، وجماعة مصر الفتاة، وقد تحالفتا مع الملك فاروق ضد الوفد، وكانتا تميلان لقوى المحور (ألمانيا وإيطاليا) وكانت هاتان الجماعتان تمارسان نشاطهما السياسى من خلال ميليشيات (أى فرق شبه عسكرية) ترتدى قمصانًا ملونة (اللون الأصفر لجماعة الأخوان واللون الأخضر لجماعة مصر الفتاة)، وقد استخدمتا هذه المليشيات ضد الوفد ولخدمة الملك، وفى الوقت نفسه ازداد نفوذ القصر وسيطرته مع اعتلاء الملك فاروق الشاب العرش، وتعيين على ماهر باشا رئيسًا للديوان الملكي، وهو ذو ميول محورية، وازدياد نفوذ الخدم الإيطاليين فى القصر الملكى على الملك فاروق.

وبفضل هذه العوامل الجديدة تمكن الملك فـــاروق من إقالــة وزارة مصطفــى النحــاس باشـــا فـــى ديسمبر ١٩٣٧م، وأعاد حكومات الأقلية(*) منتهكًا بذلك الدستور وأحكامه، فحكمـت البلاد منـــذ ديسمبر ١٩٣٧م، إلى فبراير ١٩٤٢م.

المتغيرات الدولية :

تطورت علاقات مصر ببريطانيا تطورًا خطيرًا، فقد نشبت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩م، أثناء تولى حكومة على ماهر باشا الحكم، ونشبت خلافات بينه وبين بريطانيا حول طلب بريطانيا بأن تعلن مصر الحرب على دول المحور وهو ما كان يرفضه على ماهر ، فتدخلت فى يونيو ١٩٤٠م لطرد على ماهر باشا من الحكم.

حادث ٤ فبراير ١٩٤٢م :

فى عهد حكومة حسين سرى باشا، وقع صدام بين بريطانيا والملك فاروق بسبب ميوله المحورية، ذلك أنه عندما وصلت قوات المحور إلى الحدود المصرية، بسقوط بنغازى فى يد قوات المحور بقيادة الجنرال روميل حرك القصر مظاهرات تهتف «إلى الأمام ياروميل» فى يوم ٢ فبراير ١٩٤٢م، الأمر الذى واجهته بريطانيا بالتدخل لإسقاط حكم القصر، وتعيين حكومة برئاسة مصطفى النحاس باشا، وقدمت إنذارا بذلك فى يوم ٤ فبراير ١٩٤٢م، فلما رفض الزعماء والملك هذا الإنذار، قامت بريطانيا بتحريك دبابات أحاطت بقصر عابدين، وأرادت خلع الملك فاروق عن العرش، ولكن الملك قبل الإنذار البريطانى فى اللحظة الأخيرة، وكلف مصطفى النحاس باشا رئيس حزب الأغلبية بتأليف الوزارة عندئذ تراجع السفير البريطانى عن عزله.

وقد تعاونت حكومة الوفد مع بريطانيا لدفع خطر المحور الفاشي. وقدمت مساعدات عسكرية مهمة ساعدت إنجلترا على هزيمة المحور ولكن عندما اقتربت الحرب من نهايتها، خشيت بريطانيا من مطالبة حكومة الوفد لها بجلاء القوات البريطانية عن مصر، ووحدة وادى النيل ثمنًا لمساعدتها أثناء الحرب، فسمحت للملك فاروق بإقالة حكومة الوفد، وتعيين حكومة من حكومات الأقلية، حتى ينشغل الشعب بالصراع من أجل الدستور عن الصراع ضد انجلترا، وهو ما تم فى (أكتوبر ١٩٤٤م).

وفى الفترة التى تلت إقالة حكومة الوفد، استبد الملك فاروق بالحكم، مستعينًا فى ذلك بأحزاب الأقلية كما فعل أبوه، فتألفت حكومات (**) لم تكن تحظى بأى تأييد من الشعب المصري.

(*) حكومة محمد محمود باشا، حكومة على ماهر باشا، حكومة حسن صبرى باشا، حكومة حسين سرى باشا.

(**) وزارة أحمد ماهر باشا، محمود فهمى النقراشى باشا، إسماعيل صدقى باشا، محمود فهمى النقراشى باشا الثانية، إبراهيم عبدالهادى باشا، حسين سرى باشا.

وفى عهود هذه الوزارات قتل اثنان من رؤساء الوزارات، وهما: أحمد ماهر باشا ومحمود فهمى النقراشى باشا. وقويت حركة الإخوان وكونت فرقًا من الجوالة، وتنظيمها السرى الذى قام بعدة تفجيرات فى القاهرة واغتيالات سياسية، وقتلت النقراشى باشا عندما قام بحلها. وبذلك كانت عهود هذه الحكومات عهود عدم استقرار، وقد أرادت هذه الحكومات تعديل معاهدة ١٩٣٦م بما يحقق الجلاء للقوات البريطانية من مصر ووحدة وادى النيل، ولكنها فشلت فى ذلك الأمر الذى اضطر النقراشى باشا لعرض قضية مصر على مجلس الأمن، ولكن مجلس الأمن لم يتخذ قرار فى القضية وتركها معلقة.

وفى (مايو ١٩٤٨م) دخلت مصر مع الدول العربية حرب فلسطين دون استعداد عسكرى كاف، لطرد اليهود من فلسطين، ولم يكن التعاون بين الجيوش العربية كافياً، ففشلت فى إزالة دولة إسرائيل، وانتهت الحرب بهدنة فى (فبراير ١٩٤٩م).

وأمام تدهور الموقف السياسى على هذا النحو، أجبر الملك فاروق على الموافقة على إجراء انتخابات عامة حرة فى (يناير ١٩٥٠م) أسفرت عن فوز الوفد بالأغلبية، وتولى مصطفى النحاس الحكم فى (يناير ١٩٥٠م) فأطلق الحريات التى كانت محبوسة فى عهود حكومات الأقلية، ودخل فى مفاوضات مع الحكومة البريطانية لتعديل معاهدة ١٩٣٦م فى الفترة من (مارس ١٩٥٠م إلى أغسطس ١٩٥١م)، ولما لم تحقق نجاحًا، أعلن مصطفى النحاس فى (أكتوبر ١٩٥١م) إلغاء معاهدة ١٩٣٦م، وأطلق الحرية للشعب للنضال المسلح ضد القوات البريطانية فى القناة.

وبناء على ذلك أخذ الفدائيين فى مهاجمة المعسكرات البريطانية، وعمدت الحكومة إلى زيادة عدد جنود بلوكات النظام (رجال الشرطة) لمساعدة الفدائيين، ولما اكتشف الانجليز ذلك قاموا بمحاصرة مبنى محافظة الإسماعيلية لنزع سلاح جنود بلوكات النظام فى (٢٥ يناير ١٩٥٢م)، ولكن وزير الداخلية فؤاد سراج الدين أمرهم بالمقاومة، الأمر الذى أدى إلى مصرع العشرات منهم، وعندما وصل نبأ ذلك إلى القاهرة، تحركت قوات بلوكات النظام فيها احتجاجًا، وأدى ذلك إلى حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢م.

أقال الملك فاروق حكومة الوفد، وعهد فى ظل الأحكام العرفية، إلى على ماهر باشا بتولى الوزارة، ولكن وزارته استقالت فى أول مارس، وتلى ذلك عدة وزرات مختلفة حتى قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م.

ثالثًا: ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م:

العوامل التى أدت إلى قيام الثورة :

١ - كان تحرير مصر من الاحتلال البريطانى هو الهدف الرئيسى الذى تركزت عليه أفكار الضباط الوطنيين الشبان بعد أن أثبتت لهم الأحداث أن معاهدة ١٩٣٦م لم تؤد إلى استقلال حقيقى للبلاد.

٢- كانت حرب فلسطين عام ١٩٤٨م من أكبر العوامل التى أدت إلى إثارة السخط والغضب فى نفوس الضباط المصريين الشبان فقد أدركوا بأنفسهم فى ساحات القتال مقدار الجرم الذى ارتكبه النظام الحاكم فى مصر. وعلى رأسه الملك فاروق عندما أرسلوا جيش مصر إلى الحرب دون تدريب واستعداد وبلا أسلحة أو ذخائر أو معدات كافية لكى يلقى الهزيمة.

٣ - كان الوضع السياسى فى مصر أواخر العهد الملكى قد بلغ أقصى درجات الفساد والانحلال إذ كانت البلاد ترزح تحت ذل وبطش الاحتلال البريطانى وانحلال نظام الحكم ودكتاتوريته وفساد الأحزاب التى كان الصراع بينها محتدمًا من أجل الوصول إلى مقاعد الحكم.

معلومة إثرائية

وكانت العبارة التى قالها البطل الشهيد العقيد أحمد عبدالعزيز قبل استشهاده تتمثل أمامهم بحروف من نور وهى «أن ميدان الجهاد الحقيقى فى مصر». أصدق تعبيراً لنفسية الجيش المصري.

٤ - كانت الأسلحة الفاسدة من الأسباب الرئيسة للثورة فعندما أخذت النيابة العامة فى التحقيق فى قضية الأسلحة الفاسدة أثبت التحقيق اشتراك بعض رجال حاشية الملك فاروق فى صفقات السلاح.

٥ - سوء توزيع ملكية الأراضى الزراعية فى مصر قبل الثورة أدى إلى خلل واضح فى توزيع الأرض الزراعية، وأصبحت الأغلبية من الفلاحين من المعدمين واضطروا إلى العمل كمستأجرين صغار أو عمال زراعيين يعانون الفقر والحاجة ولم يكن للعمال حقوق تحميهم من إستبداد وتحكم أصحاب الأعمال فلا قانون للمعاشات ولا تأمينات اجتماعية أو تعويضات محددة فى حالة الإصابة ولذلك كان كبار الرأسماليين يبتزون عرق العمال ويستغلون جهدهم دون وجود أى قوانين لحمايتهم.

تنظيم الضباط الأحرار :

تعرض الجيش المصرى منذ بداية الأربعينات لعدد من المؤثرات السياسية جعلت ضباطه الوطنيين خاصة الشبان يتجهون إلى العمل السياسى ونظرًا لأن قوانين الجيش وتقاليده ولوائحه تمنع اشتغال أفراد الجيش بالسياسة لذا فقد اتخذ العمل السياسى داخل الجيش فى هذه الفترة الطابع السرى حتى لا يقع الضباط الذين يمارسونه تحت طائلة القانون.

وكان تحرير مصر من الاحتلال البريطانى هو الهدف الأساسى الذى تركزت عليه أفكار الضباط الوطنيين بعد أن أثبتت لهم الأحداث أن المعاهدة التى عقدت بين مصر وبريطانيا فى (أغسطس ١٩٣٦م) لم تؤد إلى استقلال حقيقى للبلاد.

وكان لحادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢م أثراً كبيراً فى شعور ضباط الجيش أن كرامتهم قد أهينت فعقدوا عدة اجتماعات بنادى الضباط بالزمالك لبحث الموقف.

ولذا بدأت ميولهم تتجه إلى الجماعات الجديدة التى أخذت وقتئذ تبرز على مسرح السياسة المصرية وهى جماعة الإخوان وحزب مصر الفتاة ومنظمات اليسار المصرى.

وأدت هزيمة الجيش فى فلسطين وانكشاف فضائح النظام الملكى إلى خلق رابطة فكرية مشتركة بين عدد كبير من الضباط الوطنيين الشبان من اتجاهات سياسية مختلفة وكانت هذه الرابطة الوطنية الفكرية هى الأساس الذى بنى عليه البكباشى جمال عبدالناصر تنظيم الضباط الأحرار عقب عودة الجيش المصرى من فلسطين إلى أرض الوطن والذى استطاع عبدالناصر فى سنوات قلائل أن يضم إليه الطليعة الوطنية الواعية من ضباط الجيش الذين آمنوا بأن خطورة المستعمر لا تكمن فى جيوشه الحاشدة أو حرابه المشرعة وإنما أولئك العملاء الذين ارتبطت مصالحهم ببقائه وعلى رأسهم ذلك الملك وكانت خطة عبدالناصر وزملائه من الضباط الأحرار أن ينزعوا عن الجيش ولاءه للملك ليصبح عن جدارة جيش الشعب

انتخابات نادى الضباط : (ديسمبر ١٩٥١م- يناير ١٩٥٢م)

لفتت معركة انتخابات نادى ضباط الجيش الرأى العام فى مصر سواء داخل الجيش أو خارجه وكان الجميع يتتبعون أنباءها باهتمام شديد فقد أحسوا أنها

معلومة إثرائية

- كانت السياسة قد لحقت بالضباط قبل حرب فلسطين ومنذ دخول أبناء الطبقة الوسطى الجيش بمقتضى معاهدة ١٩٣٦م تكونت النواة الأولى لتنظيم الضباط الأحرار سنة ١٩٤٩م.
- كان تعبير الزعيم عبدالناصر أصدق وصف لما حدث بعد ذلك حين قال عبارته المأثورة: «كنا نحن الشبح الذى يؤرق به الطاغية أحلام الشعب، وقد آن لهذا الشبح أن يتحول إلى الطاغية فيبدد أحلامه هو».

اللواء محمد نجيب أول رئيس للجمهورية

بمثابة صراع سافر بين الضباط الوطنيين الشبان وبين عملاء السراى من قادة الجيش وعلى رأسهم اللواء حسين سرى عامر مدير سلاح الحدود وقتئذ وكان الملك فاروق قد أبعد اللواء محمد نجيب الذى كان يتولى ذلك المنصب كى يتولاه صنيعته حسين سرى . وكان ترشيح اللواء محمد نجيب الذى أصبح مديرًا لسلاح المشاة لرئاسة مجلس إدارة النادى قد تم بالاتفاق بينه وبين لجنة قيادة تنظيم الضباط الأحرار التى قررت خوض معركة الانتخابات كوسيلة لاختبار مدى قوة التنظيم وتأثيره على الرأى العام بين الضباط. واستغل التنظيم اسم محمد نجيب أحسن استغلال فوضع اسمه على رأس قائمة مرشحى الضباط الأحرار ، وهى القائمة التى تم توزيعها فجأة على أعضاء الجمعية العمومية للضباط فى الاجتماع الذى عقد فى (ديسمبر ١٩٥١م) بقاعة السينما بالعباسية وكانت الجمعية العمومية التى تمثل جميع ضباط الجيش قد دعيت للانعقاد لمناقشة التعديلات المقترحة فى قانون النادى وحضر الاجتماع عدد من الضباط.

وعندما أعلنت نتيجة الانتخابات عند منتصف الليل شهدت الدقائق الأولى من عام ١٩٥٢ أول انتصار يحققه الضباط الأحرار فقد فاز اللواء محمد نجيب برئاسة مجلس الإدارة بأغلبية ضخمة. على الذين كانوا ينافسونه كما فازت قائمة الضباط الأحرار فوزا ساحقا. وبسبب إصرار الملك على ضرورة تمثيل سلاح الحدود بعضو فى مجلس الإدارة عقد اجتماع فى يونيو فى حديقة نادى الضباط بالزمالك وكان اجتماعًا مشهودًا اعتبره بعض المؤرخين أخطر اجتماع عسكرى منذ الثورة العرابية.

فإن ما قيل وما حدث فى هذا الاجتماع أفصح بما لا يدع مجالاً للشك أن الملك فقد سيطرته على الجيش وأن الجيش أسقط ولاءه للملك ، فقد رفضت الجمعية العمومية غير العادية بالاجماع الاقتراح الذى عرض عليه بتمثيل سلاح الحدود فى مجلس إدارة النادى وبذلك خرجت الثورة العارمة من ضباط الجيش ضد الملك من إطار السرية إلى حيز العلانية.

قيام الثورة :

١- كانت النية معقودة لدى الهيئة التأسيسية لتنظم الضباط الأحرار (لجنة القيادة) على القيام بالثورة عام ١٩٥٥م حتى يستكمل تنظيم (الضباط الأحرار) بنائه داخل مختلف الأسلحة والوحدات وهى مسألة لم تكن سهلة فى وجود أجهزة متعددة للأمن مثل المخابرات الحربية والبوليس السياسى وأجهزة الملك الخاصة بالأمن كما أن أجهزة المخابرات البريطانية والأمريكية لم تكف عن نشاطها فى تلك الآونة بحثًا عن الضباط الأحرار.

٢- عقب حريق القاهرة فى (يناير ١٩٥٢م) اتجه تفكير لجنة قيادة التنظيم إلى التعجيل بموعد الثورة ليأتى مبكرًا ثلاث سنوات عن ميعاده واختير شهر نوفمبر ١٩٥٢م موعدًا للقيام بالثورة.

٣- أجبرت حالة الفوضى التى سادت فى الفترة التى أعقبت حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥٢م وحتى قيام الثورة الملك فاروق إلى تشكيل أربع وزارات متتالية دون إنتخابات كان رؤساؤها ووزراؤها كلهم من غير المنتمين إلى أحزاب.

٤- كان قرار حل مجلس إدارة نادى الضباط فى ١٦ يوليو ١٩٥٢م أحد العوامل التى عجلت بتقديم موعد الثورة حيث بادرت لجنة القيادة برئاسة عبدالناصر إلى عقد ثلاثة اجتماعات متتالية فى يوليو لبحث الموقف خاصة، وأن الغرض من تعيين إسماعيل بك شيرين وزيراً للحربية هو التنكيل بهؤلاء الضباط بشتى الوسائل من طرد من الخدمة أو اعتقال أو تشريد.

ولهذا جرت محاولة لتقديم موعد الثورة إلى ليلة ٢٢ يوليو ليتم تحطيم الوزارة الجديدة (وزارة نجيب الهلالى ٢٢ /٢٣ يوليو) بما فيها وزير الحربية قبل أداء اليمين الدستورية ولما تعذر ذلك تحددت ليلة ٢٣ يوليو لتكون موعداً لقيام الثورة.

٥- وخلال عقد اجتماع لجنة القيادة برئاسة جمال عبدالناصر فى الساعة الثالثة من بعد ظهر الثلاثاء ٢٢ يوليو ١٩٥٢م تمت مناقشة المرحلة الأولى من الخطة ، والتى كانت تستهدف فى جلستها السيطرة على القوات المسلحة ، وكان تنفيذها يبدأ فى الساعة الواحدة من صباح يوم ٢٣ يوليو وكان على الوحدات المشتركة فى الثورة التحرك من معسكراتها تحت قيادة الضباط الأحرار لإغلاق جميع مداخل القاهرة الشرقية والشمالية التى تؤدى إلى مناطق المعسكرات وإلى رئاسة الجيش بكوبرى القبة ، وكان من ضمن الخطة السيطرة على دار الإذاعة بمكاتبها بشارع الشريفين وباستديوهاتها بشارع علوى لكى يلقى البيان الأول للثورة منها فى الساعة السابعة من صباح ٢٣ يوليو وفى الوقت الذى كانت تجرى فيه وحدات الأسلحة القاتلة لتنفيذ مهامها كانت مجموعات صغيرة من الضباط تقوم بعمليات اعتقال كبار قادة الجيش والطيران فى بيوتهم لضمان عدم توجههم إلى وحداتهم ومنعهم من إصدار أى أوامر لتحريك قوات عسكرية يمكن أن تتصدى للثورة.

الرئيس الراحل جمال عبدالناصر

٦- وفى الساعة السابعة والنصف من صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أذيع (البيان الأول للثورة) من دار الإذاعة المصرية.

ولم يكد يذاع البيان الأول للثورة باسم اللواء محمد نجيب القائد

العام للقوات المسلحة حتى سارعت جميع الوحدات العسكرية فى القاهرة وفى المناطق الخارجية بإعلان انضمامها إلى ثورة الجيش بعد أن نحى الضباط الشبان المنتمون للضباط الأحرار وزملاؤهم المؤيدون للثورة القادة القدامى عن قياداتهم وتولوا هم زمام القيادة وأصبح الجيش كله تحت السيطرة التامة لقيادة الثورة التى كان يمثلها اللواء محمد نجيب أمام الجيش وأمام الشعب، وقد حظيت ثورة الجيش منذ الساعات الأولى بتأييد شعبى جارف لم يسبق له مثيل فقد التفت الجماهير حول أجهزة الراديو يستمعون إلى البيان الأول للثورة وقد غمرتهم الحماسة والفرحة وفى الساعة التاسعة صباحًا خرج من مبنى رئاسة الجيش اللواء محمد نجيب فى عربة مكشوفة يتقدمها ويتبعها عدد من عربات الجيش المليئة بالضباط والجنود ومن حوله الدراجات النارية وعندما اخترق الموكب شوارع وسط العاصمة قابلته الجماهير المحتشدة بالتصفيق والهتاف فى الوقت الذى أخذت فيه الإذاعة المصرية تعيد إذاعة البيان الأول للثورة فى فترات منتظمة.

معلومة إثرائية

البيان الأول للثورة

ألقاه البيكباشي أنور السادات وهذا نصه: «من اللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة إلى الشعب المصرى بنو وطني لقد اجتازت مصر فترة عصيبة من تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون والمغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين.

وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا فى داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب

«والله ولى التوفيق».

كيف غادر الملك فاروق أرض مصر إلى الأبد ؟

الملك فاروق

عقب تقديم نجيب الهلالى استقالة وزارته كلف الملك السابق فاروق / بعد ظهر يوم ٢٣ يوليو على ماهر رسميًا بتشكيل الوزارة استجابة لمطلب قيادة الثورة، وفى مساء اليوم نفسه عقد اجتماع بمقر القيادة بكوبرى القبة بحضور معظم قادة الثورة وتقرر فى هذا الاجتماع عزل الملك فاروق وإرسال بعض الوحدات العسكرية من الأسلحة المقاتلة المختلفة إلى الاسكندرية لتعزيز الحامية العسكرية بها استعدادًا لعملية عزل الملك، حيث قدم إلى فاروق وثيقة التنازل عن العرش فوقع الأمر الملكى بالتنازل عن العرش لولي عهده

الأمير أحمد فؤاد.

وكن ذلك فى قصر رأس التين فى (يوليو ١٩٥٢م). وغادر فاروق مصر فى يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢م.

مبادئ الثورة :

حددت الثورة المبادئ الستة التى تعتزم تحقيقها وهى :

١ - القضاء على الاستعمار وأعوانه.

٢ - القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم.

٣ - القضاء على الإقطاع.

٤ - إقامة عدالة اجتماعية.

٥ - إقامة جيش وطنى قوي.

٦ - إقامة حياة ديموقراطية سليمة.

إنجازات الثورة :

عملت الثورة منذ قيامها على تحقيق كثير من الانجازات فى مختلف المجالات ومن أهم هذه الانجازات.

■ فى المجال السياسى :

١ - إلغاء دستور عام ١٩٢٣م فى (ديسمبر ١٩٥٢م).

٢ - إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية فى (يونيو ١٩٥٣م) وتعيين اللواء محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر.

٣- حل جميع الأحزاب السياسية ومصادرة جميع أموالها لصالح الشعب فى (يناير ١٩٥٣م).

٤- توقيع اتفاقية الجلاء عن الأراضى المصرية (أكتوبر ١٩٥٤م) وتقرر فيها جلاء القوات البريطانية عن الأراضى المصرية خلال عشرين شهرًا من توقيع الاتفاقية وقد تم جلاء آخر فوج من القوات البريطانية عن أرض مصر فى يونيو ١٩٥٦م.

٥- تأميم الشركة العالمية لقناة السويس فى يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦م أعلن الرئيس جمال عبدالناصر القرار

معلومة إثرائية

رحل الانجليز عن مصر بعد احتلال دام نحو أربعة وسبعين عامًا وفى ١٨ يونيو ١٩٥٦م رفع جمال عبدالناصر العلم المصرى على مبنى البحرية فى بورسعيد وأصبح لمصر عيدان فى ١٨ يونيو عيد الجمهورية التى أعلنت فى ١٨ يونيو ١٩٥٣م وعيد الجلاء الذى تم فى ١٨ يونيو ١٩٥٦م.

الجمهورى الذى يقضى بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس وانتقال جميع ما لها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات إلى الدولة.

■ فى المجال الاقتصادى :

١ - **الزراعة :** عملت الثورة على النهوض بالزراعة واستصلاح الأراضى الصحراوية فى مديرية التحرير والوادى الجديد كما اهتمت ببناء السد العالى الذى تم انجازه سنة ١٩٧٠م والذى أنقذ مصر من أخطار الفيضانات العالية التى كانت تغرق مساحات كبيرة من الأراضى ومن مخاطر الجفاف فى حالة قلة الأمطار عند منابع النيل.

٢- **الصناعة:** وجهت الثورة جهودها إلى التوسع فى الإنتاج الصناعى وأخذت فى العمل على إنشاء المشروعات الصناعية التى تزيد من الإنتاج القومى وكان أهمها:

أ - توليد الكهرباء من خزان أسوان.

ب- التوسع فى استخراج البترول وإقامة منشآت تكريره.

ج- إقامة مصنع الحديد والصلب فى حلوان ومصنع الأسمدة فى أسوان.

د- إنشاء المصانع الحربية لتمدالقوات المسلحة المصرية والعربية بالأسلحة والذخائر والعتاد الحربي.

هـ- تدعيم التعليم الصناعى وإنشاء العديد من مراكز التدريب المهني.

و- إقامة صناعات جديدة والتوسع فى الصناعات القائمة.

٣- **التجارة:** وجهت الثورة تجارة مصر الخارجية إلى كافة بلاد العالم وقامت بتمصير البنوك وشركات التأمين ووكالات الاستيراد والتصدير كما قامت بفتح أسواق خارجية للمنتجات المصرية. وقد تولت العناصر المصرية من رجال الاقتصاد والمال إدارة البنوك والشركات والمؤسسات بعد تمصيرها.

■ فى المجال الاجتماعى :

١ - كان المبدأ الثالث من مبادئ الثورة هو القضاء على

معلومة إثرائية

قانون الإصلاح الزراعى

الذى نص على أنه لا يجوز لأى شخص أن يمتلك من الأراضى الزراعية أكثر من ٢٠٠ فدان وله فوق ذلك أن يتصرف إلى أولاده فى مساحة أخرى لا تزيد على ١٠٠ فدان ونص القانون على توزيع الأراضى المستولى عليها على صغار الفلاحين بحيث يكون لكل منهم ملكية صغيرة لا تقل عن فدانين ولا تزيد على خمسة أفدنة ثم صدرت عدة قوانين أخرى انتهت بتحديد الملكية الزراعية للفرد بخمسين فدانًا فقط.

الإقطاع وفى سبيل تحقيق ذلك أصدرت الثورة فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢م قانون الإصلاح الزراعى الأول.

٢ - كان المبدأ الرابع من مبادئ الثورة هو إقامة العدالة الاجتماعية وفى سبيل تحقيق ذلك قامت الثورة بتعميم مجانية التعليم فى كل المراحل التعليمية بما فيه التعليم الجامعى، وإصدار قوانين التأمينات الاجتماعية، والمعاشات للموظفين والعمال وحددت الثورة ساعات العمل بسبع ساعات يوميًا وأشركت العمال فى مجالس إدارة الشركات والمصانع، وخصصت لهم نسبة من أرباح الشركات، واهتمت الثورة بالمرأة فمنحتها حقها فى الترشح والانتخابات.

■ فى المجال العربى :

أخذت الثورة على عاتقها منذ قيامها مساندة الشعوب العربية على التحرر من الاستعمار فساعدت السودان وبلدان المغرب العربى وإمارات الخليج العربى وجنوب اليمن على نيل استقلالها من الاستعمار الأجنبى كما وقفت إلى جانب ثورة العراق وثورة اليمن وأيدت بقوة ولا تزال تؤيد الشعب الفلسطينى فى استرداد حقوقه المشروعة فى وطن؛ وسرت بذلك روح القومية العربية في تلك الشعوب التي أرادت مصر تحريرها من نير الاستعمار.

■ فى المجال الدولي:

كان أهم المبادئ والأسس التى سارت عليها الثورة فى المجال الدولى ما يأتي:

١ - محاربة الاستعمار بكل صوره وأشكاله ومساعدة الشعوب فى آسيا وإفريقيا على التحرر منه.

٢ - رفض الانضمام إلى الأحلاف العسكرية الأجنبية التى كانت بعض الدول الغربية تسعى إلى تكوينها وجر مصر والدول العربية إليها وقد حاولت بريطانيا والولايات المتحدة ضم مصر إلى حلف بغداد الذى تم توقيعه فى (فبراير ١٩٥٥م) ببغداد بين العراق وتركيا ولم تلبث بريطانيا أن انضمت إليه فى أبريل ١٩٥٥م ثم انضمت إليه باكستان وإيران ولكن الرئيس عبدالناصر قاوم بشدة كل المحاولات الفاشلة لبريطانيا والولايات المتحدة لضم مصر أو أية دولة عربية أخرى إلى هذا الحلف.

٣- تبنى سياسة الحياد الإيجابى وعدم الانحياز إلى أى من الكتلتين سواء الشرقية أو الغربية وقد تجلى ذلك فى دور مصر فى مؤتمر باندونج الذى عقد بأندونيسيا فى إبريل ١٩٥٥م واشتركت فيه ٢٩ دولة كانت تمثل أكثر من نصف سكان العالم.

ونتيجة لسياسات ثورة يوليو وإنجازاتها ودعمها لثورات الدول العربية، ونتيجة رفض مصر الدوران فى فلك الأحلاف الغربية، وكذلك رفضها السياسات الاستعمارية والتأييد الغربى لليهود تعرضت مصر لمؤامرات عديدة تمثلت فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م وعدوان ١٩٦٧م

وفى سبتمبر ١٩٧٠م فقدت مصر والأمة العربية بطلاً قوميًا قضى حياته مجاهدًا من أجل وطنه

وأمته وحقق لها الكثيرمن الانجازات الداخلية والقومية وهو الزعيم الراحل جمال عبدالناصر، وقد حمل عبء الكفاح المصرى بعده أحد أعضاء مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو، وهو محمد أنور السادات الذى قام بإصدار الدستور الدائم ١٩٧١م وتوحيد الجبهة الداخلية وإعداد الجيش للحرب وتوحيد الصف العربى مما دفعه إلى إصدار قرار بدء حرب أكتوبر ١٩٧٣م

أسئلة الفصل الرابع

(١) بم تفسر...؟

(أ) عدم طرح المصريين لفكرة الاستقلال الوطنى عن تركيا قبل ثورة ١٩١٩م.
(ب) إعلان الرئيس ولسون مبدأ حق تقرير المصير.
(جـ) اعتبار ثورة ١٩١٩م ثورة شعبية.
(د) فشل مفاوضات سعد - مكدونالد.
(هـ) فشل مفاوضات سعد - ملنر.

(٢) ما النتائج التى ترتبت علي...؟

(أ) صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م.
(ب) اغتيال السير «لى ستاك».
(جـ) تولى محمد محمود الوزارة بعد إقالة النحاس باشا.
(د) صدور تصريح صمويل هور.

(٣) أيد بالأدلة صحة العبارات الآتية:

(أ) نعمت مصر بثمار الحياة الدستورية فى ظل وزارة سعد زغلول عام ١٩٢٤م.
(ب) مرت المفاوضات المصرية البريطانية بعدة أدوار.
(جـ) لم يحقق تصريح ٢٨ فبراير الاستقلال التام لمصر.
(د) فرض إسماعيل صدقى على البلاد حكمًا دكتاتوريًا.
(هـ) احتوى دستور ١٩٢٣م على نصوص متعارضة.

(٤) «تعتبر ثورة ١٩١٩م أول ثورة قومية فى تاريخ مصر الحديث وبداية ظهور الأمة المصرية كأمة موحدة». على ضوء هذه العبارة وضح:

(أ) السياسة التى اتبعتها بريطانيا فى مصر بعد فرض الحماية.
(ب) الإجراءات التى اتبعتها إنجلترا لمواجهة ثورة ١٩١٩م بعد فشل سياسة العنف.
(جـ) حققت معاهدة ١٩٣٦م امتيازات لمصر. دلل تاريخيًا.
(د) سياسة بريطانيا لمواجهة ثورة ١٩١٩م عقب اشتعالها.

(٥) ضع علامة (√) أو علامة (X) أمام ما يناسبها من العبارات التالية مع ذكر السبب :

(أ) كان الهدف الأساسى من ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م هو تحرير مصر من الاحتلال العثماني.

(ب) حرب فلسطين ١٩٤٨م أكبر العوامل التى أدت إلى إثارة السخط والغضب فى نفوس الضباط المصريين.

(جـ) لم يكن لأحزاب الأقلية أى وجود على الساحة السياسية لمصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م.

(د) تميزت ملكية الأراضى الزراعية قبل الثورة بسوء التوزيع.

(هـ) تميز العمل السياسى للضباط الوطنيين بالعلانية.

(٦) بم تفسر ....؟

(أ) تعد حادثة ٤ فبراير ١٩٢٤م عدوانًا صارخًا على استقلال مصر.

(ب) تميز الوضع السياسى فى مصر قبل الثورة بالفساد والانحلال.

(جـ) تدهور الأوضاع السياسية فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

(٧) ما النتائج التى ترتبت على... ؟

(أ) قيام ثورة ٢٣ يوليو فى المجال الاقتصادى والاجتماعي.

(ب) توقيع اتفاقية الجلاء فى (أكتوبر ١٩٥٤م).

الفصل الخامس

التوسع الاستعمارى فى البلاد العربية قبل الحرب العالمية الأولى وحتى الاستقلال

يتوقع نهاية هذا الفصل يكون الطالب قادرا على أن:

- يتعرف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى البلاد العربية خلال القرن التاسع عشر.
- يفسر أسباب التوسع الفرنسى فى شمال أفريقيا.
- يستنتج طرق وأساليب الاستعمار السياسى الأوربى للشمال الإفريقي.
- يحدد على خريطة الوطن العربى الصماء مناطق التوسع الاستعمارى فى القرن الـ «١٩».
- يحلل العوامل التى ساعدت فى نجاح إنجلترا فى فرض سيطرتها على الخليج العربي.
- يبدى رأيه فى السياسة التى انتهجتها فرنسا فى بلاد المغرب العربي.
- يبرهن بالأدلة على دور مصر الرائد فى تحقيق الاستقلال لشعوب شمال أفريقيا.

عندما خضعت مصر للاحتلال البريطانى فى سبتمبر ١٨٨٢م وتلتها السودان فى ١٨٨٤م، كانت هناك بلاد عربية أخرى قد وقعت تحت سيطرة انجلترا وفرنسا منذ مطلع القرن التاسع عشر بحيث أنه عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى فى صيف عام ١٩١٤م كانت جميع البلاد العربية من المحيط إلى الخليج فى قبضة الاستعمار فيما عدا قلب الجزيرة العربية والحجاز، وأيضًا بلاد سوريا الكبرى والعراق التى كانت لا تزال ولايات تحت الحكم العثمانى المباشر.

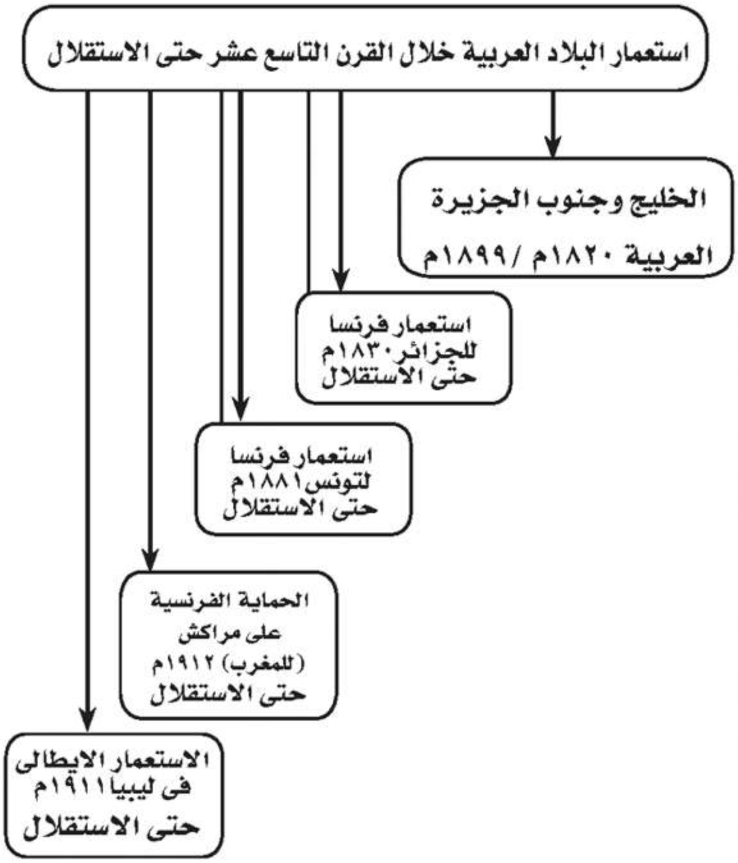

لاحظ الخريطة التالية وتعرف قوى استعمار البلاد العربية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى :

القضايا المتضمنة

- حقوق الإنسان
- التسامح والتربية من أجل السلام.
- القانون الدولى الإنساني.

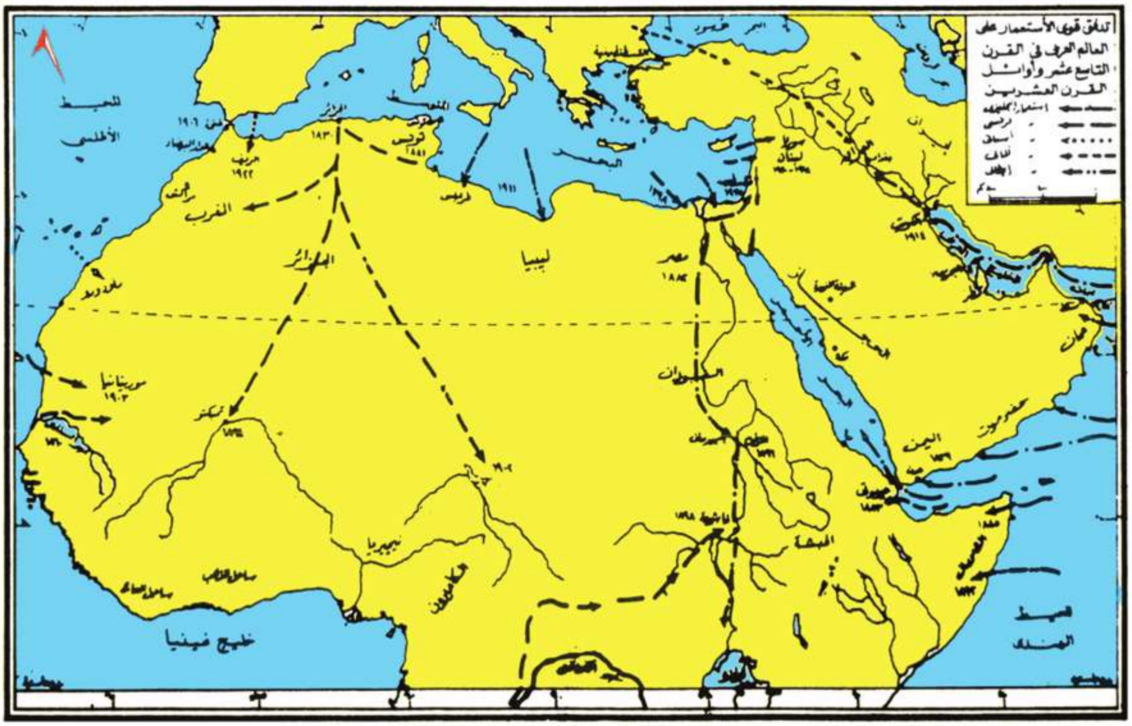

خريطة (١٠) تدفق قوى الاستعمار على العالم العربى فى القرن التاسع عشر

١- الخليج وجنوب الجزيرة العربية ١٨٢٠م-١٨٩٩م:

لفتت الحملة الفرنسية على مصر والشام فى أواخر القرن الثامن أنظار إنجلترا إلى أهمية مصر وبلاد المشرق العربى فأسرعت بعقد معاهدة مع سلطان عمان (فى أكتوبر ١٧٩٨م) تعهد السلطان بمقتضاها بعدم السماح بإنشاء وكالة فرنسية أو هولندية فى بلاده وطرد جميع رعايا فرنسا منها، مع وجود حامية عسكرية بريطانية.

كما أسرعت انجلترا باحتلال جزيرة بريم فى مدخل البحر الأحمر عند باب المندب (مايو ١٧٩٩م) لقطع الطريق على الفرنسيين إذا ما فكروا فى المرور من البحر الأحمر إلى الهند أهم المستعمرات الإنجليزية آنذاك. وبعد خروج الفرنسيين من مصر (١٨٠١م) تركت إنجلترا هذه الجزيرة وعقدت اتفاقية مع سلطان لحج وعدن فى ١٨٠٢م تقضى ببقاء حامية عسكرية بريطانية هناك لتأمين الطريق إلى الهند.

غير أن إنجلترا التى كانت تراقب الملاحة فى المحيط الهندى وبحر العرب لتأمين مواصلاتها إلى الهند فوجئت بظهور محمد على باشا والى مصر على رأس الخليج من جهة الشمال بعد أن قضى على الدولة السعودية الأولى فى ١٨١٨م، وكانت هذه الدولة قد قامت استنادًا على أفكار محمد بن عبد الوهاب (الوهابية)، فأخذت إنجلترا تتشكك فى محمد على وما إذا كانت لديه مشروعات للتوسع فى الخليج مما يهدد مصالحها هناك.

وعلى هذا أقدمت إنجلترا على تدعيم نفوذها على كل إمارات الخليج تحسبًا لأى نتائج قد تحدث من وراء وجود محمد على باشا هناك. فرضت بريطانيا فى (يناير ١٨٢٠م) اتفاقيات على كل شيوخ إمارات الخليج باسم معاهدة الصلح العامة نصت على تحريم القرصنة وتحريم تجارة الرقيق التى تقوم بها سلطنة عمان.

وقد تجددت هذه المعاهدة على مدى السنوات التالية بما سمح فى النهاية بقيام بريطانيا بدور التحكيم فى المنازعات التى تحدث بين الشيوخ.

وأخذت هذه المعاهدات شكل الحماية البريطانية للمنطقة أهمها اتفاقية حماية مع سلطان مسقط (١٨٩١م) ومع أمير الكويت (١٨٩٩م).

وفى عام ١٨٣٧م وصل محمد على باشا إلى اليمن باسم السلطان العثمانى وهنا خشيت بريطانيا من وجوده فأسرعت باحتلال عدن (يناير ١٨٣٩م)، وعقدت اتفاقية بين الطرفين تعهد فيها سلطان لحج بتأمين الطرق ومراقبة أتباعه ومنعهم من مقاومة الإنجليز.

٢- استعمار فرنسا للجزائر ١٨٣٠م:

كانت فرنسا تحتفظ بعلاقات طيبة مع الجزائر نظرًا لأنها كانت تستورد القمح من الجزائر بسبب الحصار الاقتصادى الذى كانت بريطانيا تفرضه على فرنسا أثناء معارك الثورة الفرنسية ضد ممالك أوربا. ولم تكن فرنسا تدفع ثمن هذا القمح فورًا وإنما كانت تأخذه على سبيل الاقتراض وكانت مدينة للجزائر بمبالغ كبيرة.

ثم بدأ حكام الجزائر يطالبون فرنسا بالسداد ابتداء من عام ١٨٠٠م لكن فرنسا كانت تماطل فى تسديد ما عليها. ثم تألفت لجنة مالية فى باريس خفضت الديون من ٢٤ مليون فرنك إلى سبعة مليون فرنك فقط، وتم إبلاغ حاكم الجزائر (أغسطس ١٨٢٦م) بإن إجراءات السداد سوف تأخذ وقتًا طويلاً.

وفى تلك الأثناء حدثت اشتباكات بين السفن الجزائرية وسفن بابا روما فى البحر المتوسط فى إطار أعمال القرصنة المتبادلة بين شعوب شاطئى البحر، فاغتنمت فرنسا الفرصة للمماطلة فى السداد، بل ومطالبة الجزائر بالتعويض عن سفن البابا.

وأسرعت فرنسا بتحريك سفن حربية لحصار شاطيء الجزائر واستمر الحصار أكثر من سنتين (١٨٢٧م - أوائل ١٨٣٠م) وطالبت الجزائريين بالتوقف عن ممارسة القرصنة البحرية، وإعادة ما أخذ من سفن البابا، والاعتراف لفرنسا بحق الدولة الأولى بالرعاية فى الجزائر، والتنازل عن الديون.

وكان من الطبيعى أن يرفض حاكم الجزائر هذه المطالب فما كان من حكومة فرنسا إلا أن أصدرت

أوامرها للأسطول الفرنسى الذى يحاصر الجزائر باحتلال البلاد وتم ذلك فى يونيه ١٨٣٠م بعد مقاومة شديدة، ولم تتحرك الدولة العثمانية لنصرة الجزائر.

كفاح الأمير عبدالقادر الجزائرى :

بعد ذلك بعدة سنوات، نظم الأمير عبد القادر الجزائرى المقاومة وشكل إدارة عاصمتها (بسكرة)، واضطر الفرنسيون إلى التوصل إلى تفاهم معه أكثر من مرة فعقدوا اتفاقية «دى ميشيل» فى ١٨٣٤م، وفيها اعترفوا بالأمير حاكمًا على وسط وغرب الجزائر، ولكن الفرنسيين أعادوا تنظيم أنفسهم وخططهم وشنوا الهجمات على المقاومة، ولكن دون التوصل إلى نتيجة لصالحهم ففضلوا عقد معاهدة (التفنة) فى ١٨٣٥م، ثم لم يلبثوا أن نقضوها باحتلالهم قسنطينة فى ١٨٣٧م.

ونظرًا لأن دعم سلطان مراكش (المغرب) للمقاومة كان عاملاً أساسيًا فى صمودها عمدت فرنسا إلى قصف طنجة بشدة، وأدى ذلك إلى عدم استمرار مراكش فى دعم المقاومة خاصة من حيث حرمان الأمير من استخدام الأراضى المراكشية فى عمليات المقاومة، فكان ذلك عاملاً من عوامل ضعف المقاومة فضلاً عن تفوق السلاح الفرنسي، فاضطر الأمير عبد القادر فى نهاية الأمر إلى الاستسلام فى ١٨٤٧م، ونفى إلى الشام.

سياسة فرنسا فى الجزائر :

لم تلبث أن قامت ثورات متعددة أخمدها الفرنسيون واستمروا فى استغلال البلاد، فقاموا بمصادرة الأراضي، ومنح الضياع للفرنسيين، واستولت شركاتهم الاستثمارية على مساحات واسعة لزراعة الكروم لإنتاج الخمور، واستغلوا مناجم الحديد والفوسفات والنحاس والزنك، وأنشأوا العديد من المصانع ومدوا خطوط السكك الحديدية، الأمر الذى جعل الجزائر موردًا هامًا من موارد الخزانة الفرنسية. وشجعت السلطات الفرنسية ليس فقط هجرة الفرنسيين اليهود وغيرهم من الأوربيين إلى الجزائر،بل ومنحتهم الجنسية الفرنسية تشجيعًا لهم على البقاء والاستثمار، بل كان الفرنسيون يصادرون الأراضى من أصحابها لصالح (المستوطنين) الذين كانوا يتمتعون بالمواطنة الفرنسية الكاملة، بينما كان المسلمون يعاملون بالكاد معاملة مواطن من الدرجة الثانية.

كفاح الشعب الجزائرى بعد الحرب العالمية الأولى:

وعندما وقعت الحرب العالمية الأولى سعت بعض الزعامات الجزائرية مثل الأمير خالد بن الأمير عبدالقادر الجزائرى - إلى الإفادة من المباديء الأربعة عشرة للرئيس ويلسون، وخاصة مبدأ (حق تقرير المصير) - ولكن محاولته هذه فشلت مثلما فشلت مثيلاتها فى مصر وتونس.

لقد كانت السياسة الاستيطانية والثقافية التى مارستها فرنسا فى الجزائر تستهدف القضاء على الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، فكان طبيعيًا أن تظهر حركة وطنية إسلامية تعمل على

الحفاظ على هويتها عرفت باسم (جماعة علماء الجزائر) فى ١٩٢٦م، ولزعماء (*) هذه الحركة الإسلامية الفضل فى الحفاظ على الهوية الجزائرية العربية الإسلامية.

ونظرًا لأن شريحة كبيرة من مثقفى الجزائر تكونت على الطريقة الفرنسية، فقد بلغ بها الأمر أن دعت إلى الاندماج أى أن تكون الجزائر قطعة من فرنسا، وهذا ما كان يرجوه الفرنسيون، ولكن دون أن يمارس الجزائريون حقوقًا مساوية لحقوق الفرنسيين فى الوطن الأم (فرنسا) ولا (المستوطنين) فى الجزائر، وكان من دعاة الاندماج عباس فرحات.

وظهر تيار تحررى آخر بزعامة مصالى الحاج الذى شكل جماعة (نجمة شمال إفريقيا) بهدف المطالبة باستقلال الجزائر.

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية نما تياريدعو إلى أن الاستقلال لا يتحقق إلا بالثورة، وتصاعدت هذه المشاعر فى أعقاب نجاح ثورة يوليو ١٩٥٢م، فى مصر وتزعمها تيار القومية العربية وحركة تحرير البلاد العربية من الاستعمار.

موقف مصر من الثورة الجزائرية:

ولذلك عندما أعلنت من القاهرة الثورة الجزائرية فى نوفمبر ١٩٥٤م، واستمرت بعد ذلك حوالى ثمانى سنوات كانت مصر الدولة الرئيسة التى وقفت تدعمها بالمال والسلاح، فضلاً عن وضع إمكانات مصر الإعلامية فى خدمتها، فلا غرو أن بلغ الأمر بحكومة «جى موليه» فى فرنسا أن تقرر أنه لا انتصار لفرنسا على الثورة الجزائرية إلا بإخراج مصر من (معركة استقلال الجزائر) فكان أن شاركت فى العدوان الثلاثى على مصر (أكتوبر ١٩٥٦م).

ومن بعد ذلك أخذت فرنسا تعمل على الوصول إلى تفاهم مع الجزائريين تحتفظ بمقتضاه بيدها العليا فى البلاد، ومن ذلك مشروع طرحته فرنسا بإقامة اتحاد فيدرالى بين فرنسا والجزائر ١٩٥٧م، وخلال ذلك كانت مصر تدعمها والدول العربية، والعديد من الدول الأخرى - تقوم بنشاط واسع النطاق فى المؤتمرات الدولية، وفى الأمم المتحدة مدافعة عن حق شعب الجزائر فى الاستقلال حتى لقد نجحت فى استصدار قرار من الجمعية العامة بحق الجزائر فى الاستقلال سنة ١٩٦٠م.

استقلال الجزائر:

ولقد اهتزت الحكومة الفرنسية أمام تلك الانتصارات الدبلوماسية الدولية، وصلابة المقاومة الجزائرية، فسقطت الجمهورية الرابعة فى فرنسا، وتولى شارل ديجول الحكم على أمل إقالة فرنسا من عثرتها مع الحفاظ على الجزائر جزءًا منها، وكان الرجل جريئًا حين وضع الأمر فى ١٩٥٩م على

(*) وتزعم هذه الحركة عبدالحميد بن باديس الذى تخرج فى جامعة الزيتونة، والشيخ بشير الإبراهيم الذى تأثر بالإمام محمد عبده، وبالشيخ رشيد رضا.

وجه من الوجوه الثلاثة التالية:

١ - الاندماج فى فرنسا.

٢- الاستقلال مع الارتباط بفرنسا.

٣- الاستقلال التام.

وقد أدى ذلك إلى ثورة المستوطنين فى الجزائر على حكم ديجول، وساندهم عدد ليس بالقليل من الضباط الفرنسيين المتطرفين، حتى لقد تشكل منهم ما عرف باسم «منظمة الجيش السري» المسئولة عن إبادة عدة آلاف من المسلمين العزل، وصمد ديجول أمام هؤلاء المتطرفين، كما صمد الجزائريون، ونجحت المفاوضات بين الحكومة الفرنسية والثوار الجزائريين، فاتفق على وقف إطلاق النار ونجحت المفاوضات التى أدت إلى عقد اتفاقيات إيفيان ١٩٦٢م، وحصلت الجزائر على استقلالها.

٣- استعمار فرنسا لتونس ١٨٨١م:

كان الاستيلاء على الجزائر جزءًا من مشروع فرنسى كبير لتكوين إمبراطورية فرنسية فى شمال إفريقيا، ولم تكن الأسرة القرمنلية فى طرابلس ولا بايات تونس على مقدرة للتصدى للاستعمار الفرنسي، كما أن الدولة العثمانية اتخذت مواقف سلبية من الاستعمار الفرنسى للجزائر حتى رأت الدولة العثمانية أن الأطماع الفرنسية تنطلق إلى ما وراء ذلك، فعملت على إنقاذ تونس وطرابلس باستعادة الحكم المباشر عليهما.

وقد نجح السلطان فى ١٨٣٥م فى طرد الأسرة القرمنلية من طرابلس وحكم البلاد حكمًا مباشرًا، وبعث فى ١٨٣٦م، بقطع بحرية حربية إلى تونس، إلا أن فرنسا اعترضت على هذه المحاولة مدعية أن لتونس كيانًا مستقلاً، ومن ثم فلا يحق للسلطان العثمانى التدخل فى شئونها، وما كان ذلك إلا تمهيدًا لانفراد فرنسا بتونس، وما كان ذلك بهين على فرنسا نظرًا لأن تونس كانت محط أطماع دول كبرى أخرى استعمارية مثل انجلترا وإيطاليا التى انطلقت نحو بناء إمبراطورية استعمارية بعد أن حقق الإيطاليون وحدتهم فى الفترة بين ١٨٥٩م، ١٨٧٠م.

وكان من بين مظاهر التنافس الاستعمارى تسابق هذه الدول الثلاث على كسب الأعوان داخل الإدارة العليا التونسية والحصول على أكبر قدر ممكن من الاستثمارات فى السوق التونسية.

كانت الإدارة العليا فى تونس حينذاك متحمسة للتعاون مع الدول الكبرى من أجل تحديث البلاد سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا وعسكريًا، ولذلك أصدر الباى محمد (١٨٥٥م-١٨٥٩م) عهد الأمان، وبمقتضاه تساوى المواطنون أمام القانون، وأصدر الباى محمد الصادق دستوراً فى ١٨٦١م.

ونفذت فى عهده مشروعات لمد خطوط السكك الحديدية والبرق والموانئ على يد شركات فرنسية وانجليزية، وكانت كلما حصلت إحدى الدول الأجنبية على امتياز من حكومة تونس حصلت الدول

الكبرى على نفس هذا الامتياز ، وعن هذا الطريق حصلت فرنسا وانجلترا وإيطاليا على حق امتلاك الأراضى فى تونس، ومثلما حدث فى مصر، دفعت تونس إلى شرك القروض الأجنبية حتى أفلست، فى وقت تصاعدت فيه المنافسات الدولية حول استعمار الدول الكبرى الأوربية للبلاد العربية.

فقد حدث أن اختل التوازن الدولى اختلالاً خطيرًا من وجهة نظر انجلترا وفرنسا، عندما هزمت روسيا الدولة العثمانية فى ١٨٧٨م وفرضت على الدولة العثمانية معاهدة «سان ستيفانو»، التى أدت إلى ظهور دولة بلغارية أكبر من اللازم، وكانت هذه الدولة البلغارية مخلب قط لروسيا فتعاونا على الإجهاز على الدولة العثمانية لتصبح تحت التوجيه الروسي، فيصبح التوازن الدولى لصالح روسيا بشكل حاد وهو أمر ترفضه الدول الكبرى الأخري، فأصبحت أوربا على شفا حرب أوربية كبرى من أجل مستقبل الدولة العثمانية إلا أن بسمارك - مستشار الرايخ الألمانى - دعا الدول الكبرى المتنافسة إلى تسوية مشاكلها على مائدة مؤتمر يعقد فى برلين ١٨٧٨م على حساب الرجل المريض «الدولة العثمانية» وخلال مؤتمر برلين اقتنصت انجلترا قبرص من الدولة العثمانية فى مقابل وعد بالدفاع عنها، فلما استشاطت فرنسا غضبًا من ذلك «الغدر» البريطانى وافقتها انجلترا على الانفراد «بتونس» بينما خرجت إيطاليا -الطامعة فى تونس- غاضبة فانضمت فى ١٨٨٢م، إلى التحالف بين ألمانيا و«النمسا - المجر» ضد التحالف «الروسى الفرنسي». عمل الفرنسيون على تسخير تونس لخدمة المصالح الفرنسية، بل سعوا إلى مسخ الشخصية العربية الإسلامية لتونس إلا أن هذه الشخصية كانت أقدر على الحفاظ على هويتها فتصدت للفرنسيين وتعلقت بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية التى أطلقها جمال الدين الأفغاني، وتبناها السلطان العثمانى عبدالحميد الثاني، وتشكلت أحزاب وطنية للنضال والمطالبة بالاستقلال.

كفاح تونس حتى الإستقلال :

حاول زعماء الحركة الوطنية عرض قضية تونس على مؤتمر الصلح استنادًا إلى حق تقرير المصير، فلقوا مثل ما لقيه الوفد المصرى من رفض للاستماع إليهم.

وخلال الحربين العالميتين تميزت زعامة الحبيب بورقيبة بالجمع بين الثقافتين العربية والفرنسية فى عملية تحريك الجماهير، ولكن هزيمة فرنسا فى بداية الحرب العالمية الثانية أسهمت فى ضعف موقفها إزاء الحركات الوطنية، ولذلك واجهت فرنسا ضجة عالمية فى أعقاب قيامها بالقبض على الزعماء الوطنيين الذين كانوا مجتمعين فى مؤتمر وطنى فى ١٩٤٦م، وعرضت القضية التونسية على الأمم المتحدة فى ١٩٥٢م، واضطرت فرنسا -تحت ضغط الكفاح الوطنى التونسى والدعم العربى والعالمي- إلى إعلان موافقتها على استقلال تونس فى (مارس ١٩٥٦م، ولكن ظلت محتفظة بقاعدة

بنزرت البحرية حتى أخلتها نهائيًا فى ١٩٦٣م.

٤- الحماية الفرنسية على مراكش «المغرب» ١٩١٢م :

كانت مراكش منذ مطلع التاريخ الحديث فى مواجهة مباشرة مع الدول الأوربية الاستعمارية وخاصة دولتى (البرتغال وأسبانيا)، وخاضت مراكش معركة مصيرية ضد أسبانيا والبرتغال فى (وادى المخازن) فى ١٥٧٨م، وأحرز المنصور السعدى انتصارًا أنقذ به شمال إفريقيا، ولكن ظلت سبتة ومليلة تحت السيطرة الأسبانية.

ودقت الحضارة الأوروبية الحديثة أبواب مراكش وفرضت فرنسا على سلطان المغرب فى ١٧٦٧م، معاهدة الامتيازات، ومثلها فعلت الدول الكبرى الأخري، وعندما اتجهت مراكش إلى التحديث قدمت فرنسا الخبرة والخبرات وأدوات التحديث فى المجالات المدنية والعسكرية، واستغلت فرنسا حوادث كانت تقع على الحدود الجزائرية المغربية، وفرضت سيطرتها على مناطق مهمة داخل الأراضى المراكشية عند كولومب بيشار وغيرها.

المساومات الإستعمارية لاحتلال مراكش :

أخذت فرنسا تمهد لقبول الدول الكبرى لانفراد فرنسا بمراكش. وحيث أن إيطاليا كانت أكثر الدول معارضة لفرنسا من جراء المسألة التونسية عمدت فرنسا إلى إرضائها، ونجحت فى عقد صفقة معها فى ١٩٠٢م بمقتضاها تنفرد فرنسا بمراكش «المغرب» فى مقابل انفراد إيطاليا بليبيا (طرابلس - برقة)، وفعلت فرنسا نفس الشيء مع انجلترا بعقد الوفاق الودى فى ١٩٠٤م، وكذلك مع أسبانيا التى حصلت على منطقة (الريف).

أثارت تلك الصفقات ألمانيا إذ كانت تواجه معارضة شديدة من جانب انجلترا وفرنسا فى أكثر من مكان، فقد عقدت انجلترا اتفاقية مع آل الصباح فى الكويت فى ١٨٩٩م، منعا للدولة العثمانية، وألمانيا من مد خط حديد برلين - بغداد إلى كاظمة فى الكويت، ولقى المشروع العثمانى بمد خط حديدى إلى طابا نفس المصير، وها هما دولتا الوفاق الودى - (انجلترا وفرنسا) توزعان النفوذ دونما معارضة، بل، ومع استبعاد ألمانيا، فأعلن القيصر الألمانى وليم الثانى معارضته لتلك الصفقات، وأعلن مساندته لاستقلال مراكش، وطالب بعقد مؤتمر دولى للنظر فى المسألة المراكشية، وجاء هذا على هوى السلطان عبدالعزيز ووافقت الدول الكبرى على عقد مؤتمر الجزيرة «١٩٠٦م»، ولكن تبين خلاله أن انجلترا وقفت بصلابة بجوار فرنسا، بينما لم يكن موقف النمسا من حليفتها ألمانيا على نفس المستوي، ووجدت ألمانيا نفسها وحيدة معزولة، وخرجت فرنسا من المؤتمر قوية واجتاحت قواتها البلاد فى ١٩٠٧م، وعزل السلطان عبدالعزيز فى ١٩٠٨م، وخلفه مولاى عبدالحفيظ، وبصفة عامة تدهورت مكانة أمير المؤمنين خلال الفترة التالية. حاولت ألمانيا مرة أخرى أن تحد من الانطلاقة الفرنسية فى مراكش

فأرسلت قطعة بحرية حربية إلى أغادير فى ١٩١١م، ولكن واجهت ألمانيا مرة أخرى موقفا صلبا من دولتى الوفاق فاكتفت بتنازل فرنسا لها عن قطعة صغيرة من الكونغو الفرنسية - وبذلك تمكنت فرنسا من إعلان «الحماية على مراكش فى ١٩١٢م»، ووطدت أسبانيا سيطرتها على «الريف» وعلى «الصحراء الأسبانية».. أما طنجة - المفتاح الجنوبى لمضيق جبل طارق - فقد اتفقت الدول الكبرى على أن توضع تحت «إدارة دولية»، وكانت انجلترا ضد انفراد دولة كبرى بطنجة حماية لمستعمراتها فى جبل طارق المفتاح الغربى للبحر المتوسط.

كفاح الشعب المغربى حتى الإستقلال :

أخذت المقاومة الوطنية فى الريف «الأسباني» شكلاً عسكريًا عنيفًا بقيادة الأمير محمد عبدالكريم الخطابى فى الفترة من ١٩٢٢م-١٩٢٦م، ولكن الدولتين الاستعماريتين فرنسا وأسبانيا تحالفتا ضد الأمير حتى هزم واستسلم، ومنذ ذلك الحين استقر الاستعمار الأسبانى فى «الريف».

وعملت فرنسا فى المغرب على الإيقاع بين «العرب» و«البربر» مثلما حاولت انجلترا الإيقاع بين المسلمين والأقباط فى مصر، وقد تحركت القوى الوطنية (*) للضغط على السلطات الفرنسية، وشهدت الفترة التى سبقت الحرب العالمية الثانية صدامات كبرى بين الوطنيين وسلطات الاستعمار، وكان وقوف السلطان محمد الخامس خلال الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء، وتصاعد الحركة الوطنية رغم تخلى دول الحلفاء عن السلطان من العوامل التى هزت الوجود الفرنسى فى المغرب خاصة بعد انتقال علال الفاسى - الزعيم الوطنى المغربى - إلى القاهرة، وانضمامه إلى «لجنة تحرير المغرب» فأدى تصاعد الحركة الوطنية إلى تهور الفرنسيين، لذا عزلوا محمد الخامس فى (أغسطس ١٩٥٣م) ونفوه، فنشطت حركة المقاومة مطالبة بعودته وخروج الفرنسيين نهائيًا من البلاد، وأصيب الفرنسيون بخيبة أمل كبيرة عندما فشلوا فى الإيقاع بين البربر والعرب، عندما أعلن زعيم البربر «الجلاوي» انضمامه إلى الحركة الوطنية مطالبًا بعودة السلطان محمد الخامس، وفعلاً عاد السلطان إلى عرشه فى ١٩٥٥م، واضطرت فرنسا إلى إلغاء الحماية فى مارس ١٩٥٦م، كما ألغت أسبانيا الحماية على منطقة الريف، وألغى النظام الدولى لمنطقة «طنجة» وتحقق استقلال المغرب فى ١٩٥٦م.

ولم تبق إلا موريتانيا وجيبوتى فى قبضة الفرنسيين (1) وقد حصلت الأولى على استقلالها فى ١٩٦٠م، والثانية فى ١٩٧٧م.

(*) «كتلة العمل الوطني» و«الحزب الوطني»

(١) كان الفرنسيون قد انطلقوا من منطقة نهر السنغال شمالاً، وجعلوا من هذا النهر فاصلاً بين السنغال وموريتانيا فى (١٨٢٩م)، ثم ضغطوا على إمارتى (الترارزة) و(البراكنة) ووضعوهما تحت الحماية الفرنسية (١٩٠٢م) واخضعوا إمارة (إدرار) ومد الفرنسيون، سيطرتهم إلى (تشاد) فأصبحت لفرنسا امبراطورية مترامية الأطراف فى شمال وغرب ووسط أفريقيا.

٥ - الاستعمار الإيطالى فى ليبيا ١٩١١م :

كان التوسع الفرنسى فى شمال أفريقيا - خاصة منذ مؤتمر برلين ١٨٧٨م - يثير قلق الدول الكبرى خاصة تلك التى كانت تطمع فى نفس المنطقة وخاصة(*) إيطاليا، فلما سبقت فرنسا إلى استعمار تونس التى كانت تطمع فيها إيطاليا ردت الأخيرة على ذلك بالانضمام فى ١٨٨٢م إلى الحلف الألمانى النمساوى المعادى لفرنسا، وفى ١٨٨٧م، عقدت معاهدة ضمت إيطاليا وألمانيا والنمسا وبريطانيا وأسبانيا موجهة ضد أى توسع جديد فرنسى فى ليبيا (طرابلس) أو مراكش، وأخذت إيطاليا تركز جهدها نحو ليبيا. فمع أن ليبيا كانت تفتقر إلى المغريات الاستعمارية إلا أن إيطاليا كانت ترى فى سيطرتها عليها ترضية مؤقتة لها تحفظ كرامتها الدولية، ثم أن طرابلس أصبحت هى المنطقة غير المستعمرة المتبقية من شمال إفريقيا الذى تطل عليه إيطاليا وتكاد تلامسه فى بعض المواقع، ثم إن ليبيا يمكن أن تشكل فى المستقبل رأس حربة لتوسعات إيطالية فى المستقبل.

عملت إيطاليا على الحصول على موافقة الدول الكبرى الواحدة بعد الأخرى على انفرادها بليبيا، فحصلت فعلاً على موافقة بريطانيا وأسبانيا وعقدت إيطاليا صفقة مع روسيا تقضى بعدم معارضة إيطاليا لروسيا فى التحكم فى المضايق التركية (الدردنيل والبوسفور).

وعقدت صفقة فى ١٩٠٢م، مع فرنسا بأن تطلق الأخيرة يدها فى مراكش فى مقابل إطلاق يد إيطاليا فى ليبيا.

خططت إيطاليا لأن تكون صاحبة مصالح فى ليبيا، فأخذت تتغلغل اقتصاديًا، وأسست هناك «بنكو-دى روما» وزادت من نشاط بعثاتها التبشيرية الكاثوليكية، وأقامت المدارس الإيطالية الحديثة، حتى إذا ما وجدت إيطاليا فرصة لإعلان الحرب على الدولة العثمانية فى ١٩١١م، كان لدى الإيطاليين العديد من المشروعات فى ليبيا التى يتحدثون عن حقهم فى حمايتها.

أسباب فشل تركيا فى الدفاع عن ليبيا :

وجهت إيطاليا لتركيا إنذارا فى (سبتمبر ١٩١١م، وأنزلت قواتها، ولم تلبث أن وطدت القوات الإيطالية نفسها على الساحل فى وجه مقاومة عثمانية ضعيفة، نظرًا لأن الحكومة العثمانية كانت قد سحبت جزءًا من قواتها فى ليبيا وأرسلته إلى اليمن لقتال إمامها، وعندما حاولت الدولة العثمانية إقناع الإنجليز بعبور قواتها مصر إلى ليبيا رفض الانجليز ذلك، وكان من العسير جدًا على العثمانيين إرسال قواتهم بطريق البحر نظرًا لأن الأسطول الإيطالى كان يحاصر طرابلس ولأن الأسطول الإيطالى

(*) كانت إيطاليا بعد أن استكملت وحدتها تسعى إلى بناء أمبروطورية استعمارية، فبدأت بشرق إفريقيا فأقامت مستعمرتين واحدة فى أريتريا، والثانية فى الصومال وساعدها على ذلك وقوع مصر تحت الاحتلال البريطانى وانسحابها من تلك الجهات.

أيضًا كان يضغط بشدة على جزر الدوديكانيز التابعة للدولة العثمانية.

كان تفوق الإيطاليين بحريًا وبريًا من العوامل الرئيسة التى أدت إلى سقوط المدن الساحلية الكبرى الواحدة بعد الأخرى (طرابلس، ودرنة، وبنى غازي)، وقد قاومت العشائر العربية الغزاة، ولكن ما كان باستطاعتهم ماديًا أو عسكريًا الصمود.

استقلال ليبيا :

كان الغزو الإيطالى لليبيا قد وضع معظم الساحل تحت السيطرة المباشرة الإيطالية بينما كانت السنوسية تتمتع بنفوذ قوى فى المناطق الداخلية، وخاصة فى إقليم برقة، وفى أعقاب دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى تصاعدت الحركة الوطنية فى ليبيا، وأخذت المناطق الليبية تعمل على التخلص من السيطرة الإيطالية، حتى لقد بايع عرب ليبيا محمد إدريس السنوسى أميرًا، على برقة وطرابلس عام ١٩٢٢م.

معلومة إثرائية

تم التنسيق بين قيادات الدولة العثمانية والقيادات السنوسية بحيث تصبح القوات الانجليزية فى مصر مضطرة للقتال على جبهتين (جبهة قناة السويس) وجبهة (الحدود المصرية الغربية)، وكانت القوات الإيطالية مشغولة بتطورات القتال فى الجبهات الأوربية، وفعلاً شنت القوات السنوسية هجومًا عبر الحدود المصرية العربية، ولكن تخلف معدات السنوسيين الحربية أدى إلى هزيمتهم أمام القوات البريطانية

وتزامن ذلك مع تصاعد قوة الفاشست بزعامة موسولينى حتى امتلكوا ناصية الحكم فى إيطاليا، وأعلن موسولينى أنه يسعى إلى إحياء الأمبراطورية الرومانية، وأن البحر المتوسط ما هو إلا بحر إيطالي، وأعلن أنه لا يرى فى ليبيا إلا جزءًا لا يتجزأ من الأراضى الإيطالية، وشرع فى شن هجمات بكافة الأسلحة ضد المقاومة الوطنية بزعامة المجاهد عمر المختار، وكان للمذابح والمحاكمات وأحكام الإعدام المتتالية والبطش الذى مارسه القائد الإيطالى جرازيانى إلى جانب التفوق العسكرى الساحق ومحاولات الدول الكبرى كسب صداقة الإيطاليين على حساب حرية الشعوب، كل هذا كان من العوامل التى أدت إلى هزيمة المقاومة الوطنية وسقوط عمر المختار أسيرًا ليعدمه الإيطاليون شنقًا علانية أمام بنى بلدته فى ١٩٣١م، مثلما حدث لفلاحى دنشواى من قبل فى مصر.

على كل حال أصبحت إيطاليا فى ليبيا وإريتريا والصومال خطرًا محدقًا بوادى النيل خاصة بعد سقوط الحبشة فى يد إيطاليا فى ١٩٣٥م/١٩٣٦م، ولم تلبث أن وقعت الحرب العالمية الثانية، واتخذت إيطاليا من ليبيا قاعدة لغزو مصر. لكن هزيمة دولتى المحور (إيطاليا وألمانيا) خلال الحرب العالمية الثانية أدت إلى تحرير ليبيا من إيطاليا، وأدى موقف مصر الصلب بجوار الحركة الوطنية الليبية إلى إبعاد الانجليز والفرنسيين عن ليبيا، وإلى الحيلولة دون تفكيك ليبيا إلى عدة أجزاء، وإلى حصول ليبيا على الاستقلال فى ١٩٥١م.

أسئلة الفصل الخامس

(١) بم تفسر....؟

(أ) قصف فرنسا لطنجة.

(ب) استسلام الأمير عبد القادر الجزائرى عام ١٨٤٧م.

(جـ) احتلال انجلترا لجزيرة بريم عام ١٧٩٩م.

(د) سقوط المدن الساحلية الليبية فى يد إيطاليا.

(هـ) تصاعد الحركة الوطنية فى المغرب قبل الحرب العالمية الثانية.

(و) هزيمة المقاومة الوطنية وسقوط عمر المختار فى ليبيا.

س٢ : ما النتائج التى ترتبت علي...؟

(أ) عقد سلطان عمان معاهدة عام ١٧٩٨م مع انجلترا.

(ب) ظهور محمد على باليمن باسم السلطان العثماني.

(جـ) الحصار الاقتصادى الذى فرضته انجلترا على فرنسا أثناء معارك الثورة الفرنسية.

(د) الاشتباكات بين السفن الجزائرية وسفن بابا روما فى البحر المتوسط.

(هـ) عقد معاهدة سان ستيفانو بين روسيا والدولة العثمانية.

(و) محاولات فرنسا لمسخ الهوية العربية الإسلامية لتونس.

(ز) مساندة مصر لشعب الجزائر.

(ى) تولية شارل ديجول الحكم فى فرنسا وأثره على ثورة الجزائر.

(٣) دلل على صحة العبارات الآتية تاريخـيًا:

(أ) اتخذت انجلترا من تدخل محمد على فى الجزيرة العربية ذريعة لبسط سيطرتها على إمارات الخليج العربي.

(ب) عملت فرنسا على استغلال موارد الجزائر بعد احتلالها.

(جـ) كانت الإدارة العليا فى تونس مهتمة بتحديث البلاد فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر.

(د) عملت الدول الكبرى على تسوية مشاكلها فى مؤتمر برلين عام ١٨٧٨م.

(هـ) خططت إيطاليا لأن تكون صاحبة مصالح فى ليبيا.

(٤) «كانت الحملة الفرنسية على مصر والشام فى أواخر القرن الثامن عشر بداية الاستعمار الأوربى فى الوطن العربي». على ضوء هذه العبارة. وضح:

(أ) أسلوب انجلترا فى فرض سيطرتها على الخليج العربي.

(ب) وسائل فرنسا لفرض سيطرتها على الجزائر.

(جـ) دور الأمير عبد القادر الجزائرى فى مقاومة الاستعمار الفرنسي.

(د) نتائج معركة وادى المخازن.

(هـ) سياسة المساومات الفرنسية الأوربية فى مراكش.

(٥) «عملت إيطاليا على الحصول على موافقة الدول الكبرى لكى تنفرد باحتلال ليبيا».

على ضوء هذه العبارة. وضح:

(أ) موقف تركيا من الأطماع الإيطالية فى ليبيا.

(ب) أسباب تطلع إيطاليا إلى احتلال ليبيا.

(جـ) كيف انفردت إيطاليا عن طريق التحالف مع الدول الكبرى في ليبيا؟

الفصل السادس

التوسع الاستعمارى فى البلاد العربية الواقعة تحت الحكم العثمانى بعد الحرب العالمية الأولى وحتى الاستقلال

يتوقع بنهاية الفصل يكون الطالب قادرا على أن:

- يتعرف أسباب دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب «ألمانيا والنمسا».
- يفسر أسباب دخول العرب الحرب العالمية الأولى ضد الدولة العثمانية.
- يلخص أسباب تفضيل بريطانيا التعامل مع الشريف حسين دون غيره.
- يوضح الضغوط العسكرية التى واجهها الشريف حسين بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولي.
- يقيم بنود اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦م.
- يكتب بحثًا قصيرًا عن أسباب سقوط ملك الحجاز.
- يتتبع مراحل كفاح الشعوب العربية من أجل الاستقلال.
- يعطى تعريفا صحيحا لمفهوم «انتداب - استقلال - معاهدة - اتفاقية....».
- يبدى رأيه فى بنود معاهدة ١٩٣٠م.
- يلخص النتائج المترتبة على استقلال الدول العربية.

القضايا المتضمنة

- التسامح والتربية من أجل السلام.
- القانون الدولى الإنساني.
- العولمة.

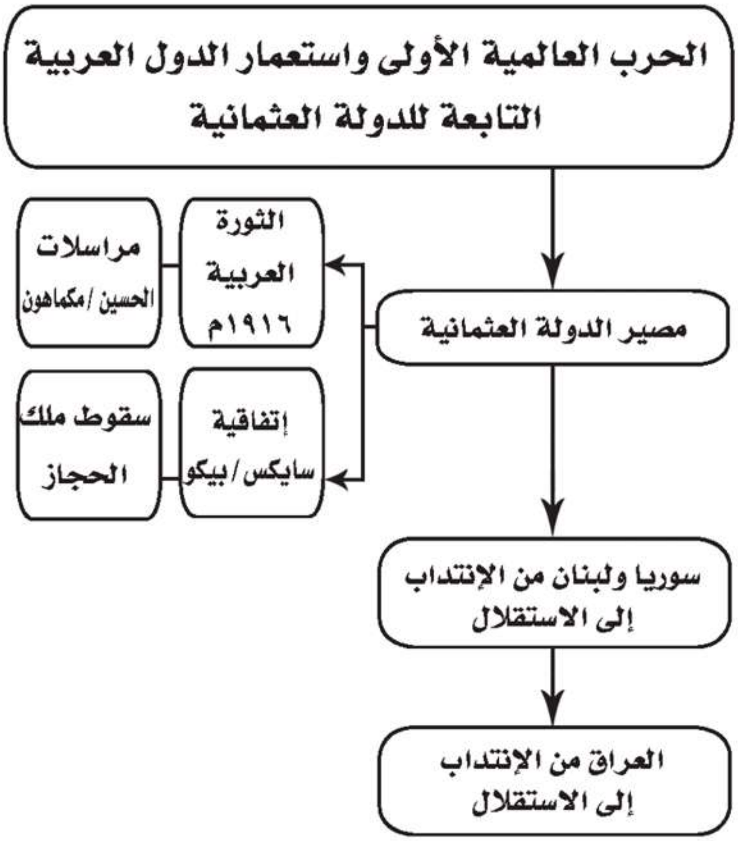

مصير الدولة العثمانية :

دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب (ألمانيا والنمسا) على أمل استرداد ما اقتنصته منها دول الوفاق (إنجلترا وفرنسا)، وإنقاذًا لنفسها ولما تبقى تحت يدها من ولايات عربية من مخططات اقتسام دول الوفاق (انجلترا / فرنسا) للدولة العثمانية فيما بينهم.

وبينما كانت الحرب لا تزال فى أيامها الأولى قام الأسطول العثمانى - مدعمًا بقطعتين حربيتين ألمانيتى الأصل - بقصف ميناء أوديسا وميناء سباستبول الروسيين، معلنة «الجهاد» المقدس فى نوفمبر ١٩١٤م، وقد كان لهذا النداء «الجهاد» صدى قوى بين المسلمين، وكان مزعجًا لانجلترا التى كانت تحكم الهند وجنوب شرق أسيا حوالى ٥٠ مليونا من المسلمين على الأقل.

أما فى البلاد العربية فقد أثار إعلان الجهاد حماسًا، ثم لم يلبث أن ساد الحذر بين زعماء العرب، فقد كانت الأزمة بين العرب والترك لا تزال قائمة، ولم يؤد المؤتمر العربى الأول فى باريس ولا التسوية العربية التركية التى أعقبته إلى نتائج مرضية، ولذلك نما تيار فكرى يدعو إلى التريث فى تأييد فعلى للدولة العثمانية فى الحرب والاتصال بكافة الأطراف المعنية لمعرفة موقفها من المطالب العربية على أن الدور الذى قام به الشريف حسين بن على شريف مكة كان هو أبرز الأدوار العربية خلال الحرب العالمية الأولي.

الثورة العربية ١٩١٦م :

كان الحسين بن على يعمل على بناء دولة عربية منذ أن أسندت إليه شرافة مكة فى أعقاب انقلاب ١٩٠٨م ضد السلطان العثماني، وقام بنشاط سياسى واسع النطاق نسبيًا سواء فى شبه الجزيرة العربية أو خارجها، وقام إبنه الأمير عبد الله بالاتصال بالسير رونالد ستورز (*) ، لاستشفاف رأى السلطات البريطانية إزاء محاولة الأتراك العثمانيين إقصاء الشريف حسين عن موقعه، فكان طبيعيًا أن أبدى الإنجليز تعاطفًا مع الشريف بعد وقوع الحرب ، حيث أخذت تنشط قنوات الاتصال بين شرافة مكة وإدارة المندوب السامى بالقاهرة.

ومنذ البداية ظهرت مشكلة أمام الانجليز فى التعاون مع العرب، فقد كانت حكومة الهند البريطانية تفضل التفاهم مع عبد العزيز آل سعود فى الرياض بينما كانت حكومة لندن متحمسة للتفاهم مع الشريف، وكان كل من عبدالعزيز بن سعود والشريف حسين يرفض نظرية الدولة العثمانية كممثلة للدولة الإسلامية العامة (دولة الخلافة)، وهى نفس النظرية التى كان يتبناها الانجليز حينذاك، ولكن حكومة لندن وجدت أن الشريف حسين بموقعه فى مكة وحسبه ونسبه هو المؤهل لإعلان ثورة مدوية وإطلاق نداء بالجهاد يضاد به نداء السلطان.

مراسلات الحسين - مكماهون ١٩١٥م / ١٩١٦م :

أخذ الشريف حسين وهنرى مكماهون - المندوب السامى البريطاني- يتبادلان المراسلات ١٩١٥م/١٩١٦م، وكان الشريف فى تلك المراسلات يعبر عن طموحاته، وكذلك عن رأى وطموحات بعض الزعامات العربية السورية.

(*) السكرتير الشرقى فى إدارة المندوب السامى البريطانى فى القاهرة قبيل نشوب الحرب

وفى إحدى هذه الرسائل حدد الشريف المطالب العربية بما يلي:

١ - أن يتولى هو الخلافة الإسلامية بدلاً من الخليفة العثماني.

٢ - استقلال البلاد العربية من (مرسين) و (أطنة) شمالاً إلى الحدود العراقية الفارسية والخليج العربى شرقًا والجزيرة العربية وسوريا ، أى إقامة دولة عربية تضم العراق وسوريا وشبه الجزيرة العربية تقريبًا.

ولكن الانجليز رفضوا مطلب الخلافة، كما رفضوا طلبه فى أن يكون ملكًا على العرب بحجة أن العديد من مشيخات الجزيرة العربية على علاقات تعاهدية مع بريطانيا، وأن هذه المشيخات وبريطانيا لا توافق على أى تغييرفى وضعهم.

وكان عبدالعزيز بن سعود قد عقد اتفاقية دارين مع انجلترا فى ١٩١٥م، وكذلك الإدريسى حاكم عسير وحكام عمان ومشيخات الساحل « الإمارات العربية حاليًا» ومن ثم يكون الحجاز فقط - على اعتبار أن اليمن مستقلة - هو المتبقى ليكون تحت سيادة الشريف.

أما الشام فقد أشار المندوب السامى إلى أن لفرنسا مصالح فيما هو غرب حماة وحلب وحمص ودمشق، وبما أن الجزء الجنوبى من العراق (البصرة) قد سقط فى يد القوات الإنجليزية حينذاك، فقد استبعده المندوب السامى من المشروع الشريفي، كما أخرج مرسين وأطنه من الدولة العربية المستقلة على أنهما ليستا عربيتين.

وجد الشريف فى الموقف الانجليزى صلابة فى نفس الوقت الذى أسند فيه الأتراك الحكم فى جدة إلى وهيب باشا الذى كان يخطط لإقصاء الشريف لأن الأخيركان يماطل فى الاشتراك الفعلى بقواته إلى جانب القوات العثمانية التى كانت تقاتل بقيادة جمال باشا على الجبهة المصرية، ولقد خسر جمال باشا المعركة وارتد حانقا على العرب، وألقى القبض على زعماء الحركة العربية فى سوريا استنادًا إلى وثائق عثر عليها فى القنصلية الفرنسية تدينهم - من وجهة النظر العثمانية - بالتآمر مع أعداء الدولة، وقدم هؤلاء الزعماء العرب إلى المحاكمة وصدرت ضدهم أحكام إعدام بالجملة.

ووجد الشريف حسين أنه إن لم يعلن الثورة فإن الأتراك سينقضون عليه، فأعلن الثورة فى يونيو ١٩١٦م، دون أن يكون قد حصل من الانجليز على اعتراف صريح بحق العرب فى الاستقلال معتمدًا على حسن تقييم الانجليز والحلفاء لموقف العرب المناصر للحلفاء فى الحرب، وما كان الانجليز أو الحلفاء ليقيموا وزنا إلا لمصالحهم هم أولاً.

أعلن الشريف الجهاد ضد الأتراك، ونجحت قواته فى تصفية الوجود العسكرى التركى فى الحجاز باستثناء حامية المدينة، وزحفت قواته شمالاً واستولت على العقبة، واتجه الفيلق العربى بقيادة إبنه الأميرفيصل إلى القدس، ودخل دمشق ثم حمص وحماة وحلب. فى الوقت الذى دفعت فيه

القوات الانجليزية القوات العثمانية فى العراق أمامها حتى استولت القوات الانجليزية على بغداد، وأصبحت على مقربة من الموصل عندما أعلنت الدولة العثمانية رغبتها فى وقف القتال، فعقدت هدنة (مدروس) فى نوفمبر ١٩١٨م، وفى أعقابها استولت القوات الانجليزية على الموصل.

اتفاقية سايكس - بيكو (١٩١٦م) :

وبينما كانت القوات العربية بقيادة الأمير فيصل بن الحسين تحرز انتصارات فى سوريا تكشفت مؤامرة واسعة النطاق على العرب، فقد سربت روسيا البلشفية - بعد خروجها من الحرب على أثر اندلاع الثورة البلشفية (الشيوعية) - نصوص اتفاقية ثلاثية عقدتها روسيا القيصرية مع انجلترا وفرنسا لاقتسام الدولة العثمانية وأعلنت روسيا البلشفية رفضها لهذه المؤامرة فاقتصرت المؤامرة على اتفاقية بين انجلترا وفرنسا، وعرفت باسم اتفاقية سايكس - بيكو، وبمقتضاها قسم الهلال الخصيب (سوريا والعراق) على النحو التالي:

(أ) تحصل فرنسا علي:

١ - جنوب الأناضول بما فى ذلك أطنة والإسكندرونه.

٢ - سوريا ولبنان حتى شمال العراق بما فيها الموصل.

(ب) تحصل انجلترا علي:

١ - العراق (ولاية البصرة وبغداد).

٢ - أجزاء من جنوب سوريا حتى حدود شبه جزيرة سيناء الشرقية.

٣ - حيفا وعكا.

(جـ) إقامة نظام دولى فى فلسطين.

(د) تقسيم المنطقة العربية الصحراوية بين العراق والشام إلى منطقتى نفوذ واحدة بريطانية والثانية فرنسية.

وتنفيذًا لاتفاقية سايكس - بيكو منع الأمير فيصل القوات العربية من دخول بيروت، وسمحت انجلترا لفرنسا بإنزال قواتها هناك، وأنزلت العلم العربى المرفوع، ورغم ما بذله الشريف حسين (ملك الحجاز) لكسب أعضاء مؤتمر الصلح إلى جانب قضية استقلال العرب واجه مواقف أشد تعنتًا هو وإبناه فيصل وعبد الله.

عقد الحلفاء مؤتمرًا فى سان ريمو فى ١٩٢٠م وفيه تقرر إعادة النظر فى اتفاقية سايكس - بيكو، بحيث يصبح العراق كله وفلسطين تحت الانتداب الإنجليزي، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي.

دخول الحجاز في حكم آل سعود :

أما الشريف حسين الذى نجحت قواته فى إسقاط الحكم العثمانى فى سوريا لإعلان الدولة العربية الكبرى واجه ضغطًا عسكريًا كبيرًا عليه من جانب عبدالعزيز آل سعود الذى أباد قوات الشريف فى أول صدام معه فى ١٩١٩م عند تَرَبَة، وتابع عبدالعزيز توسعاته فأنزل ضربة نهائية بآل الرشيد وضم إليه حائل فى ١٩٢١م، ثم استولى على الطائف فى ١٩٢٤م وتساقطت من بعد ذلك مدن الحجاز الواحدة بعد الأخرى حتى اضطر الشريف إلى مغادرة الحجاز التى ضمها إليه عبدالعزيز وأطلق على نفسه ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها (يناير ١٩٢٦م).

ثم تطلع عبدالعزيز إلى حسم النزاع حول عسير التى كانت تحت حكم الأدارسة ويعمل الإمام يحيى حميد الدين على السيطرة عليها دون آل سعود الذين كانوا يعتبرونها جزءًا من الدولة السعودية، وفشلت محاولات تسوية النزاع بين الطرفين السعودى واليمنى حتى وقعت الحرب بينهما وفيها انتصر عبدالعزيز آل سعود، وأصبحت عسير جزءًا من الدولة السعودية بمقتضى معاهدة الطائف السعودية - اليمنية فى ١٩٣٤م.

سوريا ولبنان من الانتداب إلى الاستقلال :

الثورة السورية ١٩٢٥م :

عمد الفرنسيون إلى اقتطاع سهل البقاع وطرابلس وصيدا وبيروت وضموها إلى جبل لبنان ليظهر (لبنان الكبير). بينما قاموا بتمزيق سوريا إلى عدة دويلات صغيرة : حلب، والدروز ، والعلويين ، ودمشق ، وسيطر الفرنسيون على اقتصاديات البلاد فربطوا العملة السورية واللبنانية بالفرنك الفرنسي، وشغل الموظفون الفرنسيون معظم المناصب الرئيسية وغيرها، وأدت السياسة الاستعمارية إلى الثورة فى بلاد الشام ١٩٢٥م التى انطلقت من جبل الدروز بقيادة «سلطان باشا الأطرش» ولم تسيطر فرنسا على البلاد إلا باستخدام وحشى لقواتها المسلحة ضد معاقل الثوار، على أن هذه الثورة أقنعت السلطة الفرنسية الاستعمارية بتعديل سياستها، واتفق الطرفان على قيام (جمعية تأسيسية) وهى التى أعلنت الجمهورية السورية، ولكن وقعت الحركة الوطنية السورية إزاء الفرنسيين على طرفى نقيض، مثلما كان عليه الحال فى مصر، فقد كان السوريون مصرين على إقامة دولة سورية مستقلة دستورية برلمانية، أما الفرنسيون فكانوا يصرون أن تظل لهم اليد العليا فى توجيه البلاد حتى ولو قامت حكومة وطنية دستورية برلمانية.

ونظرًا لأن أجواء العالم فى منتصف الثلاثينيات قد أصبحت ملبدة بغيوم حرب عالمية جديدة، اتجهت فرنسا إلى وضع العلاقات الفرنسية السورية على أسس متفق عليها، وفعلاً توصلت الدولتان إلى مشروع معاهدة ١٩٣٦م التى تضع إمكانات سوريا فى خدمة الأهداف السياسية والعسكرية

والاقتصادية والاجتماعية لفرنسا، وكسب لبنان من وراء الكفاح السورى اعتزام فرنسا توقيع معاهدة مماثلة مع لبنان، ولكن الحكومة الفرنسية فى باريس رفضت مشروعى المعاهدة، واستمرت فرنسا تحكم سوريا ولبنان بمقتضى صك الانتداب، وعطل الدستور واستبد الفرنسيون بحكم البلاد، بل الأدهى من ذلك أنهم عملوا على فصل لواء الأسكندرونة عن سوريا حتى استولت عليه تركيا فى ١٩٣٩م.

ولما وقعت الحرب العالمية الثانية، وضعت فرنسا كلا من سوريا ولبنان فى خدمة عجلة الحرب الفرنسية، إلا أن فرنسا سرعان ما سقطت تحت أقدام الجيوش الألمانية وعقد المارشال «**بيتان**» هدنة مع ألمانيا وعرفت حكومته فى وسط وجنوب فرنسا باسم **حكومة فيشى** وعرفت بميولها نحو ألمانيا بينما رفض **الجنرال ديجول** الهزيمة، وأصر على استمرارية المقاومة، وعرفت حكومته باسم **(فرنسا الحرة)** وكان يقودها من انجلترا.

وفى سوريا ولبنان أعلنت القوات الفرنسية فيها ولاءها لحكومة فيشي. نكاية فى انجلترا التى اتهمها الفرنسيون بأنها تخلت عن فرنسا فى محنتها، وأنها تسعى إلى طرد الفرنسيين من مستعمراتهم لصالحها.

وأدى ذلك إلى دعم الإنجليز - لحكومة فرنسا الحرة - للسيطرة على سوريا ولبنان- فقد كانت ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ضد الوجود الانجليزى هناك، وأبدت ألمانيا النازية استعدادها لتلبية نداء الثورة العراقية عن طريق نزول الطائرات الألمانية فى مطارات سوريا ولبنان تمهيدًا للقيام بعملياتها العسكرية فى العراق، ولذلك أسرع الانجليز إلى الاستيلاء على سوريا ولبنان فى مواجهة مقاومة ضعيفة نظرًا للروح - المعنوية المتدهورة بين القوات الفرنسية هناك إذ وجدت نفسها ليس فى موقف القتال ضد الانجليز، وإنما كذلك ضد إخوتهم الفرنسيين.

استقلال سوريا ولبنان :

لقد دخل الفرنسيون سوريا ولبنان وهم يعتقدون أنهم سيمارسون سلطاتهم الاستعمارية السابقة، وهذا أمر ترفضه جماهير شعب سوريا ولبنان، وكانت الحكومة الانجليزية بعيدة النظر حين أعلنت أنها تحترم رغبات الشعوب فى الاستقلال، فأسهمت بذلك فى تقويض الاستعمار الفرنسى فى سوريا ولبنان، وأسهمت فى الخطوات التى أدت إلى إعلان استقلالهما، فقد تحركت الجماهير مطالبة بالاستقلال، واضطر الفرنسيون إلى التراجع أمام الضغط الوطنى فانعقد المجلس النيابى فى ١٩٤٣م، واختار شكرى القوتلى رئيسًا للجمهورية.

وكشفت حكومة فرنسا فى ١٩٤٥م عن حقيقة نواياها الاستعمارية، عندما عملت على الاستحواذ

على السلطات فى سوريا، فقاومها شعب سوريا فانهالت عليه طائرات ودبابات فرنسا بالقصف المدمر. فهبت البلاد العربية كلها مؤيدة لاستقلال سوريا، كما وقفت انجلترا والولايات المتحدة إلى جانب الحركة الوطنية السورية حتى اضطر الفرنسيون إلى الجلاء عن البلاد فى أبريل ١٩٤٦م.

وحدث نفس الشيء تقريبًا للبنان، فقد انعقد المجلس النيابى وفاز بشارة الخورى فى ١٩٤٣م بمنصب رئيس الدولة، وشكل رياض الصلح وزارة وطنية برئاسته، إلا أن الفرنسيين كانوا يضمرون الإطاحة بالحكم الوطني، فألقوا القبض على بشارة الخورى ورياض الصلح واعتقلوهما فى راشيا. فاضطربت البلاد بأسرها وأعلن اللبنانيون تمسكهم بحكومتهم وباستقلالهم الكامل وتضامنت البلاد العربية وعلى رأسها مصر والغالبية العظمى من الدول وعلى رأسها حليفتا فرنسا / انجلترا والولايات المتحدة، مما اضطر الفرنسيين إلى إطلاق سراح المعتقلين، وعادت أمور الحكم إلى أيدى الوطنيين، وتم جلاء الفرنسيين النهائى عن لبنان فى آخر ديسمبر ١٩٤٦م.

لقد تمتع لبنان بثمار الكفاح السورى من أجل الاستقلال، فقد أعلنت الجمهورية اللبنانية وأصدرت دستورًا وشكلت برلمانًا، ولكن الأسلوب الطائفى فى الحكم والإدارة ظل هو المسيطر بين المسيحيين الموارنة والسنة والشيعة وأدى ذلك إلى أن يفتقد لبنان مفهوم الدولة المتجانسة.

العراق من الانتداب إلى الاستقلال :

ثورة العشرين فى العراق ١٩٢٠م :

أطلق الانجليز خلال عملياتهم العسكرية لطرد الأتراك العثمانيين من العراق العديد من البيانات التى تؤكد أنهم (أى الانجليز) ما جاءوا إلى العراق إلا لتحريره من الأتراك، وبعد الحرب تكشف للعراقيين أنهم ما جاءوا إلا لاستعمارهم. وكان مصير سوريا دليلاً واضحًا على ما يضمره الانجليز للعراق، أعلن الانجليز انتدابهم أيضًا على العراق وفقًا لقرارات مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠م.

ولقد كان لثورة مصر فى (١٩١٩م) الأثر الكبير فى تشجيع الشعوب العربية للثورة على المستعمر، وفعلا قامت ثورة العشرين (١٩٢٠م) فى العراق، واضطرت الحكومة الانجليزية إلى التراجع فتشكلت حكومة وطنية مؤقتة برئاسة عبدالرحمن الجيلانى فى أكتوبر ١٩٢٠م، ومهدوا السبيل لإسناد عرش العراق إلى فيصل بن الحسين، وتمت البيعة له بإيعاز من السلطات البريطانية، وظلت اليد العليا لبريطانيا، فى نفس الوقت الذى ظلت فيه الحركة الوطنية العراقية متمسكة بحق البلاد فى الاستقلال.

معاهدة ١٩٣٠م :

كانت أولى الخطوات التى قامت بها الحركة الوطنية هى تخليص البلاد من (الانتداب) فعقدت معاهدة ١٩٢٢م، ولكنها أبقت لبريطانيا اليد العليا فى البلاد، وعقدت من بعد ذلك أكثر من معاهدة، على أن معاهدة يونيو ١٩٣٠م هى أهمها وتنص على ما يلي:

١ - استقلال العراق ابتداء من دخولها عضوًا فى عصبة الأمم.

٢- وجود قوات بريطانية فى بعض المواقع المحددة.

٣- حماية خطوط المواصلات البريطانية خاصة الجوية.

وكان طبيعيًا أن تستمر الحركة الوطنية لتخليص العراق من تلك القيود، ولكن سارت هذه الحركة ببطء للأسباب التالية:

١- الصراعات الطائفية التى كانت تقع فى العراق من وقت لآخر.

٢- التناحر بين الأحزاب على الحكم.

٣- تدخل العشائر فى رفع وزارة وإسقاط أخري.

أدت كل تلك الاضطرابات الداخلية إلى وقوع انقلاب عسكرى بقيادة بكر صدقى فى ١٩٣٦م، ولكن لم يلبث أن قتل، وعادت الأمور إلى ما كانت عليه حتى وقعت الحرب العالمية الثانية، وحاولت انجلترا أن تقوى من قواتها فى العراق، فاعترضت حكومة حكمت سليمان على ذلك وتحمس الضباط العراقيون لقتال الانجليز على اعتقاد منهم أن ألمانيا ستهب لنجدتهم، وأن انجلترا ستخسر الحرب، وتحركت قوات انجليزية كبيرة من البصرة ضد الثوار العراقيين، وتحركت قوات من الأردن ضد العراقيين ونزلت الهزيمة بالقوات العراقية (مايو ١٩٤١م).

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عادت الحركة الوطنية إلى قوتها مطالبة بالاستقلال، ودخل رئيس الوزارة صالح جبر فى مفاوضات مع الإنجليز أثمرت عن المعاهدة المعروفة باسم «معاهدة بورتسموث»، وفيها استمر للإنجليز الحق فى الاحتفاظ بقواعد جوية فى العراق، فهب الشعب العراقى ضدها حتى أدى إلى فشلها، ولكن كان الثنائى الوصى على العرش ونورى السعيد قادرين على مواجهة الأمور وكانا يعتقدان أن التفاهم مع انجلترا أجدى للعراق من الثورة عليها، فلا غرو أن اتجه العراق فى ١٩٥٥م إلى الدخول فى حلف بغداد مع انجلترا وإيران وباكستان وتركيا، فى الوقت الذى كانت فيه مصر - بزعامة جمال عبدالناصر - ترفع راية التحرر من الاستعمار ومن الدخول فى الأحلاف وتبنى سياسة الحياد الإيجابى وعدم الانحياز. فأسهم ذلك فى دعم الحركة المعارضة لنظام الحكم فى العراق، مما مهد قيام ثورة يوليو ١٩٥٨م التى أنهت النظام الملكى هناك، وأقامت نظامًا جمهوريًا.

أسئلة الفصل السادس

(١) بم تفسر....؟

(أ) دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولي.

(ب) إعلان الثورة العربية عام ١٩١٦م.

(جـ) تحمس حكومة لندن للتفاهم مع الشريف حسين.

(د) قيام الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م.

(هـ) بطء الحركة الوطنية فى العراق.

(٢) دلل على صحة العبارات الآتية تاريخيًا:

(أ) كان الشريف حسين فى مراسلاته مع هنرى مكماهون يعبر عن طموحاته.

(ب) كان لثورة ١٩١٩م فى مصر أثر على ثورة العشرين فى العراق.

(جـ) أعلن الشريف حسين عن ثورة ١٩١٦م دون أن يحصل من الإنجليز على اعتراف صريح بحق العرب فى الاستقلال.

(د) فى مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠م تقرر إعادة النظر فى اتفاقية سايكس- بيكو.

(هـ) جاءت اتفاقية سايكس- بيكو ١٩١٦م مناقضة لمطالب وطموحات الشريف حسين.

(٣) ما النتائج التى ترتبت علي...؟

(أ) اتفاقية سايكس- بيكو.

(ب) معاهدة بورتسموث .

(جـ) فرض الانتداب على سوريا ولبنان.

(د) سيطرة الأسلوب الطائفى على الحكم والإدارة فى لبنان.

(٤) قارن بين كل من:

المعاهدة العراقية الإنجليزية ١٩٣٠م والمعاهدة السورية الفرنسية ١٩٣٦م. من حيث ظروفها وبنودها ونتائجها.

(٥) « أثناء الحرب العالمية الأولى بينما كانت القوات العربية تحرز انتصاراتها فى الشام تكشفت مؤامرة واسعة النطاق ضد العرب ».

على ضوء هذه العبارة وضح :

(أ) اسم المؤامرة التى دبرت ضد العرب.

(ب) أسماء الدول التى اشتركت بها.

(جـ) أهم ما نصت عليه هذه الاتفاقية.

(د) كيف تم لفرنسا تحقيق أطماعها فى سوريا ولبنان بعد الحرب العالمية الأولى؟

(هـ) كفاح كل من الشعبين السورى والعراقى منذ عام ١٩٢٠م حتى قيام الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م.

الفصل السابع

يتوقع بنهاية هذا الفصل يكون الطالب قادرًا على أن:

- يحدد أشكال التقارب بين الشعوب العربية فيما بين الحربين.
- يتعرف دور جامعة الدول العربية.
- يفسر أسباب ضعف ميثاق جامعة الدول العربية.
- يستنتج/ يربط بين المؤامرات الاستعمارية وقيام الدولة اليهودية فى فلسطين.
- يتتبع مراحل تطور القضية الفلسطينية.
- يتتبع دور مصر فى مساندة القضية الفلسطينية منذ نشأتها وحتى اليوم.
- يقارن بين حرب يونيو ١٩٦٧م وحرب أكتوبر ١٩٧٣م من حيث الأسباب والنتائج.
- يلخص أحداث حرب أكتوبر وفق تسلسل زمنى.
- يستخلص الدروس المستفادة من حرب أكتوبر ١٩٧٣م فى شتى المجالات.
- يقدر أهمية الوحدة العربية فى الحفاظ على أراضيها وصد أى عدوان.

القضايا المتضمنة

- العولمة.
- التسامح والتربية من أجل السلام
- حسن استخدام الموارد.

مصر وقضايا العالم العربى المعاصر

مصر وقضايا العالم العربى المعاصر

- تطور الحركة القومية العربية
- مصر وإنشاء جامعة الدول العربية
- دور مصر فى استقلال الدول العربية
- الصراع العربى الإسرائيلى
- حرب أكتوبر والدروس المستفادة منها

أولاً : تطور حركة القومية العربية :

سياسة الاستعمار الأوربى فى الوطن العربى :

١- قسم الاستعمار الوطن العربى إلى أجزاء منفصلة، وأقام الحواجز الجمركية بين هذه الأجزاء فقضى على حرية الانتقال، وحرية الاتصال بين العرب.

٢- أثار الاستعمار النعرات المحلية للقضاء على فكرة الوحدة والقومية العربية، فأثار النزعة الفرعونية فى مصر، والنزعة الفينيقية فى لبنان، وسمى العرب بأسماء مختلفة فى الأجزاء المختلفة، فهم عراقيون وسوريون ولبنانيون وفلسطينيون وسودانيون.

٣- خلق الجنسيات المتعددة من الجنسية العربية الواحدة، بل وعمل الاستعمار أحيانا على إخراج بعض الشعوب العربية عن إطار القومية، فعمل على فرنسة الجزائر، وادعى أنها جزء من الوطن الفرنسي، وشجع الجزائريين على اكتساب الجنسية الفرنسية عن طريق الإشارة إلى الامتيازات الاجتماعية والطبقية.

٤- أثار الاستعمار روح العداء الطائفى بين الأديان والمذاهب فى الوطن العربي، فعمل على التفريق بين الدروز والموارنة فى لبنان، وبين المسلمين والأقباط فى مصر، وبين الشيعة والسنة فى

العراق، وبين الزيدية والسنة فى اليمن والمحميات، وسخر الاستعمار علماءه لإثبات بعض القضايا العنصرية رغبة فى التفرقة، فالبربر ليسوا عربًا، ولكنهم من الوندال الأوربيين أو من الرومان، واللبنانيون من نسل الصليبيين الإفرنج.

٥- عمل الاستعمار على تعدد النظم السياسية والحكومية والاقتصادية، وتعدد القوانين فى الأقطار العربية، فسوريا ولبنان تتبعان النظام الجمهوري، والعراق ومصر والأردن تتبع النظام الملكي، وفلسطين فتحت لهجرة الصهيونيين واتخذت الخطوات لجعلها وطنا قوميًا لهم.

٦- سخر الاستعمار التعليم لإضعاف الثقافة العربية فحيث ساد الاستعمار الانجليزي، أبعد العرب عن تيار الفكر الحديث، وحيث ساد الاستعمار الفرنسى ضعفت اللغة العربية، وأصبحت اللغة الفرنسية هى لغة التعليم، ونسى العرب لغتهم، وحيث ساد الاستعمار الإيطالي، كما فى ليبيا فرضت اللغة الإيطالية والثقافة الإيطالية.

٧- كما خلق الاستعمار أسرًا ذات أطماع فى الحكم وألهاها بعروش وهمية، وبذلك أوجد مصالح أسرية وعصبيات سببت نوعًا من التفكك فى وحدة العرب، وشجعت النزعات العصبية والتنافس المحلي.

وهكذا عمل الاستعمار على تفتيت الوطن العربى ماديًا إلى أجزاء منفصلة، وأدى ذلك كله إلى إضعاف القومية العربية والتباعد بين الشعوب العربية ولكن إلى حين.

والواقع أنه لا خوف على القومية العربية ما دامت هناك :

- اللغة العربية تربط بين أقطار العرب.
- التاريخ العربى يربط بين وجدانهم وبين مصيرهم.
- الثقافة العربية تربط بين عواطفهم وأمزجتهم.

حقيقة خف تيار القومية العربية بفعل الاستعمار بعد الحرب العالمية الأولي، ولكن كل هذه العوامل استطاعت أن تتلمس من الظروف التى حدثت أيضًا بحكم حتمية التاريخ فرصًا لإحياء فكرة القومية العربية، والمحافظة عليها :

- تقدم وسائل المواصلات من سيارات وطائرات.
- تقدم وسائل الاتصال الفكرى كالطباعة والصحافة والإذاعة أدت إلى مزيد من التجاوب بين العرب.
- المحنة المشتركة بالاستعمار والقتال ضده كان من عوامل التقارب بين العرب أيضًا وإبراز مصالحهم المشتركة وأهدافهم الواحدة ومصيرهم الواحد.
- تقدم مناهج التعليم ووسائله وتعميمه فى جميع البلاد العربية فى الفترة ما بين الحربين كان لها أثر بالغ فى شحذ الشعور العربى من غير شك.

وكانت نتيجة هذه العوامل أن عاد إلى العرب شعورهم بأهمية القومية العربية، ووجوب إحيائها وتقويتها، واقتنعت كل دولة عربية بأن سياسة الاهتمام بمشاكلها الخاصة لا تجدي، وأنها أقوى بشقيقاتها العربيات منها بنفسها، مهما بلغت من قوة.

وعلى أساس هذه المفاهيم بدأت القومية العربية تبرز ابتداء من العقد الرابع من القرن العشرين، وبدأت تحدث أثرها فى التقارب بين الشعوب العربية.

أشكال التقارب بين الشعوب العربية فيما بين الحربين وتكوين جامعة الدول العربية:

اتخذ التقارب أولاً شكل تصفية الخلافات التى كانت موجودة بين الدول العربية كمصر والسعودية، أو بين الأسرات الحاكمة كالأسرتين السعودية والهاشمية.

١- ففى سنة ١٩٣٤م عقدت معاهدة الطائف التى أنهت العدوان بين السعودية واليمن، ونص فيها على تنمية وحدة الأمة العربية، وتحقيق التعاون بين الطرفين.

٢- فى سنة ١٩٣٦م عقدت معاهدة إخاء وتحالف بين العراق والسعودية نص فيها على تبادل البعثات الثقافية والعسكرية، وبذلك وضع حد للعداء الموروث بين الأسرة الهاشمية والأسرة السعودية، وفى سنة ١٩٣٧م انضمت اليمن إلى تلك المعاهدة، ونص على أن تكون المعاهدة مفتوحة لمن يريد أن ينضم إليها من الدول العربية الأخري.

٣- وفى مايو سنة ١٩٣٦م عقدت المعاهدة بين مصر والسعودية، وفيها سويت الخلافات بين البلدين، وقد كانت خلافات بين الأسر الحاكمة حينئذ أيضًا إذ كانت جذورها ترجع إلى الحرب بين محمد على باشا والوهابيين.

٤- فى سنة ١٩٣٧م انعقد المؤتمر الفلسطينى العربى العام فى بلودان، وضم وفودًا من جميع الأقطار العربية لتنسيق الجهود فى مكافحة الصهيونية.

٥- فى سنة ١٩٣٩م انعقد بلندن مؤتمر المائدة المستديرة لبحث مشكلة فلسطين، وضم ممثلين لكل الدول العربية المستقلة.

٦- حدث من ناحية أخرى تقارب بين الشعوب العربية، فانعقد المؤتمر الطبى العربى سنة ١٩٣٧م، ثم توالى انعقاده سنويًا بعد ذلك تقريبًا، كما انعقدت سلسلة أخرى من المؤتمرات، مثل مؤتمر المحامين العرب (١٩٤٤م)، ومؤتمر المهندسين العرب (١٩٤٥م).

ثانيًا: مصر وإنشاء جامعة الدول العربية :

مصر والوحدة العربية :

ولدت فكرة إنشاء جامعة الدول العربية كشكل من أشكال الاتحاد العربى فى مصر، وليس هذا بغريب على موقف مصر من البلاد العربية، إذ وقفت مصر باستمرار إلى جانب الشعوب العربية فى

كفاحها لنيل استقلالها حتى إذا قامت الحرب العالمية الثانية رأت بريطانيا أن من مصلحتها قيام نوع من الوحدة العربية.

١ - إرضاء للعرب وضمانًا لمساعدتهم لها فى محنة الحرب الدائرة.

٢- تكتيلاً للدول العربية وراء مصالح الاستعمار على أساس أن الدول العربية كلها كانت مناطق نفوذه، ومن السهل توجيه أى نظرة عربية نحو هذه المصالح، حيث أظهرت الحرب الأهمية البالغة للمنطقة العربية اقتصاديًا بسبب البترول الذى تزخر به أرضها، وأهمية قناة السويس البالغة لنقل هذا البترول بالإضافة لأهميتها الاستراتيچية الأخري.

ومن جانب آخر كانت الحرب مناسبة أخرى لنمو الحركات الوطنية فى البلاد العربية، فلقد وجدت الشعوب العربية فرصتها فى هذه الحرب للتخلص من سيطرة الدول الاستعمارية التى أكرهتها على حرب لم تكن لها فيها ناقة ولا جمل ، وجاء ذلك مصحوبًا بتنبيه عربى إلى المخاطر التى تهدد المنطقة والشعوب العربية بسبب الهجرة الجماعية الصهيونية التى سمحت بها الحكومة البريطانية إلى فلسطين، ولذا تزايد اهتمام التفكير العربى بضرورة (جمع الصفوف) لمواجهة الخطر الصهيونى وللتخلص من السيطرة الأجنبية.

سعت الدول الاستعمارية الغربية، وبالذات بريطانيا إلى محاولة التخفيف من حدة العداء العربى، واستمالة الدول العربية لها، فبينما كانت الحرب العالمية الثانية على أشدها أعلنت عن ترحيبها بأى عمل فى اتجاه الوحدة العربية، وجاء هذا الإعلان على لسان وزير خارجيتها (المستر إيدن) فى (مايو ١٩٤١م) عندما أدلى بتصريح قال فيه:

وأبدى العرب فتورا نحو هذا التوجيه البريطانى وعرفوا أهدافه. فأصدر وزير خارجية بريطانيا إعلانًا ثانيًا فى (فبراير ١٩٤٣م). واستجابت مصر فأخذت على عاتقها دعوة الحكومات العربية إلى إجراء مباحثات ومشاورات فى الموضوع، وذلك بعد أن ألقى مصطفى

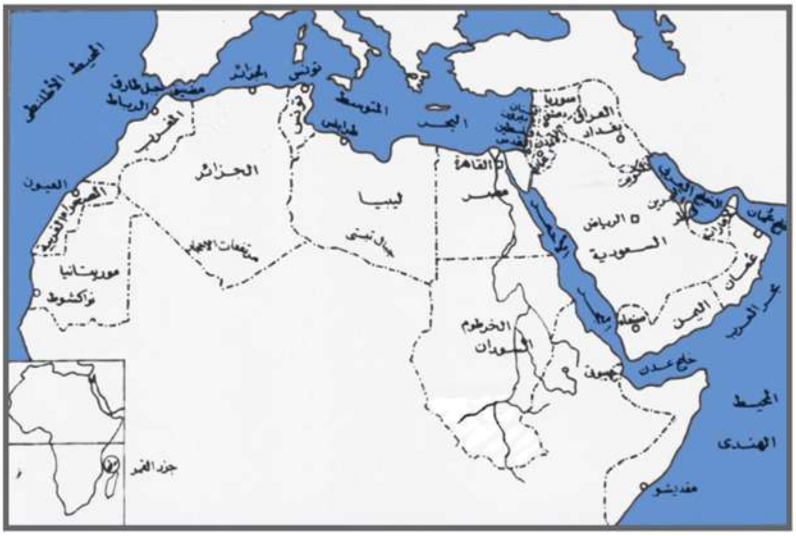

خريطة (١١) الدول العربية المشتركة فى جامعة الدول العربية

النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية بيانا فى مجلس الشيوخ المصرى فى مارس ١٩٤٣م

المشاورات التمهيدية أو مباحثات الوحدة العربية :

وبناء على ذلك بدأت المباحثات الثنائية فى القاهرة بين رئيس الحكومة المصرية (مصطفى النحاس باشا) وبين رؤساء الحكومات العربية الأخرى فى المشرق العربى للتباحث وتبادل وجهات النظر حول كيفية قيام «وحدة عربية» أو (اتحاد بين الدول العربية).

بروتوكول(*) الإسكندرية :

وعندما انتهت المشاورات التمهيدية دعت حكومة مصر إلى عقد لجنة تحضيرية للمؤتمر العربى العام تضم ممثلى الدول العربية التى اشتركت فى تلك المشاورات، وبدأت اللجنة اجتماعها بالإسكندرية فى (سبتمبر سنة ١٩٤٤م)، وقد أقر اجتماع الإسكندرية أكتوبر ١٩٤٤م ما عرف باسم بروتوكول الإسكندرية والذى ينص على:

معلومة إثرائية

التصريح الأول لـ (مستر إيدن)

إن كثيرين من مفكرى العرب يرجون للشعوب العربية درجة من الوحدة أكبر مما يوجد بها الآن... ويبدو أنه من الطبيعى ومن الحق وجوب تقوية الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلدان العربية بل والروابط السياسية أيضًا، وحكومة صاحب الجلالة من ناحيتها ستؤيد أية خطة تلقى من العرب موافقة عامة».

التصريح الثانى لـ (مستر إيدن)

جاء فيه: «إن حكومة صاحب الجلالة- كما أوضحت من قبل - تؤيد كل حركة يقوم بها العرب لتعزيز الوحدة الاقتصادية والثقافية والسياسية بينهم، ومن الجلى أن الخطوة الأولى لتحقيق أى مشروع يجب أن تأتى من جانب العرب أنفسهم».

١- تؤلف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التى تقبل الانضمام إليها، ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى مجلس جامعة الدول العربية تمثل فيه الدول المشتركة فى الجامعة على قدم المساواة.

٢- تكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها».

٣- لا يجوز على كل حال اللجوء إلى استعمال القوة لفض المنازعات بين دولتين من دول الجامعة، كما لا يجوز اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية.

٤- الاعتراف بسيادة واستقلال الدول المنضمة إلى الجامعة بحدودها القائمة فعلاً.

على أن تكون مهمه **مجلس الجامعة** :

- مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات.

- عقد اجتماعات دورية لتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية تحقيقًا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء بالوسائل الممكنة وللنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها.

(*) مجموعة من القواعد والإجراءات والاتفاقيات ذات الصلة بالعلاقات بين الدول.

وفى مارس ١٩٤٥م استأنفت اللجنة اجتماعاتها فى القاهرة، وعدلت الاتفاق فكان ميثاق جامعة الدول العربية، وصدر فى (مارس سنة ١٩٤٥م)، ووقعته سبع دول عربية (*).

وقد صارت القاهرة مقراً لمجلس الجامعة وأجهزتها، واختير **عبدالرحمن عزام باشا** أول أمين عام للجامعة العربية.

مظاهر ضعف ميثاق جامعة الدول العربية :

وقد جاء الميثاق أضعف من بروتوكول الإسكندرية فى تأكيد الروابط بين الدول الأعضاء بسبب كثرة التحفظات التى أبداها معظم المندوبين، ويرجع ذلك إلى عاملين :

أولاً : الاستعمار : فقد كان لدى الدول الاستعمارية مخطط محدد لمدى ما يسمح به من وحدة بين العرب.

ثانياً : المنافسات الأسرية والاعتبارات الإقليمية والطائفية : التى حرص عليها الملوك والأسر الحاكمة فى ذلك الوقت، مما أضعف إرادة العرب، ولم ينتبه العرب إلى أهمية الفرصة التى ضاعت عليهم حينئذ إلا عندما وقعت كارثة فلسطين بعد سنوات.

ولهذين العاملين أتى ميثاق جامعة الدول العربية ضعيفًا، فكانت الجامعة اتحاد حكومات لا اتحاد شعوب، ولذلك نص فى الميثاق على أن تكون القرارات بالإجماع حتى تكون ملزمة لجميع الدول المشتركة فى الجامعة، أما ما يتقرر بالأغلبية فلا يسرى إلا على الدول التى تقبله، ولقد كان هذا أول الضعف فى كيان الجامعة، إذ عطل كثيرًا من قرارات مجلسها.

وكان للميثاق عدة نصوص كانت أساسًا طيبًا للتعاون بين الدول العربية ومنها :

- توثيق الصلات بين الدول العربية المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقًا للتعاون بينها، وصيانة استقلالها وسيادتها، والنظر بصورة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها.
- تعاون هذه الدول بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها فى الشئون الاقتصادية وشئون المواصلات والثقافة والشئون الاجتماعية والصحية.

نص الميثاق على أن لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها فى تعاون أوثق مما نص عليه فى الميثاق أن تعقد فيما بينها من الاتفاقيات ما تشاء كما نص الميثاق ، على أنه لا يجوز اللجوء إلى القوة لفض المنازعات التى تقوم بين دولتين أو أكثر من أعضاء الجامعة ، وبالرغم مما يبدو فى ميثاق الجامعة

(*) هى مصر، والمملكة العربية السعودية، وسوريا، ولبنان، والأردن، والعراق، واليمن، وترك الباب مفتوحًا لانضمام كل دولة عربية تنال استقلالها فيما بعد، وفعلا انضمت إلى الجامعة العربية : عدد من الدول فيما بعد.

من ضعف إلا أنها، أسهمت بنصيب مشكور فى القضايا العربية.

اجمع معلومات عن المجالات التى نجحت فيها الجامعة العربية تجاه بعض القضايا العربية من خلال شبكة المعلومات الدولية

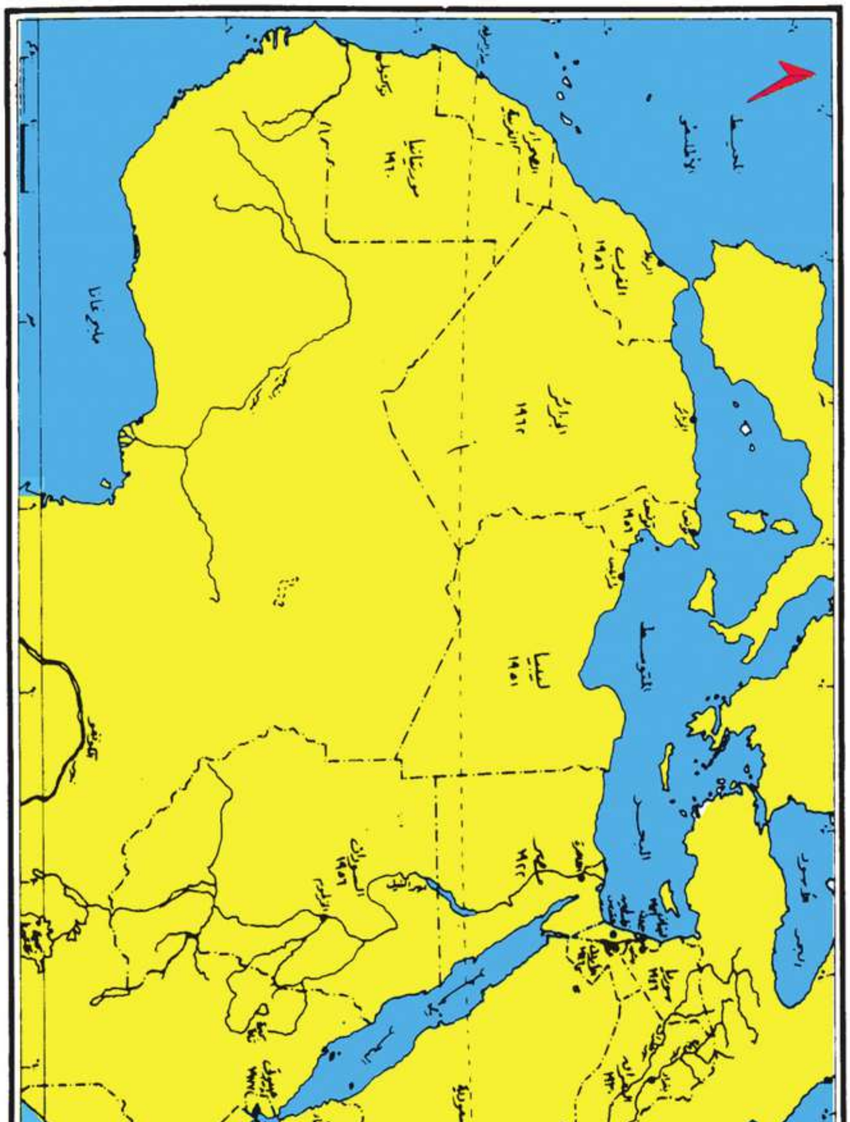

خريطة (١٢) استقلال دول الوطن العربى.

- ظهر نقص ميثاق الجامعة واضحًا فى **محنة فلسطين**، فقد أخفقت فيه الجامعة إخفاقًا ذريعًا، فقد عجزت الجامعة بحكم ميثاقها عن إنشاء قوة عسكرية تقوم بالعمليات الحربية التى كان يقتضيها الموقف، ومكنت الثغرات الموجودة فى الميثاق بعض حكام العرب من الخضوع لضغط الدول الغربية ولقد أظهرت هذه المحنة مدى التفكك السياسى فى الجبهة العربية أثناء حرب سنة ١٩٤٨م لتحرير فلسطين.

ميثاق الضمان الجماعى سنة ١٩٥٠م :

ونتيجة لذلك حاولت جامعة الدول العربية أن تقيم وحدة عسكرية بين الدول المشتركة فيها، فعقدت ميثاقًا للضمان الجماعى (معاهدة الدفاع المشترك فى (يونية ١٩٥٠م)، وانضمت إليه بعض الدول ولم تنضم دول عربية أخري.

وقد نصت المادة الثانية من هذه المعاهدة على أن الدول المتعاقدة تعتبر كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة أو أكثر منها اعتداء عليها جميعًا، تلزم بأن تبادر إلى معونة الدولة المعتدى عليها، لرد الاعتداء وإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما. وهذه الأحكام إذا نفذت حقًا لأحالت حلم العرب فى الاتحاد إلى حقيقة ملموسة، ولكن شيئًا من هذه الأحكام لم ينفذ، إذ سرعان ما وضح الانقسام بين الحكومات التى تتألف منها الجامعة، مما جعل مصر تستعيض عن ذلك بمعاهدات ثنائية ترمى إلى توثيق التعاون السياسى والعسكرى والاقتصادى والثقافى بينها وبين الدول العربية الراغبة فى ذلك.

ثالثًا : دور مصر فى استقلال البلاد العربية :

وقد كان لمصر دورًا رئيسيًا فى استقلال الشعوب العربية، وفى التحاقها بالجامعة العربية سواء كان ذلك قبل ثورة يوليو ١٩٥٢م، أو بعد قيامها، فلقد ناصرت مصر على المستوى الشعبى والرسمى كل حركات التحرر فى المشرق العربى أو المغرب العربي، فأيدت استقلال سورية ولبنان، كما أيدت عروبة فلسطين فى الأمم المتحدة، كما قامت بدورًا بارزًا فى جامعة الدول العربية عند عرض قضايا التحرر من الاستعمار فى شمال إفريقيا، وساعدت فى استقلال ليبيا وتوحيدها.

وبعد قيام الثورة فى يوليو ١٩٥٢م دعمت حركات التحرر ضد الاستعمار البريطانى فى الخليج العربى والجنوب العربي، كما أيدت بالمال والسلاح ثورة الجزائر ضد الاستعمار الفرنسى حتى نالت استقلالها ١٩٦٢م، وكذلك كان موقف مصر من حركات التحرر من الاستعمار فى باقى البلاد العربية، ولا أدل على ذلك من موقف مصر من منح السودانيين حق تقرير مصيرهم وتحريرهم من السيطرة البريطانية، وذلك عندما عقدت حكومة الثورة ١٩٥٣م اتفاقية السودان مع الحكومة البريطانية، التى أسدت إلى السودان حقوقا جليلة فقد أخذت بيده إلى طريق الحرية والاستقلال الذى أعلن سنة

١٩٥٦م بعد جلاء القوات الأجنبية[1]، راجع الخريطة (١٢) لتتعرف متى حصلت كل دولة عربية على استقلالها.

رابعًا: الصراع العربي الإسرائيلي:

١- تطور القضية الفلسطينية منذ القرن (١٩) حتى قيام دولة إسرائيل:

مقدمة : فلسطين عربية، هذه هى الحقيقة التاريخية، وهى حقيقة سعت الصهيونية بالتعاون مع الدول الكبرى إلى محوها تمامًا للقول بأن إسرائيل حقيقة تاريخية، ولكن الفرق بين المقولتين أن الثانية تقوم ضد حق الإنسان فى وطنه الذى يقيم فيه هو وأجداده منذ ألاف السنين، وتدعو إلى فتح أبواب (فلسطين) ثم (إسرائيل) أمام هجرة اليهود من أوربا وآسيا وإفريقيا ومن أى مكان إلى (فلسطين إسرائيل).

- لقد كانت النهضة الفكرية التى انطلقت فى أوربا قد رفعت معها المستوى الفكرى لليهود، كما أن الانطلاقة الاقتصادية الكبرى التى شملت معظم أوربا أعطت فرصة واسعة لليهود لاستثمار مهاراتهم الاقتصادية فى تكوين ثروات كبيرة.

- حيث أن النظرية القومية كانت هى السائدة فى التاريخ الحديث فقد كان اليهود - وهم غالبًا ما يعيشون فى (جيتو) خاص بهم - يعملون على الحفاظ على مقوماتهم اليهودية الخاصة فى مواجهة نمو المشاعر القومية لدى الشعوب التى يعيشون بها. الأمر الذى صعد من العداوة التى كانت بين اليهود من جهة والشعوب الأوربية المسيحية من جهة أخري.

- منذ مطلع القرن التاسع عشر والمفكرون اليهود يلتمسون أية وسيلة لتهجير اليهود إلى فلسطين على اعتبار أنها أرض الميعاد والأرض التى وعد الله بها شعب الله المختار، وأنها هى الأرض التى ستجمع شعب اليهود المشتتين منذ العصور القديمة بين مختلف شعوب العالم. وفى عام ١٨٩٧م عقد المؤتمر اليهودى الأول لبحث المسألة اليهودية وفيه: تحددت فكرة (إقامة وطن قومى لليهود)، ثم تحددت فلسطين فى مؤتمر عام ١٩٠٥م لتكون الوطن القومى لليهود تحت شعار العودة لفلسطين، ذلك كان بداية الحركة الصهيونية (العودة إلى فلسطين)، وأنشئت المنظمة الصهيونية العالمية والصندوق الصهيونى لتمويل عمليات الهجرة وشراء الأراضى للمهاجرين اليهود إلى فلسطين.

تصريح بلفور (نوفمبر ١٩١٧م) :

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى نظرًا لارتباط مصالح بريطانيا بمصالح الحركة الصهيونية، أصبحت بريطانيا مستعدة لتأييد اليهود فى إنشاء وطن قومي، ومن هنا صدر الأمر البريطانى المعروف بتصريح بلفور فى صورة خطاب موجه إلى رئيس الطائفة اليهودية فى بريطانيا فى (نوفمبر ١٩١٧م).

ويجدر بنا أن نتعرف على بعض نصوص هذا التصريح والتى أدت إلى قيام إسرائيل فى ١٩٤٨م وهى:

١- نص التصريح على أن تأسيس الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، ومن ثم ليس كل فلسطين تصبح وطنا قوميًا للصهيونيين.

٢- لم يشر النص إلى عرب فلسطين صراحة بل يكاد يغفل وجودهم إلا عندما تحدث النص على (طوائف غير يهودية) ومن ثم كان الانجليز يضمرون منذ البداية استبعاد حقيقة قائمة حينذاك وهى (عرب فلسطين) و(عروبتها).

٣- إن بريطانيا منحت إقليمًا لا تملكه إلى طائفة لا تملكه دون استشارة أهل وأصحاب البلاد الذين كانوا يشكلون الأغلبية المطلقة لسكانه (١)، بل وعاملت بريطانيا العرب -بمقتضى النص- على اعتبار أنهم مجرد طائفة ما.

معلومة إثرائية

عزيزى اللورد روتشيلد ... أعبر لكم عن بالغ سرورى إذ أنقل إليكم باسم حكومة صاحب الجلالة التصريح التالى بالعطف على الأمانى اليهودية الصهيونية، وهو التصريح الذى عرض على مجلس الوزراء ونال موافقته. إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وستبذل أقصى مساعيها لتيسير تحقيق هذا الهدف، على أن يكون مفهومًا أن شيئًا لن يعمل قد يكون من شأنه المساس بالحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف الحالية غير اليهودية فى فلسطين. ولا بالحقوق ولا بالوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى أى بلد آخر. أكون ممتنًا إذا أحطتم المنظمات الصهيونية علمًا بهذا التصريح.

المخلص .. آرثر جيمس بلفور

فبعد إنهاء الحرب توالت المذكرات العربية والصهيونية على المسئولين من دول الحلفاء وعلى مؤتمر الصلح، فقد طالب فيصل بن الحسين فى مذكرته فى ١٩١٩/١/٢٩م باستقلال كل العرب ومنهم عرب فلسطين، بينما طالبت مذكرة الصهيونيين فى (فبراير١٩١٩م) بالاعتراف بالحق التاريخى لليهود فى فلسطين، وحقهم فى إقامة وطن قومى لهم هناك على النحو التالي:

١- وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

٢- العمل على تطبيق نص تصريح بلفور.

٣- إقامة مجلس تمثيلى ليهود فلسطين.

---

(١) كان تعداد فلسطين فى ١٩١٨م على النحو التالى (٤٤٦ ألف نسمة من العرب)، و(٦٥ ألف نسمة من اليهود) أى حوالى ٨٪ من تعداد السكان.

فاتفقت فرنسا وانجلترا على أن تكون فلسطين تحت الانتداب الانجليزي، وأن تلتزم الحكومة البريطانية بتنفيذ تصريح بلفور دون أية إشارة إلى العرب صراحة مع أنهم كانوا يشكلون أغلبية سكان فلسطين، وبذلك تكون عصبة الأمم -التى أقرت نظام الانتداب قد تخلت عن واحد من أهم أهدافها ألا وهو مساعدة الشعوب على أن تحكم نفسها بنفسها، وسارت فى طريق إبادة عرب فلسطين وتهويدها.

سياسة الانتداب البريطانى فى فلسطين:

عين هربرت صمويل مندوبًا ساميًا بريطانيا، وشكل إدارة عليا ذات طابع صهيوني، وصدرت القوانين التى تنقل الأراضى المملوكة للدولة إلى اليهود والقوانين التى تسهل انتقال الأراضى بالشراء أو بالتنازل من أيدى العرب إلى اليهود، وكانت رءوس الأموال الصهيونية مستعدة لتغطية طلبات أى بائع حتى ولو كانت الأسعار مرتفعة، فالمهم هو الاستحواذ على الأرض.

(الكتاب الأبيض الأول)(*) فى ١٩٢٢م

أصدرته الحكومة الإنجليزية محددة فيه سياستها التى ستنتهجها فى فلسطين وكانت على النحو التالي:

١- إن حكومة جلالة الملك لا تتصور أن فلسطين كلها ستصبح يهودية مثل أن إنجلترا إنجليزية وكان هذا من باب التموية.

٢- إن تصريح بلفور غير قابل للتغيير، وأنه يعنى أن وطنا قوميا لليهود يؤسس فى فلسطين.

٣- من الضرورى زيادة عدد الطائفة اليهودية بالمهاجرة.

٤- العمل على الارتقاء بفلسطين حتى تصبح مؤهلة كمركز للشعب اليهودي.

رفض العرب هذا الكتاب الأبيض الذى أغفل حقوق الإنسان بالنسبة لعرب فلسطين. وأخذت حكومة الانتداب فى تنفيذ ما ورد به من حيث فتح باب الهجرة أمام اليهود، وانتقال الأراضى إليهم حتى ولو كان ذلك باستصدار قوانين نزع الملكية والتركيز على التحاق الشباب بالأراضى الزراعية والأعمال الحقلية وتحميل العربى بأعباء ضريبية ثقيلة تجعله يبيع أرضه. وكان من بين الصدامات الكبرى الأولى بين العرب واليهود فى ١٩٢٩م نتيجة لتعدى اليهود على حق العرب فى (حائط البراق) وهو ملتصق بالمسجد الأقصي، ولم تتوقف الصدامات الدموية إلا بعد تدخل القوات الانجليزية، والحقيقة أنها تدخلت ضد العرب حتى سيطرت على الموقف، ولم تعامل اليهود إلا معاملة رقيقة.

(*) القوانين التي تصدرها الدولة ليطلع عليها الشعب ويعرفها

الكتاب الأبيض الثانى ١٩٣٠م :

أصدرت بريطانيا كتابها الأبيض الثانى وتضمن:

١ - التأكيد على تنفيذ وتطبيق تصريح بلفور.

٢ - رفض إقامة حكومة دستورية ديمقراطية على اعتبار أن ذلك يتنافى مع هدفها فى تكوين فلسطين اليهودية، واقترحت الحكومة البريطانية تشكيل مجلس تشريعى من العرب واليهود.

٣- أوصت الحكومة البريطانية بفرض قيود على الهجرة اليهودية، ولكن دون أن تضع الوسائل اللازمة لتنفيذ هذه التوصية.

٤ - انتقد الكتاب الأبيض تسلل أعداد ليست بالقليلة من اليهود إلى فلسطين بطرق غير مشروعة، ولكن لم تضع الحكومة الاجراءات اللازم تنفيذها لمنع هذا التسلل.

ومع أن الكتاب الأبيض كان يفتقد الحسم فى القضايا التى أثارها، ومع أنه كان من المتعذر تنفيذ ما جاء فيه إلا بقرارات أخرى من الحكومة البريطانية، فقد اعتبره الصهيونيون تخليًا من جانب بريطانيا عن القيام بما التزمت به نحو إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، وظلوا وراء الحكومة البريطانية حتى أصدرت بيانات سحبت فيها كل ما وجد فيه الصهيونيون مساسًا بمخططهم نحو فلسطين لليهود فقط.

لقد أخذت جموع اليهود تتدفق على فلسطين بسبب اضطهاد هتلر ونظام حكمه النازى لليهود، وكانت فلسطين هى الجهة المفضلة لدى اليهود الألمان، وخاصة أن الحكومة الانجليزية والوكالة اليهودية كانت تمد يد المساعدة بكل كثافة إلى المهاجرين لكى يستقروا فى فلسطين. بل وقد أكد البرلمان الانجليزى أن تمليك فلسطين لليهود ما هو إلا سياسة راسخة بريطانية.

أدت تلك التطورات إلى تشكيل اللجنة العربية العليا فى ١٩٣٥م للدفاع عن حقوق عرب فلسطين، وقدمت الزعامات العربية فى ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥م مذكرة طالبت فيها بما يلي:

١ - تشكيل حكومة نيابية.

٢ - إيقاف الهجرة اليهودية الشرعية منها وغير الشرعية.

٣- إصدار بطاقة شخصية لمواطنى فلسطين حتى لا يدعيها من لا حق له فيها.

٤ - منع انتقال الأراضى من العرب إلى اليهود وسن قانون الأفدنة الخمسة على نسق قانون مماثل صدر فى مصر يبقيها بعيدًا عن النزع أو المصادرة فى كل الأحوال.

الثورة العربية الكبرى فى فلسطين ١٩٣٦م :

ولكن تمسكت الحكومة الانجليزية بموقفها، فأدى ذلك إلى اندلاع الثورة العربية الكبرى فى فلسطين فى ١٩٣٦م، واستمرت حتى ١٩٣٩م. وقد استخدمت حكومة الانتداب أشد أنواع البطش من قصف بالطائرات، وهدم بيوت المجاهدين، وتطبيق العقاب الجماعى على القري، ومع ذلك استمرت الثورة واقتربت نذر الحرب العالمية الثانية، فلجأت الحكومة البريطانية إلى ملوك العراق والسعودية والأردن لكى ينصحوا الثوار بالتوقف عن الثورة والتباحث مع لجنة بيل الإنجليزية التى أرسلتها الحكومة الإنجليزية إلى فلسطين.

توقف القتال وتباحث زعماء عرب فلسطين مع اللجنة، ولكن تحيزت اللجنة إلى جانب اليهود، ولكنها أصدرت أول مشروع لتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية، وقد **وافق اليهود** على التقسيم على اعتبار أنه سيعطيهم فرصة العمل بكل حرية على أرض تابعة لهم تبعية مباشرة لتكون نواة (إسرائيل).

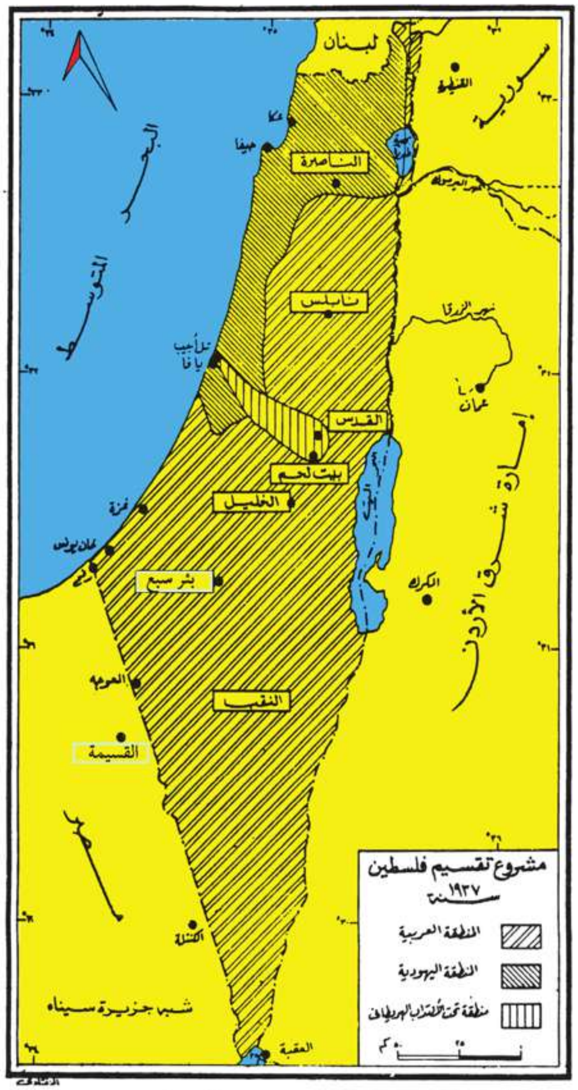

خريطة (١٣) يوضح مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٣٧م).

أما العرب فقد رفضوه على اعتبار أن أى اقتطاع لأية بقعة من فلسطين يُعد عدوانا لا مثيل له على حقوق شعب يعيش على أرضه، وخاصة أن ما خصص لليهود كان أحسن ما فى فلسطين من أرض، وتساءلوا أهكذا يتحول اللاجئ اليهودى إلى مالك، وصاحب الأرض العربى مطرودًا من أرضه ليعيش فى دولة عربية فقيرة محرومة من مقومات الدولة، ولذلك عاد عرب فلسطين إلى الثورة المسلحة

لاحظ خريطة مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٣٧م.

أفزعت فكرة التقسيم عرب فلسطين فعادوا إلى الثورة فلجأت الحكومة البريطانية إلى محاولة جمع الطرفين العربى والصهيونى للتوصل إلى حل مقبول، وكانت بريطانيا فعلاً تريد التوصل إلى حل حيث أن غيوم الحرب العالمية الثانية كانت قد تلبدت، ولكن عجز المجتمعون حول المائدة المستديرة عن التوصل إلى اتفاق، فأصدرت الحكومة البريطانية.

الكتاب الأبيض الثالث فى١٩٣٩م وقد جاء فيه:

١ - التمسك بنص تصريح بلفور.

٢ - تسهيل الهجرة اليهودية.

٣ - تحديد عدد المهاجرين.

٤ - قمع الهجرة غير المشروعة.

٥ - حكم ذاتى يشارك فيه العرب واليهود تمهيدًا لقيام دولة فلسطين.

٦ - إسناد الوظائف الرئيسية إلى العرب واليهود على أساس نسبة عدد السكان من الطرفين.

٧ - وضع قيود على انتقال الأراضى من أيدى العرب إلى اليهود.

ولكن هذا الكتاب الأبيض لم يوضع موضع التنفيذ بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية واستخدام انجلترا القوة العسكرية الفائقة فى إخماد ثورة الفلسطينيين، وأخذ الموقف الداخلى والخارجى يتغير لصالح الصهيونية.

دور الولايات المتحدة :

كانت الولايات المتحدة شديدة الانحياز إلى جانب الصهيونية، التى كانت تقدم للولايات المتحدة خدمات واسعة النطاق فى جهودها لتحطيم ألمانيا النازية، وفى دعم مصالح الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط الذى أصبح على أهمية قصوى بالنسبة لها ، إذ أثبتت شركات البترول الأمريكية العاملة فيه أن منطقة الخليج العربى تعوم على بحيرة من البترول، وأن من يسيطر على الشرق الأوسط يستطيع أن يسيطر على العالم.

قرارات مؤتمر بلتيمور :

هكذا التقت المصالح الأمريكية مع المصالح الصهيونية، وعقد فى بلتيمور - الولايات المتحدة - مؤتمر حضره مندوبون عن المنظمات الصهيونية الأمريكية والأوربية الموجودة فى فلسطين وحضره (هارى ترومان) الذى أصبح رئيسًا للولايات المتحدة بدءًا من (١٩٤٥م إلى ١٩٥٣م)، وأصدر المؤتمر قراراته على النحو التالي:

١ - إنشاء دولة يهودية.

٢- تشكيل قوة عسكرية تحارب تحت علمها الخاص تأكيدًا بأن الشعب اليهودى له قوميته، وله علمه وله الحق فى الالتحاق بهيئة الأمم المزمع إقامتها بعد إنهاء الحرب.

٣- فتح أبواب فلسطين للهجرة المطلقة إليها بلا قيود.

٤- منح (الوكالة اليهودية) حقوقًا إدارية وتنظيمية فى داخل فلسطين تمهيدًا لاستلام اليهود أمور الحكم والإدارة فى فلسطين.

٥- إلغاء الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩م.

وبينما كانت ألمانيا النازية تلفظ أنفاسها الأخيرة قامت الوكالة اليهودية بدعاية واسعة النطاق عما اقترفه النازى من جرائم بشعة ضد يهود ألمانيا وشرق أوربا وزعمت أن عددا من قتلهم النازى أو أحرقهم حوالى ستة ملايين ضحية، وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية شحنت الوكالة اليهودية عشرات الألوف من يهود ألمانيا إلى فلسطين بشكل أزعج سلطات الانتداب البريطانى حيث أن البلاد ما كانت لتستوعب هؤلاء إلا على حساب العرب هناك، أو بمعنى آخر أنه إذا أريد قيام وطن قومى بهذه الطريقة فإن ذلك لن يتأتى إلا بإبادة عرب فلسطين .

وعندما اعترضت حكومة الانتداب على فتح أبواب فلسطين هكذا أمام الهجرة اليهودية التى بلغت مائة ألف دفعة واحدة لجأت المنظمات الصهيونية إلى الولايات المتحدة فتبنت قضيتهم وطلبت من الانجليز وبأسلوب شديد اللهجة أن تفتح أبواب فلسطين للمهاجرين الجدد، وما كانت انجلترا حينذاك بقادرة على معارضة الولايات المتحدة الحليفة الأقوى التى لولاها لما نزلت الهزيمة بألمانيا.

وبينما أصبحت الولايات المتحدة المؤيد الأول والأقوى لقيام دولة يهودية، كانت انجلترا ترى أنها لا تستطيع الاستمرار فى الانتداب على فلسطين، بل لقد كانت المنظمات الصهيونية ترى أن دور انجلترا فى التمهيد لقيام دولة يهودية قد انتهي، وأنها أصبحت دولة من الدرجة الثانية وأن الدور القيادى فى هذا الصدد للولايات المتحدة الأمريكية وخاصة أن **ترومان** نجح فى انتخابات الرئاسة سنة ١٩٤٥م، كما أن نجاح الحزب الديمقراطى حزب ترومان - فى الانتخابات يرجع إلى الأموال الباهظة التى أنفقها اليهود.

اللجنة الإنجليزية الأمريكية ١٩٤٦ م :

واستخدمت المنظمات الصهيونية أجهزتها الإرهابية السرية فى الضغط على إنجلترا، فعلى يد إرهابيين سقط وزير التموين الإنجليزى اللورد موين صريعًا ونسف الإرهابيون الصهيونيون فندق الملك داود فى القدس بما فيه من نزلاء فى (يوليو ١٩٤٦م)، وأدى ذلك إلى أن تشرك انجلترا الولايات المتحدة معها فى إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية، فتشكلت لجنة إنجليزية أمريكية فى نوفمبر ١٩٤٦م،

وكان مجرد تشكيل هذه اللجنة لصالح الأهداف الصهيونية وصدرت قراراتها على النحو التالي:

١- فلسطين ستكون دولة يهودية.

٢- فتح باب الهجرة اليهودية.

٣- حرية انتقال الأراضى من العرب إلى اليهود.

وحاولت الحكومة البريطانية عن طريق عقد مؤتمر فى لندن الوصول إلى حل ما، إلا أن الصهيونيين رفضوا حضوره إلا إذا وافقت بريطانيا على قيام دولة يهودية فى فلسطين وحضره العرب وكشفوا فقط عن مخطط إبادة اليهود لعرب فلسطين، ولما انتهى المؤتمر على هذا النحو أعلنت بريطانيا نفض يدها عن المشكلة ووضعها بين يدى هيئة الأمم المتحدة.

قرار التقسيم فى الأمم المتحدة ١٩٤٧ م:

- رفعت القضية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة وانتهت المداولات إلى قرار بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، (لاحظ الخريطة رقم ٢١).

- أعلنت حكومة بريطانيا أنها ستنسحب من فلسطين فى ميعاد غايته مايو ١٩٤٨م.

- كانت كل هذه التطورات لصالح اليهود حيث كان لديهم القوات المدربة والأموال الكثيرة والدعم الدولى وعلى رأسه كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى (حاليًا الاتحاد الروسي).

- كانت البلاد العربية التى تدعم الحق العربى فى فلسطين مشغولة هى الأخرى فى تحرير نفسها من الاحتلال الأجنبي.

- تدفقت على فلسطين العناصر العسكرية

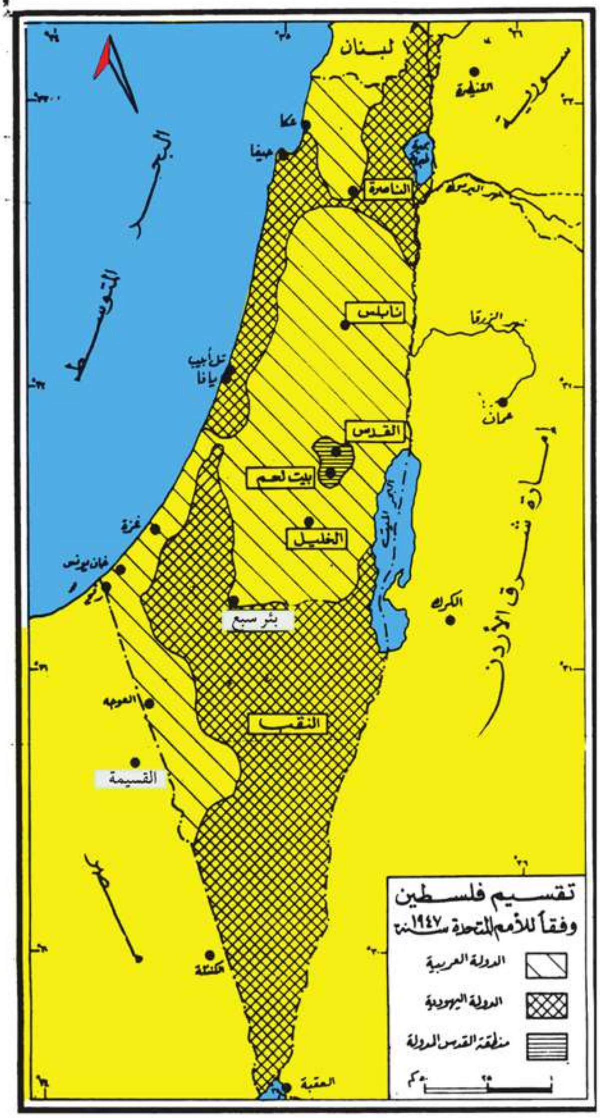

خريطة (١٤) يوضح تقسيم فلسطين وفقا للأمم المتحدة ١٩٤٧م).

اليهودية التى كانت تقاتل خلال الحرب وكانوا على خبرة عالية عسكرية، بينما كانت قوات عرب فلسطين بدائية التشكيل.

-قامت القوات الصهيونية بعمليات إرهابية مثل مذبحة دير ياسين للنساء والأطفال حتى تثير الذعر بين الفلسطينيين، وفعلاً خرجت جموع الشعب الفلسطينى مذعورة من بلادها على أمل العودة مع الجيوش العربية التى كانت تستعد للدخول إلى فلسطين لإعادة الأمن والسكينة والحق إلى تلك البلاد المنكوبة.

حرب فلسطين ١٩٤٨م:

الأسباب:

- عندما كانت آخر القوات الانجليزية تغادر فلسطين أعلن قيام دولة إسرائيل واعترفت بها كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وغيرهما من معظم دول العالم.

- أصدرت جامعة الدول العربية قرارها بدخول الجيوش العربية الحرب لإعادة السكينة والأمن إلى فلسطين التى تجرى على أرضها دماء العرب.

وقد دخلت القوات المصرية والأردنية والعراقية والسورية، ولكنها كانت غير مدربة وغير مستعدة وغير متحدة الفكر أو الخطة.

النتائج:

- هزيمة القوات العربية واستولت القوات الإسرائيلية ليس فقط على الأجزاء التى خصصتها الأمم المتحدة بمقتضى قرار التقسيم لليهود ولكن أكثر منها بكثير.

- اضطرت دول المواجهة (مصر، الأردن، سوريا، لبنان) إلى عقد اتفاقيات الهدنة (هدنة رودس) ١٩٤٩م، وأعلنت الولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا فى ١٩٥٠م ضمان هذه الحدود الجديدة لإسرائيل.

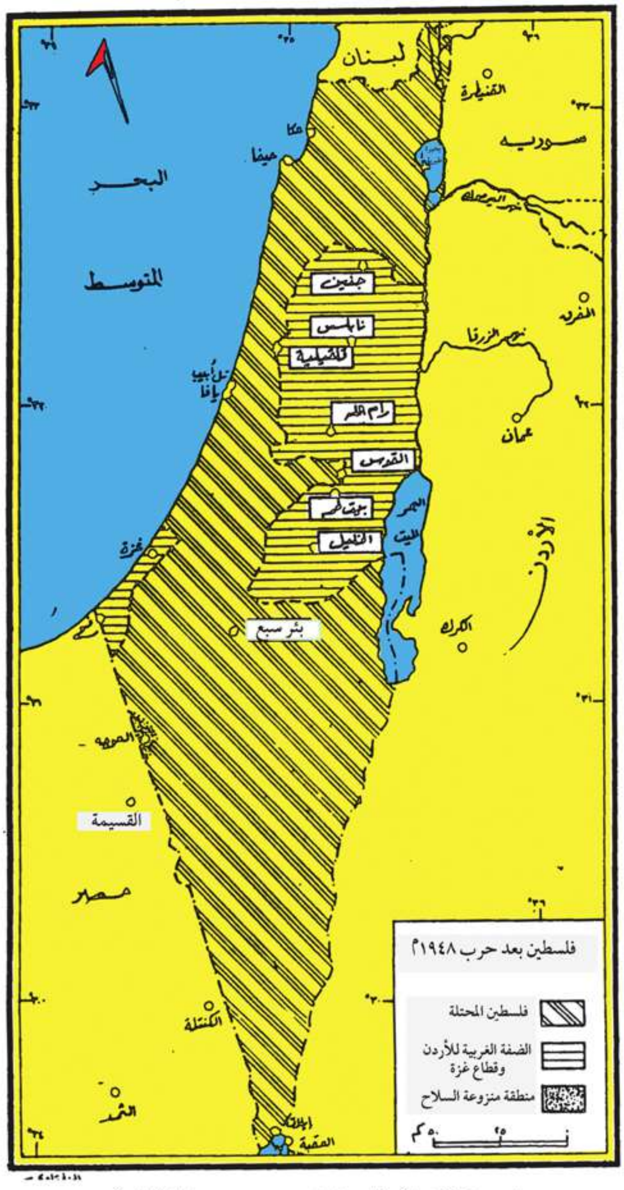

خريطة (١٥) فلسطين بعد حرب ١٩٤٨م).

- رفضت البلاد العربية الاعتراف بدولة إسرائيل ومن ثم أصبحت القضية ساخنة باستمرار وتتفجر من وقت لآخر كما سيتبين بعد ذلك خاصة فى عهد ثورة ١٩٥٢م فى مصر وقيادتها للوحدة العربية.

٢- مصر والصراع العربى الإسرائيلى بعد حرب فلسطين ١٩٤٨م/١٩٤٩م:

سبق أن عرضنا لحرب فلسطين ١٩٤٨م وما ترتب عليها من هزيمة للعرب وتوسع إسرائيل فى الأراضى العربية واستيلائها على أراض أكثر من التى كانت مخصصة لها فى قرار التقسيم الذى وافقت عليه الأمم المتحدة ١٩٤٧م. (خريطة رقم ١٥) فلسطين بعد حرب ١٩٤٨م.

فقد توغل اليهود فى شمال فلسطين وجنوبها حيث استولوا على النقب ووصلوا إلى العقبة وأنشأت إسرائيل ميناء إيلات، وبذلك استطاع اليهود الاستيلاء على كل فلسطين ما عدا قطاع غزة ومنطقة غرب الأردن والقدس القديمة، وفى نفس الوقت كان نحو مليون من أهالى فلسطين قد فروا من وطنهم وتركوه لليهود ضعفًا .

■ العدوان الثلاثى ١٩٥٦م :

الأسباب:

- كانت إسرائيل مطمئنة إلى بعض الدول العربية ، إما لأنها بعيدة عن حدودها أو لوقوعها تحت نفوذ الدول الموالية لإسرائيل، أو لعدم قدرتها عسكريًا على التصدى لها، ولكنها كانت تعتقد أن مصر بعد قيام ثورة ١٩٥٢م هى العقبة الحقيقية فى طريق أطماعها.

- انتهزت الفرصة عندما تلاقت مقاصد الاستعمار الغربى مع مقاصدها بمناسبة تأميم حكومة الثورة لشركة قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦م ، واتفقت على مؤامرة مع كل من انجلترا وفرنسا ، وبدأت القوات الإسرائيلية تهاجم الحدود المصرية فى (أكتوبر ١٩٥٦م) وأنذرت الدولتان الاستعماريتان كلا من مصر وإسرائيل بوقف القتال على أن تقف قوات كل منهما على بعد أميال قليلة من جانبى قناة السويس.

- رفضت مصر الإنذار فهاجمت القوات الاستعمارية الانجليزية والفرنسية منطقة القناة لتطويق الجيش المصرى فى سيناء، ولكن القيادة المصرية فوتت عليهم هذا الغرض فارتدت وأخلت سيناء حيث تقدم الجيش الإسرائيلى واحتلها.

معركة بورسعيد ١٩٥٦م).

أسباب فشل العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦م :

- اشترك الفدائيون من رجال الجيش مع الشعب فى قتال القوات الاستعمارية فى بورسعيد.
- تدخلت الأمم المتحدة ونددت بالعدوان على مصر وطالبت المعتدين بالانسحاب.
- وضغطت الولايات المتحدة على كل من انجلترا وفرنسا.
- هدد الاتحاد السوفيتى الدول المعتدية.
- قيام ثورة العمال المتعطلين فى انجلترا وفرنسا ضد حكومتهما بسبب ما تعرضوا له من البطالة.

نتائج العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦م :

- فشل الاعتداء واضطرت الدول المعتدية إلى سحب قواتها بعد أن وافقت مصر على قرار الأمم المتحدة بوجود قوة طوارىء دولية على الحدود الفاصلة بين مصر وإسرائيل، وفى منطقة شرم الشيخ المطلة على خليج العقبة، وتمكنت إسرائيل من الملاحة فى خليج العقبة.

العدوان الإسرائيلى (٥ يونيو سنة ١٩٦٧م) :

الأسباب : لثالث مرة تلتقى أغراض الصهيونية مع مقاصد الاستعمار

- فللصهيونية مخططاتها التوسعية التى تعبر عنها بعبارة من «النيل إلى الفرات» مع برنامج زمنى محسـوب - وكانت للدول الاسـتعمارية خصوصًـا الولايات المتحدة فى ذلك الوقت أغراضها فى القضاء على الحركة الشيوعية فى المناطق الاستراتيجية من العالم فى ذلك الوقت المنطقة العربية.
- تطويق الاتحاد السوفيتى من الجنوب - ضمان احتكار ثروات المنطقة خصوصاً البترول وانتهزت إسرائيل الفرصة، وعملت على استدراج الدول العربية إلى حرب غير مستعدة لها.

هبت مصر لتنفيذ التزاماتها بمقتضى اتفاقيات الضمان الجماعى والدفاع المشترك وأعلنت أنها إزاء التهديد الإسرائيلى المسلح تقف إلى جانب سوريا ضد أى عدوان عليها،

وأغلقت خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية، وذلك إحكامًا للحصار الاقتصادى الذى يفرضه العرب على إسرائيل.

النتائج :

● على الجبهة المصرية :

وجهت إسرائيل أقوى ضرباتها إلى مصر فقامت قواتها الجوية فى صباح اليوم الخامس من يونيو ١٩٦٧م بغارات مفاجئة على المطارات المصرية، وأنزلت ضربة ساحقة بالسلاح الجوى المصري، كما أغارت قواتها الجوية والبرية على سيناء واستولت على قطاع غزة، وواصلت زحفها حتى وصلت إلى الضفة الشرقية لقناة السويس بعد أن خسرت مصر الجانب الأكبر من قواتها المسلحة فى سيناء.

● على الجبهة السورية :

فقد اندفعت القوات الإسرائيلية واستولت على هضبة الجولان المنيعة، وفى الوقت نفسه استولت القوات الإسرائيلية على مدينة القدس العربية وعلى الضفة الغربية لنهر

الأردن، وبذلك لم تكتف إسرائيل بالاستيلاء على فلسطين كلها، بل استولت على مناطق من الأراضى المصرية والسورية والأردنية.

● وقد أدركت البلاد العربية أن الخطر الإسرائيلى أصبح يهددها جميعًا إن لم تدعم دول المواجهة فعقدت مؤتمر قمة فى الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧م) وقرر هذا المؤتمر ضرورة تكاتف العرب لصد العدوان الإسرائيلى خاصة من حيث تقديم الدول العربية الغنية الدعم المالى لدول المواجهة (مصر وسوريا والأردن).

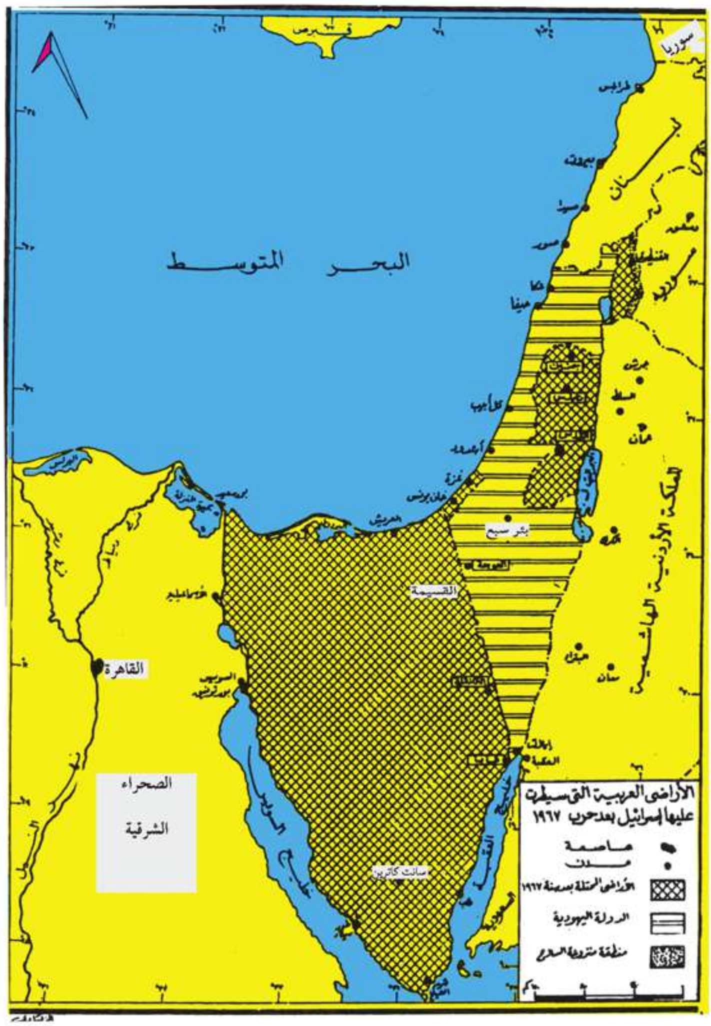

خريطة (١٦) الأراضى العربية التى سيطرت عليها إسرائيل بعد حرب ١٩٦٧م).

● قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢:

وسعى مجلس الأمن للتدخل وإيجاد حل للمشكلة، وبعد مداولات طويلة أصدر قراره الشهير رقم ٢٤٢ فى نوفمبر سنة ١٩٦٧م الذى يقضى بانسحاب إسرائيل من أراض عربية وليس من الأراضي العربية، التى احتلتها فى حرب ١٩٦٧م، - وأن تنهى كل الدول حالة الحرب، وتحترم الاستقلال والسيادة الاقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة وحقها فى العيش بسلام فى نطاق حدود مأمونة ومعترف بها.

كما نص القرار أيضًا على ضمان حرية الملاحة فى الممرات الدولية وتسوية مشكلة اللاجئين. وإنشاء مناطق منزوعة السلاح وطلب القرار من السكرتير العام للأمم

معلومة إثرائية

لم تكن إسرائيل وحدها فى المعركة ولكن كان معها مئات المتطوعين والطيارين والقواد العسكريين، وكان معها أجهزة تجسس علمية أمريكية من أحدث طراز صورت لها المواقع المصرية، وأبطلت لصالحها عمل أجهزة الدفاع المصرية، ونقلت إليها تعليمات القيادة المصرية.

المتحدة تعيين ممثل خاص لإجراء الاتصالات مع الدول المعنية للوصول إلى تسوية سلمية.

ورغم موافقة مصر على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ إلا أن إسرائيل عملت على فشل جميع الجهود الدولية لتحقيق الانسحاب من الأراضى المحتلة،

بل إنها تمادت فى إقامة المستوطنات اليهودية فى الأراضى العربية المحتلة وحاولت تهويد الضفة الغربية للأردن، وعلى هذا بدأت مصر حرب الاستنزاف للقوات الإسرائيلية إلى أن قامت حرب أكتوبر ١٩٧٣م (العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ).

تحركات مصر فى الفترة التى أعقبت حرب ١٩٦٧م :

تحركت مصر فى الفترة التى أعقبت هزيمة ١٩٦٧م فى اتجاهين متكاملين وهما :

١- تكثيف الجهود الدبلوماسية على الصعيد الدولى لإقناع دول العالم بحق العرب فى تحرير أراضيهم المغتصبة وحق الشعب الفلسطينى فى حل مشكلته وتقرير مصيره.

٢- إعداد الدولة للحرب، وقد تحقق ذلك بالأمور الآتية :

(أ) دعم القوات المسلحة بكل ما تحتاجه من أموال وأسلحة حديثة وقوى بشرية.

(ب) عمل الرئيس أنور السادات (الذى تولى الرئاسة بعد وفاة الرئيس جمال عبدالناصر فى سبتمبر سنة ١٩٧٠م) على توحيد الجبهة الداخلية وإقرار الدستور الدائم للدولة سنة ١٩٧١م.

(ج) عملت مصر على تنقية الأجواء العربية من عدم الثقة وتصفية الخلافات وتوحيد الصف تمهيدًا لاستخدام جميع إمكانات العرب ومواردهم من أجل معركة المصير، عملت مصر على تنسيق خطة عسكرية مشتركة بينها وبين سوريا.

حرب الإستنزاف (*)

منذ آلاف السنين ومنذ أن قامت على ضفاف النيل أقدم حضارة فى التاريخ ، وشبه جزيرة سيناء جزءًا من أرض مصر لم تنفصل عن وطنها الأم أبدًا. وفى حرب يونيو سنة ١٩٦٧م وبسبب حدوث بعض الأخطاء العسكرية فى الداخل وتدبير بعض المؤامرات ضد مصر فى الخارج ، وقعت أرض سيناء الطاهرة تحت الاحتلال الإسرائيلي.

وعلى الرغم من ذلك لم تؤد هزيمة حرب يونيو ١٩٦٧م إلى فقد مصر عزيمتها وتصميمها لاستعادة أرضها السليبة التى اغتصبها العدوان الإسرائيلى لذا وضعت القيادة السياسية عدة أهداف لتجاوز النكسة تتمثل فى :-

(*) هى حرب متقطعة، تهدف إلى إنهاك العدو واستنزاف موارده.

(إعادة بناء القوات المسلحة، إعادة الثقة للجنود فى أنفسهم وفى قادتهم، إعادة تدريب القوات وتنظيم الوحدات)، ثم بدأت مرحلة الصمود وحرب الاستنزاف، وهو التعبير الذى أطلقه الرئيس المصرى الراحل جمال عبدالناصر على العمليات العسكرية التى دارت بين القوات المصرية والعدو الإسرائيلى شرق قناة السويس والتى نقلت مصر خلالها المعركة إلى مواقع العدو والتى ألحقت أفدح الخسائر للتحصينات الإسرائيلية وبالأسلحة والأفراد - وقد استمرت تلك الحرب ثلاث سنوات.

معلومة إثرائية

ويؤكد الخبراء العسكريون أن حرب الاستنزاف هى التى مهدت الطريق لنصر أكتوبر، كما أمضت القيادة المصرية الفترة ما بين حرب يونيو ١٩٦٧م وحرب أكتوبر ١٩٧٣م فى عمل متواصل وجهد مثمر فى إعادة بناء القوات المسلحة على أسس علمية، وبناء حائط الصواريخ.

وكان من أشهر شهداء حرب الاستنزاف **الشهيد الفريق عبد المنعم رياض**

الفريق عبد المنعم رياض

حرب أكتوبر ١٩٧٣م

- بعد أن فشلت كل الجهود السياسية للتوصل إلى حل سلمى عن طريق الأمم المتحدة، نظرا لتعنت إسرائيل واصرارها على الاحتفاظ بجميع الأراضى العربية التى احتلتها فى يونيو ١٩٦٧م

- قررت مصر الدخول فى حرب مصرية لتحرير الأرض العربية المغتصبة بعقول وأفكار وخبرات أبنائها وحدهم - وتم ذلك فى تنظيم محكم مع القوات السورية تحت إشراف القيادة الموحدة والتى تولى القيادة العامة لها **المشير أحمد إسماعيل على**، حيث تم التخطيط والتنسيق على الجبهتين المصرية والسورية بدقة ومهارة تامتين وبلغت خطة الخداع - لصرف أنظار إسرائيل عن التحضيرات الهجومية على الجبهتين من الخارج - إلى الحد الذى جعل إسرائيل تفاجأ بالهجوم المصرى السورى مفاجأة تامة - مما جعل الكثيرين من الخبراء يطلقون على ما حدث بأنه زلزال فى إسرائيل.

المشير أحمد إسماعيل

كان وزير الحربية وقائد القوات المسلحة إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣م ومدير المخابرات العامة ١٩٧١م وقد حصل على وسام نجمة سيناء - أعلى الأوسمة العسكرية.

الرئيس محمد أنور السادات

- وبتكليف من الرئيس الراحل أنور السادات، تولى **الفريق سعد الدين الشاذلي** رئاسة أركان حرب القوات المسلحة، بسبب حرفيته العالية وقد قام بوضع خطته التى أسماها (المآذن العالية) لعبور قناة السويس، وتحطيم خط بارليف، وقام بتنفيذها فى حرب ١٩٧٣م.

الفريق سعد الدين الشاذلي

يوصف بأنه الرأس المدبر للهجوم المصرى الناجح على خط الدفاع الإسرائيلى (خط بارليف) وقد تم تكريمه فى الذكرى التاسعة والثلاثون لنصر أكتوبر (عام ٢٠١٢م) بمنح اسمه قلادة النيل العظمي.

وقد قامت هيئة عمليات القوات المسلحة برئاسة **المشير محمد عبد الغنى الجمسى** بإعداد دراسة عن أنسب التوقيتات للقيام بالعملية الهجومية حتى توضع أمام الرئيس المصرى السادات والرئيس السورى حافظ الأسد لاختيار التوقيت المناسب للطرفين، وقد قامت على دراسة الموقف العسكرى للعدو وللقوات المصرية والسورية وسميت تلك الدراسة (بكشكول الجمسى)

المشير عبد الغنى الجمسى

شغل منصب رئيسا لهيئة عمليات القوات المسلحة فى يناير ١٩٧٢م وكان وقتها برتبة لواء، ثم رئيسا لأركان القوات المسلحة ١٩٧٣م.

مراحل عمليات حرب أكتوبر ١٩٧٣م:

بدأت عمليات حرب أكتوبر فى الساعة الثانية تمامًا يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م فى توقيت واحد على الجبهتين المصرية والسورية وتم التنفيذ على أربع مراحل رئيسة كما يلي:

- المرحلة الأولي: تحقيق المهمة الأساسية للقوات المسلحة

وتنقسم هذه المرحلة إلى خمس مراحل فرعية:

١- الضربة الجوية الشاملة:

فى الساعة الثانية تمامًا قامت الطائرات المصرية بعبور قناة السويس فى اتجاه الشرق لضرب أهداف العدو فى عمق سيناء التى شملت مركز قيادة العدو والمطارات والقواعد الجوية الرئيسة ومواقع الصواريخ المضادة للطائرات ومدفعيات العدو بعيدة المدى وبعض مناطق الشئون الإدارية وحصن بودابست (من حصون خط بارليف) الذى يقع شرق مدينة بور فؤاد.

الرئيس أنور السادات وسط قادة حرب أكتوبر ١٩٧٣م

وقد نجحت الضربة الجوية بقيادة قائد القوات الجوية آنذاك محمد حسنى مبارك وترتب على ذلك تدمير مركز القيادة الرئيسى لقوات العدو وشل إمكاناته.

٢- التمهيد النيرانى :

فى الساعة الثانية وخمس دقائق بدأت واحدة من أكبر عمليات التمهيد النيرانى فى التاريخ على طول خط المواجهة مع العدو وحققت أكبر قدر من الخسائر فى الأهداف الإسرائيلية وإجبار قوات العدو على الاحتماء بالملاجئ مما سهل عملية عبور قوات الاقتحام المصرية للقناة وحصار حصون خط بارليف.

٣- اقتحام قناة السويس :

أ) مع بدء التمهيد النيرانى بدأت مجموعات اقتناص الدبابات عبور قناة السويس بواسطة قوارب مطاطية بمهمة تدمير دبابات العدو ومنعها من التدخل فى عمليات عبور القوات الرئيسة.

ب) بدأ عبور الموجات الأولى فى القوارب الخشبية والمطاطية مدعمة بأسلحة خفيفة مضادة للدبابات وصواريخ الكتف المضادة للطائرات كما زودت بسلالم من الحبال ليتسنى للأفراد تسلق الساتر الرملى.

ج) قامت طلائع القوات التى عبرت القناة برفع الأعلام المصرية على الشاطئ الشرقى للقناة مرددين (الله أكبر) معلنة بذلك بدء المعركة المقدسة معركة تحرير سيناء العزيزة.

د) تقدمت وحدات المهندسين العسكريين بعمل (٦٠) فتحة فى الساتر الرملى باستخدام الطلمبات التى تقوم بجذب المياه من القناة، وفى الوقت نفسه قامت وحدات الكبارى فى عمليات تركيبها وبدأت الكبارى تقام أمام الثغرات التى فتحت فى الساتر الرملى واندفعت إثر ذلك الدبابات والعربات المجنزرة والمعدات الثقيلة حيث عبرت على الكبارى إلى الشاطئ الشرقى للقناة.

هـ) بدأت قوات العدو تفيق من الصدمة وظهرت طائراته فى سماء المعركة لتحاول بشتى الوسائل

منع قواتنا من العبور وتركزت هجماتها على الكبارى والمعديات على إمتداد القناة وسرعان ما تصدت لها قوات الدفاع الجوى وبدأت طائرات العدو تتهاوى واحدة وراء الأخرى طوال يومى السادس والسابع من أكتوبر إلى الحد الذى جعل قائد الطيران الإسرائيلى يصدر أوامره مساء يوم ٦ أكتوبر بعدم اقتراب الطائرات الإسرائيلية من القناة لمسافة أقل من ١٥كم لتجنب الوقوع فى كمائن الصواريخ المصرية.

- هكذا وبحلول الساعة الثامنة من صباح يوم الأحد ٧ من أكتوبر أى فى خلال فترة زمنية لا تزيد عن ١٨ ساعة كانت القوات المصرية، حققت انتصارًا حاسمًا فى معركة التحرير فقد تمكنت من عبور أصعب مانع مائى فى العالم، اقتحام حصون خط بارليف المنيعة.
- نجحت القوات المصرية فى تثبيت أقدامها على الضفة الشرقية للقناة وتم تدمير القوات الإسرائيلية التى كانت مجهزة لصد الهجوم المصرى وفى الوقت الذى تقدمت فيه قواتنا شرقًا إلى مسافة ٣-٤ كم من القناة.
- نجحت طائرات الهليكوبتر المصرية فى إنزال مجموعات من رجال الصاعقة فى عمق سيناء لمهاجمة قوات العدو فى العمق.
- تعطيل تدخل الاحتياطات الإسرائيلية المدرعة فى المعركة.

٤- صد الهجمات الإسرائيلية المضادة:

اعتبارًا من صباح يوم ٧ أكتوبر بدأت إسرائيل تفيق من صدمة المفاجأة التى لحقت بها فشنت القوات الجوية الإسرائيلية هجمات مكثفة على قواعد الصواريخ المصرية ومواقع الدفاع الجوى ومناطق إنشاء الكبارى والمعابر على قناة السويس ولكنها تكبدت خسائر فادحة فى الطائرات، وعشرات من الجنود الإسرائيليين فى الأسر.

- بدأت هجومًا مضادًا صباح الإثنين ٨ أكتوبر على منطقة رؤوس الكبارى المصرية شرق القناة شمال الإسماعيلية، ولكن القوات المصرية قامت بعمل جيب من النيران اندفعت إليه قوات العدو فى هجومها الكاسح وما هى إلا ساعات قلائل حتى تم صد الهجوم الإسرائيلى وتكبيده خسائر فادحة على رأسهم العقيد (عساف ياجوري) قائد إحدى كتائب الدبابات.

٥- استكمال تحقيق المهمة الأساسية للقوات المسلحة:

فى الوقت الذى لحق فيه الفشل بالخطط الإسرائيلية وتوالت فيه الضربات الموجعة على قواتها المدرعة فى سيناء كان يوم الاثنين ٨ أكتوبر يومًا ناجحًا بالنسبة للقوات المصرية على جميع المستويات فعلى إثر صد الهجمات الإسرائيلية المضادة على رؤوس كبارى الفرق المصرية

صدرت أوامر القيادة المصرية للقوات المسلحة بتطوير الهجوم شرقًا بالتنسيق مع بعضها البعض للاستيلاء على الخط العام بعمق ٨-١٠كم شرق القناة المحدد لها كمهمة تالية وفقًا للخطة الموضوعة مع تدمير وتصفية جميع النقط القوية للعدو فى قطاع هذه الفرق.

وقد تمكنت القوات فى هذا اليوم مما يلى: -

- استكمال تحرير مدينة القنطرة شرق ورفع الأعلام المصرية على أبنيتها بعد تطهيرها من قوات العدو.

- اضطرت (جولدا مائير) رئيسة وزراء إسرائيل إلى طلب النجدة من الولايات المتحدة كى تتدخل لإنقاذ إسرائيل مما دعا الولايات المتحدة إلى إنشاء الجسر الجوى الأمريكى الذى يعد أكبر جسر جوى عرفه التاريخ.

- حاولت إسرائيل خلال الفترة التى أعقبت فشل الهجوم المضاد يوم ٨ أكتوبر عدة مرات اختراق الدفاعات المصرية ولكن جميع محاولاتها باءت بالفشل.

- فقدت إسرائيل جميع حصون خط بارليف فيما عدا حصن (بودابست) الواقع شرق مدينة بور فؤاد.

- سقطت فى أيدى القوات المصرية العديد من المواقع الحصينة فى عمق سيناء.

- نجحت القوات المصرية خلال تلك المعارك فى الوصول إلى عمق ١٢-١٥كم شرق القناة وتوحيد رأس كوبرى كل من الجيشين الثانى والثالث وبذلك تحققت المهمة الأساسية للقوات المسلحة المصرية.

- شهدت تلك الفترة نشاط جوى إسرائيلى مكثف ضد القوات المصرية على امتداد الجبهة مع التركيز على مدينة بورسعيد ولكن وسائل الدفاع الجوى والقوات الجوية المصرية تصدت بنجاح لهجمات الطيران الإسرائيلي.

المرحلة الثانية: تطوير الهجوم شرقًا يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣م :

كانت سوريا قد حققت نجاحًا كبيرًا ضد إسرائيل وأوشكت على الوصول إلى تحرير معظم هضبة الجولان المحتلة، ولذا فقد ركزت إسرائيل جهودها ضد سوريا وقامت بقصف جوى مركز ضد القوات السورية وفى العاصمة دمشق... ولما بدأ الموقف فى هضبة الجولان ينذر بالخطر سارعت مصر بتطوير الهجوم فى سيناء حتى تجذب القوات الإسرائيلية فى إتجاه مصر تخفيفًا للضغط على سوريا... ولقد بدأ الهجوم المصرى صباح يوم ١٤ أكتوبر وذلك بتوجيه هجمة جوية ضد أهداف العدو فى عمق سيناء أعقبها قصف مركز بالمدفعية ضد المواقع الإسرائيلية

فى الجبهة وفى نفس هذا اليوم دارت أشرس المعارك الجوية بين طائرات العدو وقواتنا الجوية فوق سماء الدلتا حيث دفع العدو ٧٠-٨٠ طائرة لتهاجم المطارات المصرية فتصدت لها الطائرات المصرية واشتبكت معها فى قتال شرس أسفر عن سقوط خمس عشرة طائرة إسرائيلية من طراز فانتوم مقابل تسع طائرات ميج مصرية... ويعد هذا اليوم من أمجد أيام تاريخ قواتنا الجوية.

المرحلة الثالثة: صد الهجوم الإسرائيلى المضاد شرق القناة (١٥-١٧ أكتوبر):

حشدت إسرائيل فى اتجاه الجبهة المصرية قوات مدرعة ضخمة تدعمها قوات المشاة والقوات الجوية والمدفعية ومختلف الأسلحة... وهاجمت اعتبارًا من صباح يوم ١٥ أكتوبر منتصف الجبهة واستطاعت قواتنا أن تحبط الهجوم وتحدث فى صفوف القوات الاسرائيلية خسائر فادحة... واستمر العدو فى دفع قواته على موجات متتالية فى ذلك القطاع حتى تمكن من إحداث ثغرة فى الدفاعات المصرية عند منطقة الدفرسوار جنوب الإسماعيلية وذلك بعد كشف أجهزة التجسس الأمريكية عن وجود مسافة خالية من القوات بين الجيشين الثانى والثالث المصرى ثم قام بدفع قوة صغيرة من قواته غرب القناة مستغلاً خلو المنطقة من القوات بعد أن تحركت الوحدات المصرية التى كانت تحتل المنطقة إلى الشرق لتشارك فى عملية التطوير.

المرحلة الرابعة: التصدى لقوات العدو غرب القناة (١٨-٢٤ أكتوبر):

بعد أن فشلت جميع محاولات إسرائيل لإختراق رؤوس الكبارى التى أنشأتها القوات المصرية على امتداد الجبهة ولمسافة تصل إلى ١٥كم شرق القناة أخذت تركز جهودها لإحداث اختراق فى دفاعات القوات المصرية تقوم من خلاله بدفع قواتها إلى غرب القناة وقد تمكنت من إحداث هذا الاختراق بالفعل، ثم قامت بدفع قوات كبيرة من تلك الثغرة إلى غرب القناة وأخذت تهاجم مواقع الدفاع الجوى حتى تتيح الفرصة لقواتها الجوية لتعمل بحرية تامة دون تدخل من دفاعنا الجوي، وحاولت القوات الإسرائيلية أن تستولى على هدف إستراتيجى غرب القناة فى أسرع وقت لتيقنها أن مجلس الأمن على وشك إصدار قرار بوقف إطلاق النار... وتقدمت قواتها شمالاً فى محاولة للاستيلاء على مدينة الإسماعيلية ولكنها تكبدت خسائر جسيمة واضطرت لوقف الهجوم والتحول بجهودها الرئيسة نحو الجنوب...

- فى ٢٢ أكتوبر أصدر مجلس الأمن قرارًا بوقف إطلاق النار وأعلنت كل من مصر وإسرائيل قبول القرار واحترمت مصر القرار... ولكن إسرائيل سرعان ما أدركت ورطتها فى دفع قوات

كبيرة غرب القناة دون أن تستولى على هدف رئيسى بل إنها أصبحت محاصرة بالقوات المصرية من جميع الجهات وأصبحت مهددة تهديدًا خطيرًا...

- سارعت بخرق وقف إطلاق النار وقامت بمحاولة أخيرة لحفظ ماء الوجه فدفعت بقواتها جنوبًا فى محاولة للاستيلاء على مدينة السويس يوم ٢٤ أكتوبر ولكن المقاومة الباسلة للقوات المصرية والمقاومة الشعبية داخل السويس أفشلت الهجوم...

- عاود العدو المحاولة مرة أخرى وتمكن من الوصول إلى بعض المناطق فى قلب المدينة ولكن سرعان ما تصدت لها القوات المدافعة ودمرت الدبابات والعربات المدرعة مما أجبر العدو إلى الانسحاب ونشر قواته حول السويس.

- رغم صدور قرارين من مجلس الأمن يومى ٢٣، ٢٥ أكتوبر تطالب كل من مصر وإسرائيل باحترام وقف إطلاق النار وتظاهرت إسرائيل بقبولهما إلا أنها ظلت كعادتها تمارس انتهاكاتها الصارخة للقرارات الدولية فحاولت مهاجمة السويس مرة أخرى يوم ٢٨ أكتوبر ولكن الهجوم تحطم على صخرة الدفاع للقوات المصرية حتى تيقنت إسرائيل من استحالة تحقيق أهدافها وتوقفت عن الهجوم.

- وهكذا توقف القتال الدامى الذى استمر ٢٣ يومًا استطاعت فيه القوات المصرية أن تقتحم قناة السويس وتصنع معجزة عسكرية بكل المقاييس... ونجحت فى تدمير خط بارليف وتدمير المئات من الدبابات والعربات المدرعة الإسرائيلية والاستيلاء على الضفة الشرقية للقناة بعمق ١٥كم وقوة ٥ فرق مشاة كاملة تدعمها فرقتان مدرعتان وآلاف من المدافع والصواريخ وتحميها شبكة متكاملة للدفاع الجوي... بينما كانت القوات الإسرائيلية تعانى موقفًا هشا لتواجد قوات كبيرة من جيشها على شريحة ضيقة من الأرض غرب القناة تحيط بها قوات ضخمة من الجيش المصرى على استعداد لتدميرها والقضاء عليها لولا صدور قرار وقف إطلاق النار وتدخل الأمم المتحدة والمجتمع الدولى لتبدأ معركة السلام منذ ذلك الحين لاحظ خريطة (٣١).

الدروس المستفادة من حرب أكتوبر ونتائجها :

١- لقد كانت حرب أكتوبر حدثًا فريدًا بلا شك بل نقطة تحول فى مسار الصراع العربي الإسرائيلى، قد تعرضت إسرائيل لمفاجأة استراتيجية كاملة افقدت الإسرائيليين ثقتهم فى جيشهم وفى جهاز مخابراتهم، الذى كان يدعى أنه أقدر جهاز مخابرات فى العالم خبرة بشئون الشرق الأوسط كما تعرضت القوات الإسرائيلية على جبهتى سيناء والجولان لمفاجأة

تكتيكية أفقدت أفرادها توازنهم وأجبرتهم على الانسحاب من مواقعهم الأمامية، وكان الأمر الذى أدهش العالم هو نجاح مصر وسوريا فى تحقيق المفاجأة على المستويين الاستراتيجى والتكتيكي، رغم التطور الهائل فى وسائل الاستطلاع الحديثة وقدرتهما على خداع جهازى المخابرات الإسرائيلية والمخابرات الأمريكية فى وقت واحد.

٢- تمكنت القوات المصرية من تقويض أسس العقيدة القتالية للقوات الإسرائيلية خلال حرب أكتوبر، ففقدت بالتالى مميزاتها الرئيسة وأهمها خفة الحركة والقدرة على المناورة وتحقيق السيادة الجوية على ميدان المعركة.

٣- ثبت أن الموانع الدفاعية الطبيعية والصناعية والدفاعات الحصينة لا يمكنها أن تقف حائلاً أمام الجيوش الحديثة بما لديها من تجهيزات وأسلحة ومعدات وبخاصة إذا كان لديها العزيمة والإرادة والتصميم على القتال.

٤- قلبت حرب أكتوبر موازين القوة فى الشرق الأوسط رأسًا على عقب، فقد كانت إسرائيل تركز بعد حرب يونيو ١٩٦٧م على نغمة التفوق النوعى للفرد الإسرائيلى ومقدرته على استخدام التكنولوجيا الحديثة مما يقلل إلى حد كبير من ميزة التفوق العددى العربي.

٥- ظهور كفاءة المقاتل العربى ومدى ارتفاع مستواه وقدرته على استيعاب واستخدام الأسلحة الحديثة والمعقدة بما فيها الأسلحة الالكترونية، لقد أثبت كل من المخطط والقائد والمقاتل العربى كفاءته وقدراته الحقيقية فى ميدان القتال.

٦- أثبت الدفاع الجوى المصرى فعاليته فى الحد من التفوق الجوى الإسرائيلى على أرض المعركة، فقد أجبرت النتائج التى أحرزتها قوات الدفاع الجوى المصرية الدوائر العسكرية الغربية على إعادة النظر فى أنظمة دفاعها الجوى فيما يختص بالتوازن بين الطائرات المقاتلة والصواريخ المضادة للطائرات، فقد أثبتت أهمية الصواريخ المضادة للطائرات.

٧- تحقيق مبدأ الحشد وهو أهم مبادئ الحرب الذى أدى إلى نجاح الضربة الجوية المركزة التى أفقدت العدو توازنه منذ اللحظات الأولى من القتال.

وأخيرًا ثبت أنه يلزم الدول النامية التى لا تمتلك قاعدة صناعية حربية أن يكون لديها مخزون كاف من

معلومة إثرائية

قامت بعض الدول بتقديم الدعم لكل من مصر وسوريا مثل : فقدمتت السعودية مائتى مليون دولار لسوريا وقدمت الإمارات مائة مليون دولار لمصر وخمسين مليون دولار لسوريا، وأسهمت قطر بخمسة عشر مليون دولار لمصر وبمعونات عينية من الأدوية والقمح ووضع الرئيس الجزائرى «بومدين» خلال زيارته للإتحاد السوفيتى مائتى مليون دولار تحت تصرف كل من مصر وسوريا لدى الحكومة السوفيتية لتدبير ما قد تحتاجه الدولتان من تسليح.

السلاح لمواصلة المعركة حتى لا تستطيع الدول الكبرى التحكم فى قرار مواصلة القتال.

٨- إنهاء حالة اللا سلم واللا حرب (النتائج الاستراتيجية للحرب) بهدف التوصل لإقرار السلام فى منطقة الشرق الأوسط.

٩- أظهرت الحرب بجلاء مدى أهمية التضامن العربى فى مواجهة الخطر الإسرائيلي، فقد اتخذت الدول العربية جميعًا خطوات عملية لتدعيم مصر وسوريا، فقامت تسع دول منها بتقديم الدعم العسكرى لهما بنسب متفاوتة وهى (العراق والجزائر وليبيا والأردن والمغرب والسعودية والسودان والكويت وتونس) كما قررت دول الخليج والمملكة العربية السعودية تقديم الدعم المالى لهما،.

١٠- وعلى المستوى الإقتصادى اتخذت الدول العربية المنتجة للبترول قرار بتخفيض إنتاجها من البترول ثم أعلنت تطبيق الحظر الكامل على صادراتها إلى الولايات المتحدة، وبذلك تأكد دور البترول كسلاح فعال لتحقيق الأهداف السياسية العربية فقد ارتبط أمام العالم بإعادة إسرائيل إلى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧م، وقد أثر الحظر البترولى تأثيراً فعالاً على دول أوربا الغربية واليابان، مما جعلها تضغط بقوة على الولايات المتحدة للاستجابة إلى الحق العربى.

على المستوى السياسى كانت صدمة كبيرة للولايات المتحدة عندما طلبت من دول حلف الأطلنطي أن تقدم إلى طائراتها تسهيلات الهبوط والتزود بالوقود فى مطاراتها وقواعدها الجوية وتمكينها من إقامة الجسر الجوى الطويل لنقل الإمدادات والأسلحة والذخائر من القواعد الجوية الأمريكية إلى إسرائيل، فاعتذرت بعض هذه الدول من عدم إمكاناتها تقديم هذه التسهيلات، ورفضت بعض الدول الأخرى رفضًا باتًا صريحًا حرصًا على عدم إثارة العرب ضدها، وخشية رفض إمدادها بالبترول من جهة ولإيمان معظمها بعدالة قضية العرب من جهة أخرى.

على المستوى الإفريقى قامت اثنتان وعشرون دولة بقطع علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل، فضلاً عن ثمانى دول أخرى كان قد سبق لها قطع علاقاتها معها فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧م وكانت هذه الخطوة بمثابة نجاح كبير للسياسة المصرية إزاء القارة الإفريقية، وكانت تمثل فى الواقع إضافة جديدة لتحقيق عزلة إسرائيل سياسيًا ودعمًا ولا شك فيه للسياسة العربية.

تغيير السياسة المصرية والإتجاه إلى الحل السلمى :

بدأ تفكير الرئيس محمد أنور السادات فى اتخاذ مبادرة حضارية من أجل حل الصراع العربى الإسرائيلى حلاً جذريًا من أجل السلام الدائم العادل فخطا الخطوات التالية.

(أ) مبادرته بالذهاب إلى إسرائيل فى نوفمبر سنة ١٩٧٧م حيث دعا إلى إقامة السلام الدائم والعادل فى منطقة الشرق الأوسط، وتجنب الأجيال القادمة ويلات الحروب.

(ب) الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني.

مؤتمر القمة فى كامب ديفيد (سبتمبر ١٩٧٨م) :

دعا الرئيس جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية كلا من الرئيس أنور السادات ومناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل إلى عقد اجتماع فى كامب ديفيد بالولايات المتحدة انتهى بوضع إطار للسلام يقوم على الأسس التالية :

١- الانسحاب الكامل من سيناء.

٢- تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل.

٣- تحقيق الحقوق الشرعية للفلسطينيين عن طريق اشتراك الأردن وممثلى الفلسطينيين فى تحديد مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة، على أن يسبق ذلك إنهاء الحكم العسكرى الإسرائيلى وإقامة الحكم الذاتى الكامل.

معاهدة السلام فى مارس ١٩٧٩م بين مصر وإسرائيل بمشاركة من الولايات المتحدة الأمريكية وأهم نصوصها :

١- إنهاء حالة الحرب والامتناع عن التهديد بالحرب وحل المشكلة بالوسائل السلمية.

٢- الانسحاب الإسرائيلى التام من شبه جزيرة سيناء.

٣- الاعتراف بسيادة كل طرف من أطراف النزاع على أرضه.

٤- إقامة علاقات طبيعية سياسية واقتصادية وثقافية بين البلدين.

٥- إقامة مناطق محدودة السلاح على جانبى الحدود بعمق أكثر فى سيناء.

٦- بدء مفاوضات الحكم الذاتى للضفة الغربية وقطاع غزة بعد شهر من

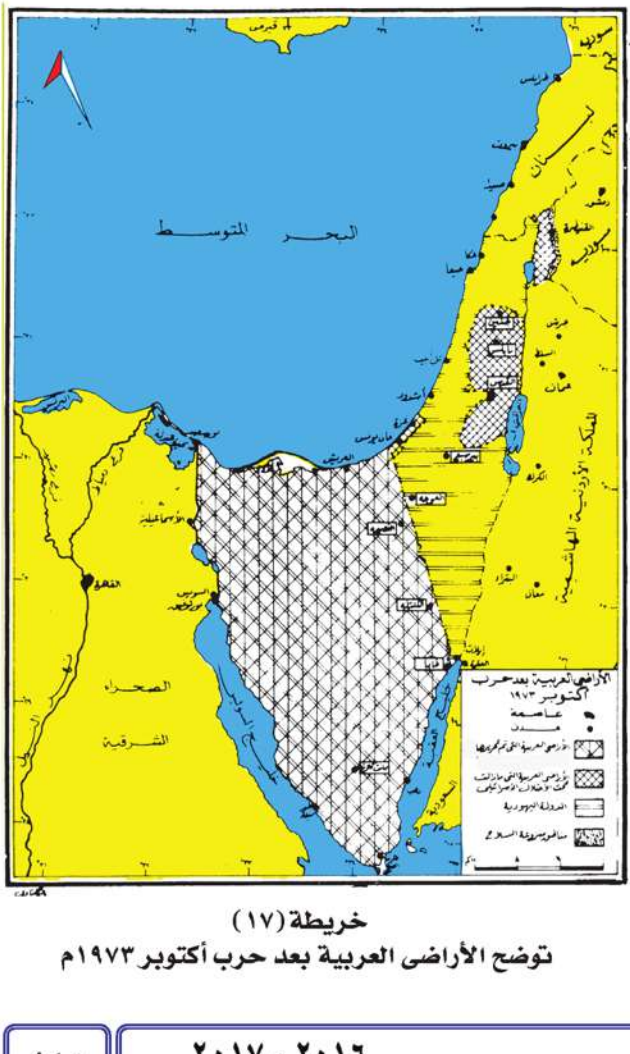

خريطة (١٧)
توضح الأراضى العربية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م

التصديق على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية.

٧- الأساس الذى قامت عليه كل من اتفاقية كامب ديفيد سنة ١٩٧٨م ومعاهدة السلام ١٩٧٩م هو القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن ١٩٦٧م والذى يدعو إلى إنهاء حالة الحرب بين العرب وإسرائيل واحترام سيادة كل دول المنطقة وانسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى المحتلة فى حرب ١٩٦٧م.

حرص الجانبان على تنفيذ نصوص المعاهدة، كما انتهى الخلاف على بعض علامات الحدود بين مصر وإسرائيل بحكم هيئة التحكيم الدولية ١٩٨٩م بأحقية مصر فى شريط طابا وغيره من نقاط الحدود، وبذلك عادت مصر إلى حدودها السابقة.

أما فيما يتعلق بتحقيق الحقوق الشرعية للفلسطينيين طبقًا لما دار فى مؤتمر القمة فى كامب ديفيد (١٩٧٨م) فقد بدأ الحوار بين العرب وإسرائيل للوصول إلى صيغة مناسبة لهذه الحقوق، ولم يكن الأمر يسيرًا بل كان غاية فى الصعوبة حيث وقف كل من الجانبين العربى والإسرائيلى متمسكا بحقوقه ومبادئه.

وانتهى الأمر إلى حدوث ترتيبات بين الفلسطينين وإسرائيل فى مدينة أوسلو بالنرويج كما حدث حوار بين عدة أطراف عربية مع إسرائيل فى مدريد بأسبانيا. وكانت الحكومة المصرية ترعى هذه المباحثات مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وأخيرًا أعلن عن قيام سلطة وطنية فلسطينية فى قطاع غزة وأريحا لكى تعبر عن أمانى الشعب الفلسطينى فى الوطن الفلسطينى والحكومة الفلسطينية وما يزال الطريق طويلاً للتوصل إلى اتفاقات سلام دائم ونهائى فى الشرق الأوسط.

أسئلة الفصل السابع

(١) «كانت القومية العربية وما تزال أخطر القوى التى كانت تخشاها الدول الاستعمارية، ولذلك كانت سياستها موجهة من أول الأمر إلى تصفية هذه القومية».

على ضوء هذه العبارة : تحدث عن معوقات القومية العربية منذ الحرب العالمية الأولى وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

(٢) (سعت بريطانيا لمحاولة التخفيف من حدة العداء العربى واستمالة العرب وترحيبها بأى عمل فى اتجاه الوحدة العربية عن طريق إعلان أصدرته على لسان وزير خارجيتها)

على ضوء هذه العبارة أجب :

(أ) ما اسم وزير الخارجية؟

(ب) متى صدر هذا الإعلان؟

(جـ) الأهداف التى دعت بريطانيا إلى إصدار هذا الإعلان؟

(د) موقف العرب من هذا الإعلان، وكيف واجهوه؟

(٣) ما رأيك فى الأقوال التالية؟ ثم دلل على صحة ما تقول:

(أ) جاء ميثاق جامعة الدول العربية ضعيف.

(ب) الجامعة العربية عبارة عن اتحاد حكومات لا اتحاد شعوب.

(٤) «كان لمصر دور ريادى ورئيسى فى حصول كثير من الأقطار العربية على استقلالها» برهن تاريخياً على صحة هذه العبارة.

(٥) عزيزى اللورد روتشيلد : أعبر لكم عن بالغ سرورى إذ أنقل إليكم باسم حكومة صاحب الجلالة التصريح التالي: بالعطف على الأمانى اليهودية الصهيونية وهو التصريح الذى عرض على مجلس الوزراء ونال موافقته. إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين وستبذل أقصى مساعيها لتيسير تحقيق هذا الهدف....

المخلص...

على ضوء الخطاب السابق. أجب عن الأسئلة الآتية:

(أ) من الذى أصدر هذا التصريح ومتى صدر؟

(ب) ما الظروف الدولية التى دفعت بريطانيا لإصدار هذا التصريح؟

(جـ) ما دور الدول التى ساهمت فى تسهيل تنفيذ هذا التصريح؟

(د) اكتب رسالة من خمسة أسطر إلى كاتب هذا التصريح توضح فيها رأيك فى هذا التصريح؟

(٦) (يعتبر تصريح بلفور من الأمور الرئيسية التى أدت إلى قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م) على ضوء ما سبق: - حلل ذلك التصريح وكيف صدر، مدعمًا قولك بالأدلة التاريخية؟

(٧) (منذ صدور تصريح بلفور عام ١٩١٧م وبريطانيا مستمرة فى طريقها نحو تهويد فلسطين رغم المقاومة العربية).

ما دور بريطانيا فى تحقيق ذلك حتى قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨م؟

(٨) (كان للولايات المتحدة الأمريكية موقف من تصريح بلفور والقضية الفلسطينية).

وضح هذا الموقف حتى قيام دولة إسرائيل.

(٩) تتبع موقف انجلترا ودورها فى إنشاء دولة إسرائيل منذ صدور تصريح بلفور ١٩١٧م وحتى قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م؟

(١٠) "أدركت المنظمات الصهيونية أن دور انجلترا فى التمهيد لقيام دولة يهودية قد انتهى وأن الدور القيادى أصبح للولايات المتحدة الأمريكية".

على ضوء هذه العبارة: تتبع موقف الولايات المتحدة الأمريكية من قيام دولة يهودية منذ قيام الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م وحتى قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م

(١١) (قامت حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨م وانتهت بهزيمة الجيوش العربية وقيام دولة إسرائيل).

استعرض أحوال العرب إبان الحرب وأحوال اليهود، وبين أسباب انتصار اليهود وهزيمة القوات العربية؟

(١٢) ما موقف البلاد العربية من إعلان قيام دولة إسرائيل؟ وما النتائج التى ترتبت على الحروب التى خاضوها ضد إسرائيل حتى عام ١٩٧٣م؟

(١٣) (التقت مقاصد الاستعمار الغربى مع مقاصد إسرائيل بمناسبة تأميم حكومة الثورة لشركة قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦م). على ضوء هذه العبارة وضح:

(أ) ما الدول التى التقت مصالحها مع مصالح إسرائيل واشتركت فى عدوان ١٩٥٦م على مصر؟ ولماذا؟

(ب) خطة عدوان ١٩٥٦م العسكرية فى الهجوم على مصر؟ وكيف ضيعت القيادة المصرية الفرصة عليهم.

(جـ) موقف هيئة الأمم المتحدة من هذا العدوان.

(د) أسباب فشل هذا العدوان على مصر عام ١٩٥٦م.

(١٤) "التقت أغراض الصهيونية مع مقاصد الاستعمار وانتهزت إسرائيل الفرصة وعملت على استدراج الدول العربية إلى حرب غير مستعدة لها فى يونيو ١٩٦٧م".

على ضوء هذه العبارة وضح:

(أ) أهداف إسرائيل من عدوان ١٩٦٧م على البلاد العربية.

(ب) أهداف الولايات المتحدة من مساندة إسرائيل ضد العرب فى هذه الحرب.

(جـ) الخطة التى دبرتها إسرائيل لضرب مصر وسوريا.

(١٥) «أصدرت هيئة الأمم المتحدة القرار رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧م لحل مشكلة الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية فى حرب ١٩٦٧م.

على ضوء هذه العبارة وضح ما يأتي:

(أ) موقف العرب وموقف إسرائيل من هذا القرار.

(ب) أهم نصوص القرار ٢٤٢ لعام ١٩٦٧م.

(جـ) موقف العرب من إسرائيل بعد رفضها هذا القرار.

(١٦) «لم تقف مصر مكتوفة الأيدى بعد هزيمة ١٩٦٧م ورفض إسرائيل للقرار ٢٤٢ بل تحركت فى أكثر من اتجاه».

على ضوء هذه العبارة أجب:

(أ) ما الاتجاهات التى تحركت فيها مصر عقب هزيمة ١٩٦٧م؟

(ب) لماذا اتخذت مصر قرار الحرب فى أكتوبر ١٩٧٣م؟

(جـ) ما نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣م (العاشر من رمضان)؟

(١٧) (بذلت مصر جهودًا من أجل إنهاء الصراع العربى الإسرائيلى وبناء السلام).

على ضوء هذه العبارة وضح مايلي:

(أ) الخطوات التى خطتها مصر لتحقيق السلام

(ب) أهم قرارات مؤتمر كامب ديفيد ١٩٧٨م

(جـ) استعرض أهم نصوص معاهدة السلام ١٩٧٩م بين مصر واسرائيل

(١٨) ما الدروس المستفادة من حرب أكتوبر ١٩٧٣م؟

(١٩) أجب عما يلى :

(أ) ما الأسباب الحقيقية لمؤامرة ١٩٦٧م.

(ب) هل حققت حرب الاستنزاف أهدافها.

الفصل الثامن

ثورتا ٢٥ يناير ٢٠١١م و٣٠ يونيو ٢٠١٣م

يتوقع بنهاية هذا الفصل يكون الطالب قادراً على أن:

- يحدد مقدمات ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م.
- يتعرف أسباب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م وثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣م.
- يتعرف ملامح حكم محمد مرسي بعد ثورة ٢٥ يناير.

القضايا المتضمنة

- الولاء.
- الانتماء.
- المواطنة.

أ- ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م:

- مقدماتها:

خلال عام ٢٠٠٤م بدأت المعارضة السياسية في مصر تأخذ شكل تنظيمي تمثل في مجموعة حركات وتجمعات تستقطب الشباب للتخلص من الحكم القائم آنذاك ومن سيطرة الحزب الوطني على الحكم، وقد تعددت الأسباب التي أدت إلى انفجار الثورة منها:

- تزوير انتخابات مجلس الشعب التي أجريت في نوفمبر ٢٠١٠م بالكامل لصالح الحزب الوطني.
- سوء الأوضاع الاقتصادية.
- استمرار العمل بقانون الطوارئ وتجديده.

- أحداثها:

خروج الثوار إلى ميدان التحرير بالقاهرة وسائر الميادين في عواصم محافظات مصر ظهر ٢٥ يناير ٢٠١١م وهتف الثوار مطالبين بالحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية .

تسارعت الأحداث وأصر مبارك على البقاء وأصدر بيانًا حاول به استدرار العطف عليه، تصاعدت مطالب الشعب بالمطالبة بإسقاط نظامه، ونتيجة لتزاحم الأحداث وإصرار الشعب أعلن نائبه عمر سليمان في مساء ١١ فبراير ٢٠١١م تنحى مبارك عن الحكم، وذلك بعد ١٨ يومًا من الثورة.

معلومة إثرائية

يعد يوم ٢٥ يناير هو يوم الاحتفال بعيد الشرطة الذي يحتفل به سنوياً تقديراً لوقفة رجال البوليس المصري ضد الإنجليز في مدينة الإسماعيلية يوم الجمعة ٢٥ يناير ١٩٥٢م وجعله الرئيس مبارك اجازة رسمية اعتباراً من يناير ٢٠١٠م.

شعر الشعب بأنه حقق أهداف الثورة ومن أهمها إسقاط نظام حكم مبارك؛ وأعلن المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة المشير محمد حسين طنطاوي أنه يحمى الثورة وأنه معها لاستكمال الأهداف، وبادر بحل مجلسي الشعب والشورى في يوم ١٣ فبراير ٢٠١١م.

وتوالت التغييرات الوزارية السريعة وكلها جاءت تحت عنوان "حكومات انتقالية لتسيير الأعمال" والتي تدل على أن البلاد كانت تمر بحالة من عدم الاستقرار.

ثم جرت انتخابات مجلسي الشعب والشورى وفاز حزب الحرية والعدالة بأغلبية ملحوظة وبدأ المجلسان في ممارسة نشاطهما اعتبارًا من الأسبوع الأخير من يناير ٢٠١٢م ، ورأس كل من المجلسين أعضاء من حزب الحرية والعدالة.

الترشح لرئاسة الجمهورية :

تم فتح باب الترشح لشغل منصب رئيس الجمهورية ، وتقدم إليه عدد كبير من تيارات سياسية مختلفة، انتهت الجولة الأولى من الانتخابات بالإعادة بين اثنين حصلا على أعلى الأصوات وهما، محمد مرسي وأحمد شفيق، وجرت انتخابات الإعادة وانتهت بفوز محمد مرسي بنسبة ٥١٪ من إجمالي الأصوات.

محمد مرسي في الحكم :

بعد تولي محمد مرسي رئاسة الحكم، اتبع العديد من السياسات خلال فترة حكمه تتلخص فيما يلي:

- ممارسة الحزب الحاكم للسلطة بنفس الأسلوب الذى كانت تمارس به الحكومات السابقة سلطاتها ألا وهو حماية المصالح التي تعبر عنها بمختلف الوسائل القانونية والاستثنائية.
- انفراد الرئيس محمد مرسي بالحكم، وأصدر إعلانًا دستوريًا (٢١ نوفمبر ٢٠١٢م) يعزز به من صلاحيات الرئيس.
- شرع في وضع عناصر حزب الحرية والعدالة في معظم هيئات وإدارات الدولة بما فيها قيادات الحكم المحلي في القرى والمدن والأحياء.
- سوء إدارة شؤون البلاد بصفة عامة والاقتصاد بصفة خاصة .
- ارتفاع ديون مصر الخارجية وزيادة معدل التضخم وارتفاع الأسعار .

ب- ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣م:

لم يمض وقت طويل على تولى محمد مرسى حكم مصر حتى بدأ الشعب يدرك أنه لم يقدم أية حلول للمشكلات الرئيسة، ولم يتحقق أي مطلب من مطالب الثورة ، ومن ثم تجمعت نذر الثورة مرة أخرى ضد حكم محمد مرسي من أجل استعادة أهداف ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م ووضعها في الطريق الصحيح.

- مقدماتها :

تصاعدت الدعوات في ٢٦ أبريل ٢٠١٣م لسحب الثقة من الرئيس محمد مرسى، وإجراء انتخابات رئاسية مبكرة على أن تنتهى المهلة في ٣٠ يونيو، إلا أنه لم يستجب لهذا المطلب وأعلن أنه الرئيس الشرعي.

أصدر الفريق عبد الفتاح السيسي وزير الدفاع آنذاك بيانًا يوم ٢٣ يونيو ٢٠١٣م أعلن فيه : أن القوات المسلحة تجنبت خلال الفترة السابقة الدخول في المعترك السياسي؛ إلا أن مسؤولياتها الوطنية والأخلاقية تجاه الشعب تحتم التدخل لمنع انزلاق مصر في نفق مظلم من الصراع، والفتنة الطائفية، وانهيار مؤسسات الدولة، ودعا إلى إيجاد صيغة تفاهم وتوافق ومصالحة حقيقية لحماية مصر وشعبها خلال أسبوع (أي ينتهى في٣٠يونيو٢٠١٣م).

بدأ أنصار محمد مرسي من جماعة الإخوان ومناصريهم حالة من الاعتصام بميدان رابعة العدوية بمدينة نصر وميدان النهضة أمام جامعة القاهرة ابتداء من يوم ٢٨ يونيو ٢٠١٣م تحسبًا لانتهاء المهلة المحددة بيوم ٣٠ يونيو لإجراء انتخابات رئاسية مبكرة؛ مما أدى إلى تعطل حياة الناس في تلك المنطقتين بشكل واضح.

- أحداثها :

في يوم ٢٩ يونيو ٢٠١٣م تصاعدت الدعوات للتوقيع بسحب الثقة من محمد مرسي؛ لكن الرئيس محمد مرسى رفض الموافقة على إجراء انتخابات مبكرة، ورفضت المعارضة دعوته للحوار وخرج الشعب بالفعل إلى الميادين والشوارع يوم ٣٠ يونيو٢٠١٣م في ثورة جديدة.

في أول يوليو أصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة بيانًا أشارت فيه لخروج شعب مصر العظيم في المظاهرات وأمهلت الجميع ٤٨ ساعة لتلبية مطالب الشعب.

في اليوم الثالث من يوليو ٢٠١٣م تم عزل الرئيس محمد مرسى وتسليم السلطة في اليوم التالي ٤ يوليو لرئيس المحكمة الدستورية العليا (المستشار عدلي منصور) حتى إجراء انتخابات

رئاسية مبكرة؛ وتعديل دستور ٢٠١٢م، والعمل على تنفيذ خارطة الطريق وأولها تعطيل العمل بدستور ٢٠١٢م، ورفض أنصار جماعة الإخوان فض الاعتصام في ١٤ أغسطس ٢٠١٣م

صدر دستور جديد في يناير ٢٠١٤ م بعد الاستفتاء عليه وبناء عليه جرت انتخابات الرئاسة على مدى ثلاثة أيام بين مرشحين اثنين فقط، وهما المشير عبد الفتاح السيسي، بعد تقديم استقالته من وزارة الدفاع والسيد حمدين صباحي، أُعلن بعدها فوز الرئيس عبد الفتاح السيسي بالرئاسة.

وبهذا بدأت صفحة جديدة في تاريخ مصر الحديث بعد ثورتين متتاليتين : ٢٥ يناير ٢٠١١م، و٣٠ يونيو ٢٠١٣م ووضع مصر على الطريق الصحيح لتطبيق الديمقراطية وتغليب مصالح الشعب وتحقيق التقدم والنماء والرفاهية.

أسئلة الفصل الثامن

(١) ما النتائج التي ترتبت على:

وصول محمد مرسي إلى الحكم.

(٢) بم تفسر:

أ- انفجار ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م.

ب- خروج جموع الشعب إلى الميادين مرة ثانية في ٣٠ يونيو ٢٠١٣م.

ج- فشل سياسة محمد مرسي في الحكم في تحقيق مطالب الثورة.

(٣) أيد بالأدلة التاريخية صحة هذه العبارة: (الاقتصاد يحرك السياسة وليست السياسة هي التي تحرك الاقتصاد).

(٤) «بدأت المعارضة السياسية في مصر منذ عام ٢٠٠٤م تأخذ شكلاً تنظيمياً».

على ضوء العبارة السابقة وضح ما يلي:

- قارن بين ثورتي ٢٥ يناير ٢٠١١م و ٣٠ يونيو ٢٠١٣م من حيث الأسباب.
- مقدمات ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م.
- نتائج ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣م.